يوليو ٢٠١٢ / العدد ٦

النور

للدراسات الحضارية والفكرية

دعوة رسائل النور:

- دعوة رسائل النور: هل هي حركة؟ أم جمعية؟ أو جماعة؟
- المنهج العوفي وإعلاء كلمة الله عند بديع الزمان
- المرأة الإصلاحية في فكر الشيخ النورسي
- العمل الإيجابي القاعدة الثابتة لعمر مديد
- التبليغ والإرشاد في رسائل النور

al-Nur

Academic Studies on Thought and Civilization

An Academic Biannual Journal (January-July)
Published by the Istanbul Foundation for Science and Culture
Year 3, Number 6 (July 2012)
ISSN 1309 4424 (En-Nur)

Annual Subscriptions (2 issues)

Turkey:	TL 20
Individuals outside Turkey:	US$ 15
Institutions outside Turkey:	US$ 30

Addresses for Subscriptions and all Communications

Istanbul Ilim ve Kultur Vakfi,
Kalendarhane Mahallesi, Delikanli Sk. No: 6
Vefa 34134 Fatih, ISTANBUL – TURKEY
Tel : +90 212 527 81 81 (pbx)
Fax: +90 212 527 80 80
info@nurmajalla.com

Abdulkerim Baybara: kerimbaybara@gmail.com
Sozler Publications,
30 Gafar al-Sadiq Street, al-Hayy al-Sabi',
Nasr City, Cairo, Egypt.
Tel. / Fax: +20 2 22 602 938

www.nurmajalla.com

ISSN 1309-4424
9 771309 442006 06

النور
للدراسات الحضارية والفكرية

تصدر عن مؤسسة إستانبول للثقافة والعلوم

THE ISTANBUL FOUNDATION FOR SCIENCE AND CULTURE

صاحب الامتياز والمدير المسؤول: كنعان دميرطاش kenan@nurmajalla.com

رئيس التحرير: أ.د. عمار جيدل editor@nurmajalla.com

المشرف العام: إحسان قاسم الصالحي ihsankasim@gmail.com

هيئة التحرير

أ.د. ثروت أرماغان؛ أ.د. محمد خليل جيجَك؛

د. سعاد الناصر؛ د. محمد جنيد شِمشَك

اللجنة الاستشارية

أ.د. حسن الأمراني؛ أ.د. سليمان عشراتي؛ أ.د. عبد العزيز برغوث؛ أ.د. عبد العزيز خطيب؛
أ.د. عبد الكريم عكيوي؛ أ.د. عبد المجيد النجار؛ أ.د. عماد الدين خليل؛ أ.د. محسن عبد الحميد؛
أ. د. محمد عبد النبي؛ د. بوكاري كيندو؛ د. سمير بو دينار؛ د. محمد كنان ميغا.

الإخراج الفني

سعيد طاقطاق، مولاي الحسن الحفيظي

رقم الإيداع الدولي

ISSN: 1309 – 4424 (En-Nur)

الطباعة

يوليو ٢٠١٢

Nesil Matbaacılık – Yakuplu – B. Çekmece / Istanbul
Tel: (+ 90 212) 876 38 68 pbx

المركز الرئيسي

Kalendarhane Mahallesi, Delikanli Sk. No: 6
Vefa 34134 Fatih, ISTANBUL – TURKEY
Tel: +90 212 527 81 81 (pbx)
Fax: +90 212 527 80 80
info@nurmajalla.com
www.nurmajalla.com
www.iikv.org

بسم الله الرحمن الرحيم

النور للدراسات الحضارية والفكرية

١– التعريف بالمجلة:

مجلة علمية أكاديمية محكّمة نصف سنوية (يناير– يوليو)، تصدر عن مؤسسة إستانبول للثقافة والعلوم.

تُعَد مجلة ''النور للدراسات'' مجلة الباحث والمفكر المجدد فضلا عن من يتمرّس بالبحث من شباب هذه الأمة، وهي منبر علمي أكاديمي مفتوح أمام كلّ المفكرين والباحثين الجادين.

تعمل المجلة على توجيه النظر إلى الجمع بين أصالة الأمة ممثلة في أستاذها الأول ''مصادر الإسلام'' (القرآن الكريم والسنّة المطهّرة) وثقافة العصر فيما لا تتعارض وحقيقة ثقافة الأمة وأصالتها، كما تعمل على الإفادة منها في التأسيس لبعث معرفي وحضاري، إنساني البعد إسلامي الروح، يسعى إلى فحص المتداول في الدرس الاجتماعي والإنساني بقصد تمحيصه والتأسيس للبديل المنبثق عن التصور التوحيدي للعالم والحياة والإنسان، وتَعَهُّد هذا الكسب (العلم المنجز) بالمراجعة والاستدراك المستمر، وتدريب المثقف الرسالي على التوقّف المنهجي والمعرفي عند ''الكونية'' التي يراد من خلالها تمرير مشاريع التحكّم في المعرفة ومن ثمَّ الهيمنة على مؤسسات صناعة الوعي في برامجها ومناهجها، والحيلولة الموضوعية دون ضياع سائر موارد القرار في مختلف مجالات الحياة.

٢– تتناول المجلة وفق الخط العام المشار إليه أعلاه:

قضايا المنهجية الإسلامية الجامعة بين مخاطبة العقل والقلب في ذات لحظة التذكير، حتى يغدو الفصل بينهما في عداد المحال المنهجي والمعرفي على السواء.

قضايا المعرفة من حيث خلفيتها النظرية، ومصادرها ونظمها وفلسفتها وإنتاجها.

العودة بالأمة إلى أستاذها الأول (القرآن الكريم)، مبعث نهضتها، ومؤسس فعاليتها في شعاب الحياة المعرفية.

الحث على البحث في العلوم الإنسانية والاجتماعية في إطار النظرة الإسلامية وفي كنف تكاملها مع سائر علوم الشريعة، بقصد بعث الفعالية الحضارية المنشودة.

دراسة وفحص ثم تمحيص مناهج التعامل مع الخبرة المعرفية الإسلامية (التراث) والإنسانية في مختلف مجالات التدين (العقيدة، والشريعة، والأخلاق) بالإسلام.

الإفادة من مشاريع النهضة والإصلاح في العالم الإسلامي، ولاسيما مشروع بديع الزمان النورسي المبيّن في رسائله الموسومة بـ ''رسائل النور''، سعيا منا إلى الاستفادة من هذه التجربة وغيرها من خبرتنا في مجال النهضة والتغيير، بغرض المساهمة في فهم الحاضر والتخطيط الجيّد للمستقبل.

ما تنشره المجلة يعبّر عن رأي صاحبه، وليس رأي المجلة ضرورة.

المحتويات

- كلمة العدد السادس .....أ.د. عمار جيدل ٣

الدراسات والبحوث

- أصلح نظام لتسيير العالم الإنساني اليوم هو الإسلام.....العلامة محمد الابراهيمي ٧
- منهج البحث الدلالي في دراسات أوزيستو القرآنية والصوفية .....محمد بن نصر ١٣
- أصول التفكر في رسائل النور .....أميد شمشك ٢٩
- رؤية الإمام النورسي للربا .....أ.د. أسامة عبد المجيد العاني ٤٥

ملف العدد

- دعوة رسائل النور: هل هي حركة؟ أم جمعية؟ أو جماعة؟.....أ.د. أحمد آق كوندوز ٦١
- المنهج العوفي وإعلاء كلمة الله عند بديع الزمان.....أ.د. بنيامين دوران ٧٧
- التبليغ والإرشاد في رسائل النور .....د. داود آى دوز ١٠١
- العمل الإيجابي القاعدة الثابتة لعمر مديد .....أ.د. علاء الدين باشار ١٢٧
- المرأة الإصلاحية في فكر الشيخ النورسي .....د. سعاد الناصر (أم سلمى) ١٤٣

الحوار والإصدارات والمؤتمرات

- الإصدارات (قراءة في كتاب):
١. الشهود الأواخر؛
٢. سعيد النورسي، حركته ومشروعه الإصلاحي في تركيا ١٥٥
- المؤتمرات والحلقات الدراسية:
١. الندوة العالمية الرابعة للأكاديميين الشباب؛
٢. رسائل النور في العالم ١٥٩
- المؤتمرات المستقبلية لموسم ٢٠١٢ – ٢٠١٣ ..... ١٩٠
- الاستكتاب للأعداد القادمة ١٩١
- معلومات عن النشر في المجلة ١٩٢
- الإشتراك السنوي / Contents ١٩٣

• ترتيب الدراسات والبحوث يخضع لاعتبارات فنية صرف.

كلمة العدد

كلمة العدد السادس: أ.د. عمار جيدل

تمّ بفضل الله ثم بفضل جهود القائمين على المجلة صدور العدد السادس، بعد معاناة لا يعلم مداها إلا الله.

يعد العدد الحالي دوحة غنّاء أغنت مضمونها دراسات ومقالات عن رسائل النور، وزاد المضمون اكتمالا باستضافة أسماء علمية رصينة ومسالك مفيدة في البحث العلمي والإصلاحي، فكان للمجلة شرف العود بالقارئ الكريم إلى الأرشيف العلمي الإصلاحي الرفيع، نقتبس منه بعضا من درره، ومسكة من جواهره ويواقيته، لعلّنا بهذا نعرّف الخلف بمآثر السلف، ونقتبس من مزاولاتهم الإصلاحية ما ينفعنا، فكان استهلال العدد بمقالة لعلامة الجزائر محمد البشير الإبراهيمي (ت ١٩٦٥) رئيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين بعد عهد الشيخ الرئيس عبد الحميد بن باديس (ت ١٩٤٠)، والمقال غني بتوجيه النظر إلى الإسلام بوصفه مصدر صلاح وإصلاح العالم، فنقلنا من تراث الشيخ مقالة عنوانها ''أصلح نظام لتسيير العالم الإنساني اليوم هو الإسلام''، والمقال في عمده وتفاصيله يؤكّد على التواصل الروحي والمعنوي بين مسالك التغيير والإصلاح بين العلماء الربانيين في الأمة الإسلامية، يشهد لما أورده الشيخ البشير من معاني قول الأستاذ النورسي في ذيل الكلمة الثامنة والعشرين: ''إن الايمان يضم بذرة جنة معنوية، كما أنّ الكفر يخفي نواة زقوم جهنم معنوية''.

والعدد فضلا عما سلف اشتمل بحثا راقيا للأستاذ الدكتور محمد بن نصر نائب العميد المكلف بالدراسات العليا بالمعهد الأوربي للعلوم الإنسانية بباريس، فكتب للمجلة في موضوع ''منهج البحث الدلالي في دراسات أوزيتسو القرآنية والصوفية''، وهو بحث مهم في الإحالة على أهمية دراسات الأستاذ أوزيتسو القرآنية والصوفية، تلاه بحث الأستاذ أميد شمشك الموسوم بـ ''أصول التفكر في رسائل النور''، وهو في صميم الدراسات في أصول التفكر، وختم قسم الدراسات ببحث أ.د. اسامة عبد المجيد العاني، والذي انتقل بنا إلى رحاب القراءة التطبيقية لما جاءت به رسائل النور، فكتب ''رؤية الامام النورسي للربا'' وبهذا اكتملت مقالات الدراسات.

أما الملف فقد خصصناه لدعوة رسائل النور وبعض مميزاتها، وقد استهل الملف

ببحث حركي أكاديمي في صميم رسائل النور، فاخترنا بهذا الصدد الاستهلال بمقالة اشكالية، قائمة على تساؤل مركزي أثاره الأستاذ الدكتور أحمد آق كوندوز، فعنون بحثه بصيغة استفهامية، متسائلا: ''دعوة رسائل النور، هل هي حركة؟ أم جمعية أو جماعة؟''، فكان ما كتبه حريا بالقراءة والتمعّن إثراء لتجربة التديّن واستفادة من مدرسة إصلاحية تمثّل مكاسبها قيمة مضافة لكل من رام الاستفادة منها، وفي سياق التعريف بطبيعة دعوة رسائل النور، انتقلنا إلى البحث في صلب دعوة رسائل النور، فأوردنا بحث الأستاذ بنيامين دروان، الذي عرّفنا بالمنهج العوفي وإعلاء كلمة الله عند الأستاذ بديع الزمان النورسي، وخدمة للمقصد نفسه أتحفنا الأستاذ داود آي دوز، بمقالة عرفنا من مقالته التبليغ والإرشاد في رسائل النور، ثم عرضنا بيان ميزة عظيمة ومتميّزة لرسائل النور ومنهج الأستاذ بديع الزمان، إنّها ''العمل الإيجابي'' التي تعد بحق عنوان التضحيات الجسام لأجل قيام نهضة حقيقية للأمة والمجتمع، تستشف هذه المعاني من مقالة الأستاذ الدكتور علاء الدين باشار الموسومة بـ ''العمل الإيجابي القاعدة الثابتة لعمر مديد''، وختم الملف ببحث ''المرأة الإصلاحية في فكر الشيخ النورسي'' بقلم الأستاذة الدكتورة سعاد الناصر (أم سلمى)، وهو يمثل دراسة تحليلية استكشافية لما ورد في رسائل النور بقصد التفكير في البعد الواقعي لمصنفات بديع الزمان سعيد النورسي، والتأكيد على أنّها رسائل واقعية وليست من عالم افتراضي، فهي رسائل استراتيجية في وضع تصور النهضة، واقعية في جانبها الإجرائي، وبهذا يتعلّم الدارس المتفحّص لرسائل النور التخطيط في التفكير والواقعية في التدبير.

كما كانت للعدد وقفات مع حركة رسائل النور في العالم، فقد عرفت رسائل النور حركة دائبة في العالم الإسلامي، فعرضنا التعريف بالملتقيات التي عرفها المغرب، بدءا بملتقى مدينة الجديدة، واللقاءات الثلاث التي عرفتها مدينة أغادير بمؤسساتها الأكاديمية والعلمية والدينية والمهنية، وختمنا برحلة الوفد المكوّن من الأستاذين إحسان قاسم الصالحي والدكتور عبد الحكيم الأنيس إلى الهند، فهي زيارة علمية وتعريفية بامتياز.

والله من وراء القصد وهو يهدي السبيل.

* * *

الدراسات والبحوث

أصلح نظام لتسيير العالم الإنساني اليوم هو الإسلام

العلامة محمد البشير الابراهيمي[1]

قد يبدو هذا العنوان مدهشًا وغريبًا، ومثيرًا لتأثّرات مختلفة، في كثير من النفوس المختلفة، ولشيء من السخرية في النفوس الساخرة.

أما الدهشة فإنّ صاحبها معذور مهما كان، وأما الغرابة فكل وارد جديد على السمع أو على الذهن يُسْتَغْرَب، ولكنه إذا تكرّر وكثر ترداده أصبح مأنوسًا، وأما السخرية فلا تأتي هنا إلا من رجلين: رجل انطوت نفسه على بغض للإسلام وحقد على بنيه، واحتقار لتعاليمه، ورجل لم يفهم الإسلام إلا من حالة المسلمين اليوم، ولم يعلم أنّ بين حقائق الإسلام وبين حالة المسلمين اليوم بُعْدَ المشرقين، والذي في العنوان إنّما هو الإسلام لا المسلمون.

العناوين لا ذنب لها لأنّها دوالٌ على ما وراءها، فاسمعوا ما وراء هذا العنوان، ثم ليندهش المندهشون إن لم يقتنعوا، وليسخر الساخرون إن شاءوا.

تولّى الإسلام في أوّل مراحله قيادة العالم الإنساني العامر للأقاليم المعتدلة، فقاده إلى السعادة والخير بأصلين وهما القوة والرحمة، وبوسيلتين من وسائله في القيادة وهما العدل والإحسان، وبأحكامه المحققة لحكمة الله في عمارة الكون.

والقوة والرحمة صفتان موجودتان في كل زمان، ولكنهما متنابذتان لم تجتمعا قط في ماض ولاحاضر، حتى جاء الإسلام فجمع بينهما وزاوج، وخلط بينهما ومازج، فجاء منهما ما يجيء من التِقاء السالب بالموجب في عالم الكهرباء: حرارة وضوء وحركة.

وما زال معروفا عند العقلاء، قريبًا من مدارك البسطاء، أنّ القوة وحدها لا خير فيها لأنّها جبرية واستعلاء، وانّ الرحمة وحدها لا خير فيها لأنّها ضعف وهُوَيْنا، وأنّ الخير

كل الخير في اجتماعهما، ولكن الجمع بينهما ليس من مقدور الإنسان المسخّر للأهواء والعوائد، المنساق للأماني والمطامع، المنجذب إلى مركز الأنانية، فلا تجمع بينهما على وجه نافع إلا حقّها، وقوة سماوية تتجلّى في نبوّة ووحي وخلافة راشدة واتّباع صادق مشتق من هذه.

ومن حكمة الإسلام العليا أنّه وضع الموازين للمتضادات فإذا هي متآلفة، والمتنافرات غذا تآلفت صلح عليها الكون لأنّها سرّ الكون وملاكه، فوضع الحدود لهذه المتنافرات، وأعطى كل واحدة حقّها، ووجّهها إلى الخير في مدارها الطبيعي، فإذا هي أشياء في الاسم والذات والوظيفة، ولكنها شيء واحد في الغاية والفائدة والثر، وكلّها خير ونفع وصلاح وجمال.

وضع الحدود بين المرأة والرجل فائتلفا، وأطفأ بالعدل والإحسان الخلاف بينهما، والخلاف بينهما هو أصل شقاء البشرية، ولا يتم إصلاح في المجتمع ما دام الخلاف قائما بين الجنسين، ومازالت الجمعيات البشرية من الرجال مختلفة النظر إلى المرأة، فبعضهم يرفعها إلى أعلى من مكانها فيُسْقِطها ويسقط معها، ويعطيها أكثر من حقّها ومن مقتضيات طبيعتها فيفسدها ويفسد بها المجتمع، وبعضهم يَحُطها عن منزلتها الإنسانية فيعدّها إما بهيمة وإما شيطانا حتى جاء الإسلام فأقرّها في وضعها الطبيعي وأنصفها من الفريقين.

وكذلك وضع الحدود بين الآباء والأبناء، وكم أزاغت الشرائع والقوانين الوضعية هذه القضية عن الاعتدال إلى طرفي الإفراط والتفريط.

وكذلك وضع الحدود للسادة والعبيد، وللحاكم والمحكومين، وللأغنياء والفقراء، وللجار وجاره، وللإنسان والحيوان، وللروح والجسم، فألّف بين السادة والعبيد بقانون الرفق،والتغير بالتمناهي في العتق، وألّف بين الحاكمين والمحكومين بقانون العدل والمساواة، وبين الأغنياء والفقراء بنظام الزكاة والإحسان، وبين الجيران بوجوب الارتفاق والحماية،حتى اعتبر الجيرة لحمة كلحمة النسب أو أشدّ، ومحا من المجتمع نظام الطبقات والأجناس والعناصر، فلا فضل لعربي على عجمي إلا بالتقوى، ولاعزّة بالتكاثر، ولا تعظّم بالآباء، ولا عصبية بالقبيلة، ولا تفاضل بالجاه والمال، وجعل لليتيم حرمة تدفع عنه غضاضة اليتم، ولابن السبيل حقًا يحفظه من الضياع وفساد الأخلاق، وللغريب حقًا يُنسيه وحشة الاغتراب، وجعل ميزان التفاضل روحيًا لاماديًا، فالغني أخو الفقير بالإسلام، وليس الغني أخًا للغنيّ بالمال، وقرّر للحيوان الأعجم حق

الرفق والتربيب، وحماه من الإعنات والتعذيب، وأشركه مع الإنسان في الرحمة، ففي كل ذات كبد حَرَّى أَجْرٌ، وحل مشكلة الروح والجسم، وعدل ما كان يتخبّط فيه فلاسفة الأمم من أنّ العناية بأحدهما مضيعة للآخر، فوفّق بين مطالب الروح والجسم، وحدّد لكلّ غذاءه وقِوامَه، فإذا هما متآلفان متعاونان على الخير والنفع.

١- ساس الإسلام الأرض بقانون السماء، فأشاع إشراقَه في غسقها، وأدخل نسَقه في الإحكام على نسقها، وقيّد الحيوانية العارمة في الإنسان بقيود الأوامر والنواهي الإلهية التي لاخيار معها ولامراجعة فيها، وبذلك نقل الأمم التي دانت به من حال إلى حال، نقلها من الفوضى إلى النظام، ومن التنابذ إلى التآخي، ومن الخوف إلى الأمن، ومن الاضطراب إلى الاستقرار، ومن نزعات نفسية متباينة إلى نزعة واحدة أقرّها فيهم، ثم أقرّها في الأرض بهم، ونقل الأمم المتبدية إلى حال وسط الحضارية المتأنية المقتصدة، ونقل الأمم المتحضرة إلى حال من الحضارة العقلية تأخذ بالحُجَّة، وتمنع من التضخّم والتهافت، ونقل الأمم المؤلهة للملوك والكبراء إلى حال من عرفان القدر وفهم الكرامة، وجعلتهم هم الملوك.

٢- قاد الإسلام أهله بقانونه السماوي الشامل لأنواع التدابير المحيطة بمصالح البشر من حرب وسلم، وخوف وأمن، وسياسة وإدارة، وقضاء في الأموال والدماء والجنايات، وفي بناء الأسرة.

قاد بهذا القانون أعقل سكّان الأرض إذْ ذاك في أعمر بقاعها، فما شكا أحد ظلما ولاهضمًا، فإنْ وقع شيء من ذلك فهو حاكم حادَ عن صراطه، أو شخص أخلّ بأشراطه، وقد أخذت الأمم الخارجة منه كثيرًا من قوانينه العادلة في فترات احتكاكهم بالمسلمين محاربين أو معاهَدين في الشام والأندلس وافريقية، كما أخذوا كثيرًا من العادات الصالحة في تدبير المعاش وفي الحياة المنزلية، ومازال كثير من تلك الأصول بارز العين أو ظاهر الأثر في المدنية الحالية.

٣- جاء الإسلام أوّل ما جاء بإصلاح الأسرة وبنائها على الحب والبرّ والطاعة: الحب المتبادل بين أفراد الأسرة، والبرّ من الأبناء بالآباء، والطاعة في المعروف من الزوجة للزوج، وحاط ذلك كله بأحكام واجبة وتربية تكفُل تلك الأحكام، وتجعل تنفيذها صادرًا من نفس الإنسان، والرقابة عليها من ضميره، فلا تحتاج إلى وازع خارجي، وجعل تقوى الله والخوف منه حارسين على النفس والضمير، فكلما همّ الإنسان بالزيغ تنبّها فيه، فنبّهاه إلى لزوم الجادّة.

٤- وإنّ يقظة الضمير الذي سمّاه النبي –عليه الصلاة والسلام- وازع الله في نفس المؤمن، ومراقبته لأعمال صاحبه لَهي أعلى وأسمى ما جاء به الإسلام من أصول التربية النفسية، وهي أقرب طريق لتعطيل غرائز الشرّ في الإنسان، وفرق عظيم بين من يمنعه من السرقة مثلاً خوف الله، وبين من لايمنعه منها إلا خوف القانون: فالأوّل يعتقد أنه بعين من الله تراقبه في السرّ والعلن، فهو لا يسرق في السر ولا في العلن، والثاني لا يمنعه من السرقة إلا قانون يؤاخذ على الذنب بعد قيام البيّنات عليه، وفي قدرة الإنسان أن يتحاشى كلّ أسباب المؤاخذة الظاهرة، فإذا أَمِن ذلك قارف الشر مُقْدِمًا غير محجم، فالخوف من الله يَجْتَثُ السرقة وجميع الشرور من النفس حتى لاتخطر على بال المؤمن الصادق، وبذلك يأمن الناس على أعراضهم ودمائهم وأموالهم، أما الخوف من القانون، فكأنّ هذه القوانين الأرضية تقول للناس: لا سبيل لي عليكم ما دمتم مستترين منّي، غائبين عن عيني، ولذلك فهي لا تمنع الفساد في الأرض بل تزيده تمكّنا فيها، وانتشار الشرور في هذا العصر أصدق شاهد على ذلك.

٥- نقول ونعيد القول بأن أصلح نظام لقيادة العالم الإنساني هو الإسلام، ولا نلتفت لسخر الساخر، ولانأبه لدهشة المندهش، وناتي بالحجّة على لون آخر، وهو أنّ الإسلام عقائد وعبادات وأحكام وآداب، وكل هذه الأجزاء رامية إلى غرض واحد وهو إصلاح نفس الفرد الذي هو أصل لإصلاح النفسية الاجتماعية، فعقائد الإسلام مبنية على التوحيد، والتوحيد أقرب لإدراك العقل الإنساني من التعدد، وأدعى لاطمئنانه وارتكازه وتسليمه، والعقل إذا اطمأن من هذه الجهة انصرف إلى أداء وظيفته مجموعًا غير مشتت.

والعبادات غذاء وتنمية لذلك التوحيد وعون على تزكية النفس وتصفيتها من الكدورات الحيوانية، والأحكام –ومنها الحدود- ضمان للحقوق، وحسم للشرور، وزجر للثاني أن يتّبع الأوّل ومَن تأمّل القواعد التي بُنيت عليها أحكام المعاملات في الإسلام علم ما علمناه، وهي: لاضَررَ ولاضِرار، الضرورات تبيح المحظورات، ما أبيح للضرورة يقدر بقدرها، درء المفسدة مقدم على جلب المصلحة، الحدود زواجر وجوابر، القصاص حياة.

والآداب تزرع المحبّة بين الناس، وترقق العواطف، فتقوي عاطفة الخير والتسامح والإيثار والكرم والشجاعة والصبر، وتضعف الشر والتشدّد والثرة والبخل والجبن والجزع.

٦- العالم اليوم في احتراب وحبله في اضطراب، وقد ملكتْ عليه المادة أمره، وقد

جفّت الروحانية فيه فضؤلت، فلم يبق لها سلطانها الآمر الناهي، وانطمست فيه البصائر الهادية فهو يتخبّط في ظلمات، وتجسّمت المطامع الشوهاء فتولت القيادة، وقد جرّ على نفسه في ثلاثة عقود من السنين حربين عاتيتين أهلكتا الحرث والنسل وهو تحفّز للثالثة، وقد كان قبل اليوم إذا اختلف اثنان وجد بينهما ثالث يدعو إلى الإصلاح أو ينتصر للمظلوم، فما زالت به المطامع وفشوّ الإلحاد، وشيوع الفلسفة المادية، والاغترار بالعقل، حتى أصبح مقسّما إلى كتلتين قويتين عظيمتين متضادتين، تدور كل واحدة منهما على ميدأ اتّخذتْه دينًا ودعت الناس إليه، فانضم كل ضعيف إلى واحدة مُكْرهًا كطائع، وكلا المبدأين لا رحمة فيه ولا خير، وكلاهما ينطوي على شرور، وكلاهما يعتمد على الظفر والناب...[2]

...ذلك فيهم نشروا أحكامه وتعاليمه حتى نعم العالم، يومئذ يشهدون انقلابا فكريا يقضي على هذا الجنون الذي ابتلي به العالم.

والإسلام دين اقتناع، فلا أقول إنّه يجب على العالم أن يصبح مسلما كاملا يصلي ويصوم وإنّما أقول: إنّ دواءه مما هو فيه هو الإسلام، فليأخذ أو ليَدَعْ.

٧- لا يضير الإسلام في حقائقه ومُثُله العليا أن لم ينتفع به أهله في تحسين حالهم، فما ذلك من طبيعته ولا من آثاره فيهم، وإنّما ذلك نتيجة بُعْدهم عن هدايته، وهو كدين سماوي محفوظ الأصول يهدي كل من استهداه، وينفع كل مستعد للانتفاع به، ولو أن أمة وثنية اعتنقته فأخذتْه بقوة فأقامته على حقيقته -من العقائد إلى الآداب- لسادت به هذه المآت من الملايين من أهله الأقدمين الذين أضاعوا روحه ولبابه، وأخذوا برسومه والنسبة إليه، ولم يزحزحها عن السيادة أنّها جديدة في الإسلام، كما لاينفع تلك المآت من الملايين أنها عريقة في الإسلام.

ولاحجّة علينا ببعض الشعوب الإسلامية التي استبدلت القوانين الأوربية بأحكام القرآن، لأنّ تلك الشعوب ما فعلت إلا بعد أن لم يبق فيها من الإسلام إلا اسمه، ومن لم ينتفع بقديمه لم ينتفع بجديد الناس، وأحوال تلك الشعوب المستبدِلة شاهدة عليها، فهي لم تزدد بهذا الاستبدال إلا شقاء وبلاء.

وبعد، فلو أنّ علماء الإسلام أحسنوا الدعاية إلى دينهم، وعرفوا كيف يغزون بحقائقه الأذهان، لكان الإسلام اليوم هو الفيصل في المشكلة الكبرى التي قسّمت العالم إلى فريقين يختصمون، ولكانوا هم الحكم فيها، ولكنهم غائبون، فلا عجب إذا لم يُشاوروا حاضرين، ولم يُنْتَظروا غائبين.[3]

* * *

الهوامش:

[1] ولدمحمد البشير الإبراهيمي بتاريخ ١٤ من يونيو ١٨٨٩ برأس الواد بالجزائر، وتوفي في الجزائر العاصمة بتاريخ ٢٠ من ماي ١٩٦٥م. والشيخ هو الرئيس الثاني لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين، رأس الجمعية بعد وفاة الشيخ الرئيس عبد الحميد بن باديس (ت١٩٤٠)، فكان رئيسا للجمعية من ١٩٤٠ إلى وفاته عام ١٩٦٥م، قال عنه رفيق دربه ونائبه في رئاسة جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، الشيخ العربي التبسي: ''كان الإبراهيمي فلتة من فلتات الزمان، وأنّ العظمة أصل في طبعه''، وقال عنه رفيق آخر (أحمد توفيق المدني) ما يقرب من المعاني المشار إليها، لمزيد تعرّف على هذه الشخصية الفذّة يراجع مقدمة الجزء الأول من آثار الشيخ البشير الإبراهيمي لنجله الطبيب الأديب أحمد طالب الإبراهيمي. يعد الأستاذ الإبراهيمي رائدا من أبرز رواد النهضة الدينية العلمية والأدبية في الجزائر، فكان بحق رمزا مهما في الإصلاح الديني الشامل.

[2] هنا تنتهي الصفحة السادسة من المخطوط والصفحة السابعة مفقودة.

[3] آثار محمد البشير الإبراهيمي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٩٩٧، ج٤، ص ٦٥-٦٩. تدخلت يد إدارة التحرير في ترقيم فقرات نص الشيخ محمد البشير الإبراهيمي تيسيرا لاستيعابه.

منهج البحث الدلالي في دراسات أوزيستو القرآنية والصوفية

محمد بن نصر[1]

مقدّمة

ما يثير الانتباه والإعجاب في فكر المفكر الياباني توشيهيكو إيزوتسو ليس كونه مجيدا للغة العربية في مجالاتها الدلالية المختلفة، الجاهلية والقرآنية والعرفانية، كثير هم الذين ممن لم تكن اللغة العربية لغتهم الأم استطاعوا أن يمتلكوا ناصيتها ويتعمّقوا في أغوارها وإن كان أوزيتسو يعتبر من اليابانيين الأوائل الذين برعوا في هذا المجال ولكن ما يثير الإعجاب حقا هو استيعابه العميق للمنطق الداخلي للمنهج القرآني حتى يخيل للقارئ أن الرجل ينطلق من خلفية عقائدية إسلامية.[2]

دأب أوزيتسو على اتّباع مسلك البحث عن الكلمات المفاتيح المعبّرة عن النسق الفكري للدّين أو للمذهب. فهي عنده ليست مجرّد كلمات ذات معان محدّدة ووظائف تعبيرية جزئية، وإنما هي مكتنزة بالمعاني اللغوية والفكرية والثقافية، حاملة لتاريخ تراكمي تختلط فيه مفاهيم النشأة وتحولات النمو ومقامات النضج. ولذلك يرى إيزوتسو ضرورة تفكيك هذه الدلالات أو الطبقات الثقافية كما عبّر عنها عالم الاجتماع الفرنسي جورج بالنديه في مجال الانتربولجيا الثقافية، والبحث عن المعاني الأصلية التي تشكل البنى الأساسية للنسق الفكري. فالتحليل الدلالي عند إيزوتسو لا يمكن أن يختزل في نوع من التسلية أو الدراما الفلسفية التي لا غاية لها أو غايتها اللاّغاية أصلا.

ولعل هذا المنحى البنائي في التحليل الدلالي عند إيزوتسو هو الذي استفز الفيلسوف الفرنسي الجزائري الأصل جاك دريدا فقام بتحرير رسالة بعث بها إليه ينفي فيها عن التفكيك بعده البنائي أو التركيبي. ذلك على الأقل ما يمكن أن نفهمه من أعماله التي تمكنّا من الإطلاع عليها. ولكن الإشكال الذي أثار انتباهنا -وهو ما

سنحاول أن نعالجه في هذا البحث- هو أن هذا المنهج الذي استخدمه إيزوتسو في فهم القرآن وتأكيده المستمر لضرورة تحديد الكلمات المفاتيح المعبرة عن الرؤية القرآنية للوجود والإنسان والحياة التي تؤلف بمجموع دلالاتها الجزئية حقلاً دلاليًا متميزًا هو نفس المنهج الذي استخدمه في الكشف عن الدلالات المتقاربة للكلمات المفاتيح في التصوف الإسلامي وتعاليم لاوتسو الصيني أو ما يعرف بالطاوية وتعاليم الفدنتا وتعاليم الزان، وهي تعود -حتى مع شيء من التعسّف المفضي إلى ''ما وراء الفلسفة''- إلى حقول دلالية مختلفة تستند في عمقها الفلسفي إلى رؤى متباينة للعالم.

لاشك أن إيزوتسو كان شديد الحرص على الحوار بين الحضارات وكان يرى أن مثل هذا الحوار لا يكون ممكنا إلا إذا استطاعت الإنسانية أن تكتشف البنية المشتركة بين مكوّناتها الثقافية وخاصة تلك المكوّنات ذات الطابع التأملي الوجداني. ولكن ألا يصبح بعد ذلك الحديث عن الرؤية القرآنية للعالم والكلمات المفاتيح ذات الدلالات المتميّزة والمعبّرة عن هذه الرؤية فاقدًا للمعنى حيث إن هذه النظرة الكلية ستتسع وتزداد اتساعًا إلى أن تنفتح حدودها على نوع آخر من التوظيف الإيديولوجي؟ لعل هذا التناقض الظاهري أو الحقيقي-لا نستطيع في هذا المستوى أن نرجح أحد الاحتمالين- هو الذي جعل الكثير من المستشرقين لا يهتمون بأبحاث إيزوتسو القرآنية ويحرصون على إبراز أبحاثه العرفانية دون غيرها.

١ / أهمية علم الدلالة عند أوزيتسو

أصبحت اللسانيات نقطة التقاطع لكل فروع العلوم الإنسانية بحكم اهتمامها بالخطاب في كل وجوهه والفرع الأساسي الذي لعب الدور الأهم في الحضور العلمي لعلم اللسانيات كان بالدرجة الأولى علم الدلالة فقد عرفت الألسنية على أنّها ''دراسة اللغة بحد ذاتها دراسة علمية، وتحليل خصائصها النوعية، بغية الوصول إلى نواميس عملها''. وأن ''اللغة تنظيم، وهذا التنظيم وظيفي، يتوسله الإنسان للتعبير عن أغراضه ولعملية التواصل'' فلم تعد الألسنية تهتم بشكل الكلمات فحسب، بل أعطت لجوهر هذه الكلمات أهمية كبيرة، وذلك بعد ما تأكد لدى علماء الألسنية، أن البحث الألسني يبقى ناقصاً ما لم يهتم بجوانب اللغة جميعها، ويظل حكمه على الظواهر اللغوية يفتقد إلى طابع المعيارية التي تسم ديناميكية اللغة وفعاليتها بسمة التقعيد. ولم يحصل هذا الوعي اللغوي في البحث الألسني إلا مع العلماء اللغويين المتأخرين كالعالم الأمريكي ''بلومفيلد'' الذي كان يرى أن الدراسة الألسنية، لا تنحصر بدراسة

الأصوات والدلالات اللغوية بذاتها، بل تشمل دراسة الارتباط القائم بين أصوات معينة ودلالات معينة، وجدير بالذكر أن مفهوم ارتباط الصوت اللغوي بالدلالة، قد تبنته الألسنية بصورة عامة. لم يكن علم الدلالة في منتصف القرن الماضي بالأهمية النى أصبح عليها اليوم ولطالما اعتبر الفرع الهزيل من النظريات الألسنية ومع ذلك رأى فيه المفكر الياباني أهمية بالغة لفهم الخطاب القرآني من حيث إنه يهدف القيام بـ ''دراسة تحليلية للمصطلحات المفتاحية الخاصة بلغة ما، تتطلع للوصول في النهاية إلى إدراك مفهومين لـ ''الرؤية للعالم'' الخاصة بالناس الذين يستخدمون تلك اللغة كأداة لمفهمة العالم الذي يحيط بهم وتفسيره. إن علم الدلالة بهذا الفهم نوع من ''عام الرؤية للعالم، weltanschauungslehre أو دراسة لطبيعة رؤية العالم وبنيتها لأمة ما، في هذه المرحلة المهمة أو تلك من تاريخها. وهذه الدراسة تستهدي بوسائل التحليل المنهجي للمفاهيم الثقافية التي أنتجتها الأمة لنفسها وتبلورت في المفاهيم المفتاحية للغتها.[3]

وتبرز أهمية التحليل الدلالي في أنّه لا يتوقف عند البحث في دلالة المفردة القرآنية من الناحية اللغوية ولا حتى عند البحث على معناها في السياق القرآني ولكنّه يتجاوز ذلك إلى البحث عن معانيها المستمدة من نظام العلاقات الذي يحكمها، نظام في غاية الدقة وفي غاية التعقيد، لأنّ الكلمات التي تشترك مع غيرها في حقل دلالي واحد تُنتج مفاهيما متنوعة ولكنّها مترابطة فيما بينها في المجموعة الواحدة ومترابطة مع غيرها من المجموعات ذات الدلالات المتنوعة ولهذا فإن الأهمية لا تكمن في معرفة معنى الكلمات وهي منعزلة ولكن في معرفة في إطار نظامها المفهومي الذي يشكل بنيتها العامة أو ما يمكن أن نطلق عليه الكل الموحّد المعبر عنه بالجشتلت gestalt في اللغة الألمانية. لاشك أن الإشكال الذي أثاره الدكتور فضل الرحمن أو ما عبّر عنه بالمعضلة الأساسية في منهج إزيتسو يظل قائما، لأن القول بأن المصطلحات المفتاحية هي التي تحدد النظام يقتضي معرفة النظام نفسه حتى نعرف إذا كان هناك ما يبرر اعتبار كلمة ما كلمة مفتاحية أم لا وحتى تكون هذه الكلمة مفهومة في إطار هذا الكل الموحّد. ومع ذلك فإنّنا نزعم أن معرفة النظام في تفصيلاته ليس شرطا لمعرفة المعنى التي تحمله ما افترضناه من كلمات مفتاحية ولكن افتراض النظام في ذاته أمر لا يمكن الاستغناء عنه. لنضرب على ذلك مثلا لو افترضنا أن الطبيعة تسير وفق نظام محكم وأردنا أن نبحث عن القوانين التي تحكمه فإنّنا سنصل إلى اكتشاف هذه القوانين ونكتشف العلاقات التي تربط بينها وبالتالي نصل إلى الكشف عن النظام الذي افترضنا وجوده مسبقا، ولكن لو قلنا إن الطبيعة تحكمها الصدفة والاعتباطية فإننا حتى

ولو تمكنا من معرفة بعضا من القوانين الطبيعية لن نصل إلى الكشف عن النظام الذي يشكل كلا موحّدا. لعلنا بذلك نخرج من الحلقة المفرغة التي خشيها فضل الرحمن عند تقديمه لكتاب أوزيتسو المشار إليه آنفا.

٢ / نماذج من تطبيق المنهج الدلالي على النص القرآني

لن نتعرض في هذه الفقرة إلى كل المصطلحات المفتاحية التي تناولها أوزيتسو في كتاباته ولكن سنتوقف عند أهمّها لنتبين صلاحية المنهج الدلالي الذي اعتمده. سنتوقف عند مصطلح الله والوحي الإسلام. يفرّق اوزيتسو بين مستويين من معاني المفردة القرآنية، المعنى الأساسي Basic meaning والمعنى العلاقي relational meaning، فالأول مصاحب للكلمة في كل معانيها لأنه الأساس المشترك أمّا المعنى العلاقي فهو المعنى الذي تتمّ إضافته ولكنّه يتخذ موقعه الدائم في حقل دلالي جديد. المعجم اللغوي ليس مجرد عدد من الكلمات التي انتظمت اتفاقا في مجموعات وإنما وفق نظام معقد يتقاطع فيه المعنيان الأساسي والإضافي ومنه تتكون الحقول الدلالية[4] وبالتالي فليس من السهل تحديد المعنى الأساسي لأنّه في الغالب الأعم لم يعد المعنى الأكثر تداولا ولذلك يميل أوزيتسو إلى اعتباره مفهوم منهجي حيث يقول ''هذا المعنى الأساسي هو في الواقع، مفهوم منهجي فحسب، أي أنّه مبدأ نظري جوهري يُثبت فائدته أنّى أردنا تحليل كلمة ما تحليلا علميا. إنّنا على أية حال لا نجد المعنى الأساسي بهذا الشكل المجرد في عالم الواقع. فقد سلمنا بوجود شيء كهذا فقط كفرضية للعمل في تحليلنا الدلالي للكلمات، ذلك أن الفرضية تيسّر إجراءنا التحليلي في أغلب الحالات، وتجعل فهمنا معاني الكلمات نظاميا أكثر، ودقيقا من الناحية العلمية.[5]

كلمة الله من المعنى الأساسي إلى المعنى العلاقي

تحتل كلمة الله موقع المركز في النظام الدلالي القرآني وبالرغم من أن الكلمة في حد ذاتها لم تكن مجهولة عند عرب ما قبل الإسلام بل كانت مألوفة ولكنّها كانت متماهية مع غيرها من الكلمات التي تنتمي إلى نفس المجال الدلالي فكيف إذا اكتسبت هذه الأهمية القصوى في الخطاب القرآني. هل تأسس المفهوم الجديد على القديم أم بالعكس من ذلك تأسس على القطيعة معه، هل كان هناك نوع من الرابطة الجوهرية التي تجمع بين المفهومين أم أن الأمر لا يعدو أن يكون مجرّد توافق في المبنى اللغوي ولا علاقة بين مفهوم الكلمتين؟ ينطلق أوزيتسو من تثبيت ملاحظة أولية

مفادها أن الجدل الذي دار بين المؤمنين الأوائل وبين مشركي قريش حول الخالق وطبيعته وعلاقته بمخلوقاته يعكس نوعا من المعرفة المشتركة بموضوع الحوار، يقول أوزيتسو ''إن حقيقة أن اسم 'الله' كان معروفا لدى كل من العرب الوثنيين والمسلمين، بالذات، وخاصة حقيقة أنّه أثار الكثير من المناقشات الساخنة حول مفهوم 'الإله'، توحي على نحو حاسم بأن هناك أرضية فهم مشتركة بين الطرفين، وإلا ما كان يمكن أن يحدث جدال ونقاش مطلقا. وعندما خاطب الرسول ﷺ مناوئيه باسم 'الله' فإنه فعل ذلك بشكل مباشر وبسيط لأنّه كان يعلم أن هذا الاسم يعني شيئا -وشيئا مهمّا- بالنسبة إلى أذهانهم أيضا. ولولم يكن الأمر كذلك، لما كانت فاعليته ذات معنى بهذا الشأن.[6] وكما أنّه في كل خطاب كلمات مفتاحية فإن الكلمة المفتاحية في نص أوزيتسو الذي استشهدنا به للتو هي ''أرضية فهم مشتركة بين الطرفين''، إذا كان الفهم المشترك الذي يعنيه أوزيتسو يتعلق بالفهم المعجمي للكلمة فإن ذلك لا يوحي بوجود أرضية مشتركة في المفهوم ولذلك كثيرا ما استعمل القرآن الكريم كلمة الجدال لوصف الحوار ذو المنطلقات المتباينة وإذا كان يقصد بالفهم المشترك التوافق على الحد الأدنى أو الاختلاف على الحد الأقصى فإن الأمر يحتاج إلى شيء من التأمل لأنّ ما دار من جدال بين المؤمنين والمشركين من العرب بشأن الله سبحانه وتعالى لا يعكس بعضا من التوافق في المفهوم بقدر ما يعكس قدرا كبيرا من الاختلاف الجذري فيه. ولكن دعنا أولا نرى كيف فهم أوزيتسو المعنى الأساسي لكلمة ''الله''؟ يرى أوزيتسو مُثَمِّنًا بذلك المقارنة الشكلية التي قام الكثير من الباحثين الغربيين بين كلمة ''الله'' عند عرب الجزيرة والكلمة الإغريقية ho-theos التي تعني ببساطة ''ال-إله'' في مفهومه المجرد ولكن العرب لم يستوعبوا في البداية هذا التجريد لأسباب سنتعرض لها لاحقا فجعلوه مجسّدا في عدد من الآلهة المحلية ثم عادت فتطورت عندهم فكرة الإله المجرد، يقول أوزيتسو ''وأيا ما كان عليه هذا (الأمر)، فإنّ المؤكد من القرآن وحده أنّه في الوقت الذي بدأ فيه محمد ﷺ يبشر بالإسلام، كان العرب الوثنيون يقتربون من تكوين فكرة غامضة على الأقل، وربما إيمان غامض أيضا، بالله بوصفه الإله الأسمى المتعالي فوق مستوى المعبودات المحلية.''[7]

أظن أن هذا التصور مخالف لمضمون القرآن الذي يشير صراحة إلى أن تجسيد فكرة الإله تحريفا للمفهوم التوحيدي المجرد وليس العكس.[8] وقد استمر الإيمان بها عند العرب من أهل الكتاب ومن كانوا منهم من الأحناف. ولكن المؤكد أن القرآن انطلق مما تبقّى من مفهوم التوحيد الخالص الذي وسّعه على المستويين الأفقي

والعمودي ليضفي عليه المعنى العلاقي الذي أشار إليه أزويتسو ولذلك فإن القول بأن الإسلام والجاهلية مفهومان متقابلان حدّيا قول يفتقر إلى الدقة، لاشك أن مفهوم التوحيد يتعارض مع مفهوم الشرك من حيث كونه تصور عام للوجود ولكنه شرك يتضمن فكرة الإله الواحد حتى وإن جعلوا له شركاء ولذلك كانت المنزلة الأكثر سوءا منزلة الشرك التي لا يطمع صاحبها معها في مغفرة من الله بينما يقبل أن يغفر ما دونها. يحدد أوزيتسو لكلمة الله مفاهيم ثلاثة: مفهوم وثني وهو ما كان شائعا بين عرب الجاهلية، مفهوم كتابي وهو المفهوم المتداول عند اليهود والنصارى ويعني إله الكتاب المقدس ويعتبر شعر العربي المسيحي عدي بن زيد الأكثر تعبيرا عن هذا الاتجاه ولكن يمكن أيضا أن نعثر على مثل هذا المعنى عند شعراء عرب وثنيين بمناسبة مدحهم لمن كفلهم أو رعاهم من ملوك وأمراء مسيحيين بغض النظر عن مدى إيمانهم أو وعيهم الشخصي، مفهوم حنيفي عبّر عنه بوضوح تام شاعر قبيلة ثقيف أمّية بن أبي الصلت لعلّه الأقرب في صياغته من المفهوم التوحيدي القرآني ومع ذلك رفض ابن أبي الصلت نبوّة محمد ﷺ بشدّه لأنّه كان يعتبر نفسه الأكثر استعداد لتلقي النداء المقدس.

يتأمل أوزيتسو في المفهوم الوثني لكلمة الله ويستنتج منها العناصر الآتية: الله هو الخالق للعالم، الواهب للحياة، الأحق بالتقديس، والمتصف بالوحدانية ورب الكعبة، تشكل هذه العناصر في مجملها حقلا دلاليا يشترك فيه المفهوم الوثني والمفهوم التوحيدي ووجد في الآيات الآتية ما يدعم ما ذهب إليه: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾العنكبوت:٦١ و ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّن نَّزَّلَ مِنَ السَّمَاء مَاء فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ مِن بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ اللهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾العنكبوت:٦٣ و ﴿وَإِذَا غَشِيَهُم مَّوْجٌ كَالظُّلَلِ دَعَوُا اللهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ فَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ﴾.لقمان:٣١ يقول أوزيتسو معلقا على صفة مخلصين ''والأكيد أن هذا التعبير كما هو واضح يتضمن أن العرب الوثنيين اعتادوا -في حالة الطوارئ، إذ يشعرون جديا بأن حياتهم في خطر مميت- على الرجوع عفويا إلى ''توحيد مؤقت''، ومن دون أي تفكير بالمضامين العميقة لفعل كهذا. من هنا تعني عبارة ''يجعلون دينهم خالصا لله'' في سياق هذا النوع، ما يمكننا تسميته بـ ''التوحيد المؤقت أو السريع الزوال'' وليس الإخلاص أو الجدية في دعاء المرء''.[9] ولكن صفة الإخلاص التي وردت في الآية لا تفيد إخلاص الإيمان حتى وإن كان مؤقتا ولكنها تعكس حالة الخوف من الهلاك في الدنيا ولذلك

عقب الله فقال: ﴿فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ فَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ﴾.لقمان:٣٢ ويمكن أن نقول نفس الشيء عن مضامين بقية النقاط، هناك لاشك تشابه في الألفاظ ولكن هناك اختلاف نسبي إذا لم نقل كلّيا في مدلولاتها، فهل يصح بعد ذلك الحديث عن حقل دلالي مشترك بين التصور القرآني والتصور الوثني؟ في الحقيقة لم تنحصر مهمة القرآن في جعل هذه العناصر التي افترض وجودها أوزيتسو أكثر وضوحا وتأثيرا بقوة المنطق وإنّما في تقديم رؤية كونية أصبحت العلاقة بين الله وبين الإنسان والوجود علاقة تفاعلية في عمقها توحيدية في أثرها

لننظر الآن في مفهوم الوحي وكيف فرّق أوزيتسو بين معناه الأساسي ومعناه العلاقي وبين معانيه في التصور الوثني ومعانيه في التصور التوحيدي وما خصائص الوحي المحمدي؟

كلمة الوحي من المعنى الأساسي إلى المعنى العلاقي

يعتبر الوحي من مظاهر تجلّي الله سبحانه وتعالى من خلال اللغة وتحديدا من خلال الكلام ولا يتم ذلك بلغة إنسانية غامضة وإنما بلغة إنسانية تحمل قابلية الفهم المتجدد. والفهم يقتضي الحد الأدنى من الإشراك الدلالي بين الوحي في مفهومه السائد عند عرب ما قبل الإسلام والوحي في مفهومه القرآني. كلمة الوحي واحدة من الكلمات الأكثر تداولا في الشعر الجاهلي، يرى أوزيتسو أن الوحي يتضمن أولا معنى التواصل بين شخصين ولكنّه تواصل أحادي الجانب لأن هذه العلاقة حالما تترسخ لا يمكن أن تُعكس على الإطلاق. ويتضمن ثانيا فكرة أن العلامات التي تستعمل لغرض التواصل ليس من الضروري أن تكون لفظية. ويتضمن ثالثا فكرة مصاحبة الغموض والسرية لأن ما ينقله (أ) إلى (ب) يكون تام الوضوح لـ (ب) ولكنه لن يكون واضحا للآخرين على الأقل بالدرجة نفسها التي كان واضحا بها عند (ب). يتوقف أوزيتسو عند بيت شعر من القصائد المشهورة لعلقمة بن فحل:

يوحي إليها بإنقاض ونقنقة كما تراطنُ في أفدانها الروم.

والمعنى أن ذكر النعامة يتكلم إلى صاحبته ''يوحي'' وهي الصيغة الفعلية لكلمة الوحي، ''الوحي بالأنقاض'' وهو لغة النعام و ''النقنقة'' كلمة محاكية لصوت النعام تماما مثل الشخص الذي يستمع إلى حديث يدور بين شخصين لا يفقه لغتهما ومن هنا يتأتى الغموض. يعطي المعجم العربي عادة معنيين مختلفين لكلمة الوحي، معنى الإلهام ومعنى الحروف، قد يبدو الأمر مفارقا باعتبار أن مضمون الإلهام وإن كان

واضحا للمتلقي، غامضا وبدرجات مختلفة للآخرين أما الخطاب المكتوب فالأصل أن يكون قابلا للفهم وتلك هي مهمة الحرف، توفير قابلية الفهم فكيف إذا يقع الجمع بين الإلهام والحروف؟ يقول أوزيتسو متحدثا عن الذين يصرّون على التفريق بين هذين المستويين ''إنّ هذه النظرة تغفل حقيقة ذات أهمية كبيرة، وهي أن الحروف كانت شيئا غامضا جدّا بالنسبة إلى العرب ''الجاهليين'' الذين كانوا أمّيين بشكل كامل تقريبا. ونحن نعرف كيف أنّهم كانوا مفتونين إلى حد الدهشة بغرابة الحروف العربية الجنوبية المحفورة على الحجارة. لقد كان عصرا مازالت كلمة ''قلم'' فيه محمّلة بما هو معتاد من المضامين العميقة.''[10] ولكن إذا افترضنا أن العرب لا يحسنون فك شفرة الحروف فلماذا أقسم الله بالقلم وجعل الكتابة به أساس كل علم؟ ألا يدل ذلك على أهمية القلم عندهم على الأقل من الناحية النظرية. هذا القسم الإلهي يعكس مدى أهمية الحروف في الحقل الدلالي الجاهلي وإلا لن يكون لهذا القسم أثر في دفع عرب الجاهلية إلى التفكير في القضايا التي أثارها الإسلام. وهذا يعني أنّ العرب كانوا على وعي تام بأهمية الحروف ووظيفتها في توصيل المعاني ومن المحتمل جدا أنّهم يجهلون كيفية استخراج المعاني منها وعلى فرض صدقية هذا الاحتمال فإن هذه المنزلة للحروف لم تكن أمرا ذا أهمية بالغة.[11]

يحدد أوزيتسو الوحي في أنواع ثلاثة، الأول حالة من التواصل المباشر التي خصّ الله به موسى عليه السلام، الحالة الثانية هي التواصل اللفظي وهو ما يعبر عنه بالتواصل من وراء حجاب وهو غير الإلهام وفي هذه الحالة لا يرى المتكلم نفسه وعدم الرؤية المجرّدة لا تعني عدم تصور الكائن الوسيط وهذه الحالة تنطبق على النبي محمد ﷺ، الحالة الثالثة، التواصل اللفظي من خلال رسول خاص وهذه أيضا من الحالات التي تنطبق على الرسول محمد ﷺ ولذلك لم يكن رسولا من النوع السمعي فقط بل أيضا من النوع البصري وأطلق القرآن على هذا الكائن الملائكي الذي كان ينزل بالقرآن على محمد بالروح القدس وبالروح الأمين، ﴿قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِالْحَقِّ لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ آمَنُواْ وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ﴾،النحل:١٠٢ وإنّه لتنزيل رب العالمين، ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ. عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ. بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ﴾الشعراء:١٩٥-١٩٥ وأصبح في المدينة يدعى جبريل ﴿قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللّهِ مُصَدِّقاً لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ﴾البقرة:٩٧ وبذلك يكون الوحي قد مرّ بثلاث محطات رئيسية، الأولى تتمثل في مصدره والثانية في الكائن الملائكي الوسيط والثالثة في النبي المتلقي ولكن أوزيتسو يشير إلى نقطة في غاية الأهمية وهي أن

الاكتفاء بهذه المراحل الثلاث لا تكفي لاستيعاب عملية الوحي لأن الوحي في المفهوم القرآني لا يهدف إلى الخلاص الشخصي للنبي محمد ﷺ وإنما لإنقاذ البشرية في دوائر متسعة تدريجيا لتشمل الناس كافة، دوائر تبدأ بأهل مكة ثم تمتد لتشمل كل العرب ثم تتسع لتسع الناس أجمعين، يقول أوزيتسو "إن هدف الوحي الإلهي الدقيق هو القضية الأساسية في المرحلة الرابعة، إنّ الله، كما رأينا للتوّ، يكشف عن إرادته لمحمد ﷺ بواسطة رسول سماوي، لكن محمّدا ﷺ نفسه ليس الهدف النهائي، فالوحي لا يهدف إلى الخلاص الشخصي لمحمّد ﷺ. وإنّ الله لا يتكلم إلى محمّد ﷺ من أجل الكلام إليه ببساطة. إنّ الكلمات الإلهية يجب أن تتجاوز محمّدا ﷺ: أن تُبلّغ الآخرين في الحالات الاعتيادية للفعل الكلامي (أ ب) يتكلّم (أ) مع (ب) ويتوقف الكلام عندما يصل إلى (ب). وإذا كان لابد من استمرار الكلام حوارا، فإنّ العملية نفسها ستبقى كما هي ببساطة، إذ يصبح المستمع الأصلي (ب) متكلّما ويقول شيئا ما لـ (أ) المتكلم الأصلي (ب أ)، هذه بنية الكلام المعتاد، بينما في حالتنا الخاصة، لابد لـ (ب) أن يصبح متكلما بدوره، لا بالاتجاه المعاكس، بل بالاتجاه نفسه أو على الأصح، كمبلّغ لما قاله (أ). هنا تظهر مسألة "التبليغ" أو "البلاغ"، فيسمّى (ب) رسولا بوظيفته كمبلّغ للكلمات الإلهية تحديدا. وفي ضوء هذا، فإنّ مفهوم الوحي في الإسلام ليس "علاقة-ثلاثة أشخاص".[12]

فالعلاقة قي تصور أوزيتسو رباعية ولكنّها رباعية ممتدة في اتجاه واحد. وتصبح الوظيفة الأساسية للنبي هي أن يحفظ النص الموحى إليه في ذاكرته حفظا تاما، يمتنع فيه الخطأ والنسيان، لأنّ المبلّغ في هذه الحالة يجب أن ينقل بأمانة كاملة كلام الله الموحي، لأنّ العبرة ليس في ظاهرة الوحي وكيفيته ولكن في مضمونه القولي، على سبيل المثال لا يهمّ النبي موسى كيف أُلهم وما العبارات التي تلقّاها لكي ينفّذ الأمر بإلقاء العصا ولكن الذي يهمّه فهم الأمر والتصرّف وفق ما يقتضيه معنى وليس لفظا ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ﴾.[الأعراف:١١٧]

الكلمات لا تهم كثيرا ولكن المهم ما نتج عنها وعندما يتحقق الغرض منها لم يعد ضروريا أن تبقى على نحو دائم، بينما في حالة الوحي القرآني فإن كل كلمة وكل عبارة لابد أن تبقى دائما على الشكل الذي تنزلت به ولهذا السبب كان النبي محمد حريصا كل الحرص على عدم التفريط في كلمة واحدة مما كان يتنزّل عليه من الوحي بل أجهد نفسه في ذلك حتى قال له الله تعالى: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ. إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ. فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ﴾.[القيامة:١٦-١٨] سواء كان الوحي قولا أو إشارة

فهو تواصل لفظي أو غير لفظي بين الله والإنسان، تواصل تمتنع عنه صفة الحوارية أو التعليمية بحكم استحالة تحقق نوع من المساواة بين الجانبين القائل والسامع أو المرسل والمتلقي.

كلمة الإسلام بين المفهوم الأساسي والمفهوم العلاقي

لنتوقف الآن عند كلمة إسلام أو فعل أسلم كما وردت في جملة ﴿أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ﴾البقرة:١١٢ التي تعني في الأصل استسلام النفس استسلاما غير مشروط لله ولكن الاستسلام لا يؤدي إلى نقلة نوعية في حياة الفرد إلا إذا كان صاحبه واعيا بأن ما يتضمّنه هذا الاستسلام من معاني الخضوع والطاعة هو جوهر روح التحرر التي تشكل العمود الفقري في البنية النفسية لعرب الجاهلية. ولذلك تبرز عندهم صفات معيّنة مثل الاعتداد بالقوة الإنسانية والثقة اللاّمحدودة بالنفس التي يعتبرونها من المثال الأعلى للفضائل الإنسانية. ولكن القرآن اعتبر أن قيم التحرر هذه المزعومة تتحول في الإطار غير التوحيدي إلى نوع من ''الأنفة'' و ''الإباء'' و ''الحمّية''. حماية العرض التي تعتبر نقطة الارتكاز في حياة عرب الجاهلية بل المبدأ الأعلى الضابط لسلوكهم لا يمكن في نظر الإسلام أن تتحقق بالفعل إلا في إطار النظام الأخلاقي الذي جاء للتبشير به.

ما يهمّ أوزيتسو في هذا التحليل هو هذه النقلة الدلالية التي أحدثها الإسلام في معنى الاستسلام حيث انطلق من قيم العرب التي تقوم عمليا على الأنفة والإباء والحمّية ليضفي عليها معنى التحرر الحقيقي وبذلك أعطى للمعنى الأساسي لفعل أسلم معنى علاقيا. يقول أوزيتسو ''إنّ روح المقاومة المتّقدة هذه التي تجعل الرجل يرفض بكل تصميم الخضوع والاستسلام لإرادة رجل آخر، ملطّخا شرفه بذلك''، كانت في الواقع المنبع الحقيقي لكل القيم الإنسانية ''الجاهلية'' تقريبا. وقد وجدت هذه الروح تعبيرها في أشكال متنوعة في الشعر ''الجاهلي'' كله. وهذا مثال يعبّر عنها بأبسط الطرق وأكثرها صراحة [البيت لأبي زياد عبيد بن الأبرص]،

نأبى على النّاس المقادة كلّهم حتّى نقودهم بغير زمام.

جعل القرآن هذا الاستعلاء المبالغ فيه سببا للطغيان ولذلك طالب بالاستسلام كلّية لله حتى يستطيع الإنسان أن يحقق ذاته ويضمن حريته بشكل متوازن. لا شك أن هذا الطلب لم يكن بالشيء السهل قبوله ولكن العربي الذي يرفض الانصياع لكل قوة مثيلة له من حيث الطبيعة كانت له قابلية الانصياع لقوة مفارقة وتخضع لها جمع

المخلوقات. ولذلك وصف القرآن الذين لم يقبلوا هذه الدعوة بـ ''الجاهليين'' لأن الوجه الأبرز في مفهوم الجهل الجهل هو السلوك النموذجي للرجل المتهور الذي لا يستطيع السيطرة على نفسه لأدنى إثارة تستفزه فيردّ الفعل دون أن يفكّر مطلقا بالعاقبة الكارثية التي يمكن أن تنتج عنها وجعل نقيض ذلك الحلم لأنه يساعد الإنسان على كبح مشاعره والتغلب على انفعالاته ولذلك فهو تعبير عن القدرة وليس تعبيرا عن العجز ولذلك تمّ الربط بينه وبين الوقار الذي يعكس نوعا خاصا من الهدوء والتوازن الداخليين.

عليهم وقار الحلم حتّى كأنّما وليدهم من أجل هيبته كهلُ

هكذا قال الشاعر الأموي الذي كان يعرف بالأقطع. إذا كان الإسلام قد رفض كل هذه المعاني المتعلقة بالجهل مثل الحكم الانفعالي والحكم السطحي والحكم الذي يتأسس على الجهل بالنفس فإنّه جعل الحلم صفة من صفات الله بل أصبحت السمت البارز للخطاب القرآني كما كان الجهل هو السمت البارز لقيم الجاهلية. فهذه المكانة المهمّة التي أصبحت للحلم في شبكة المفاهيم الإسلامية جعلت الاستسلام لله أمرا منطقيا لأن امتلاك القدرة على التحكم في النوازع الذاتية يؤدّي إلى الخضوع المطلق لقيمة الحلم ولكنّه بوصول ''الحلم'' إلى هذه الدرجة من الاكتمال يتحول إلى ''إسلام'' من ذلك يتبين لنا أهمّية المعاني الإضافية التي أعطاها الإسلام لمفهوم الحلم.

٣ / نماذج من التطبيق الدلالي على المستوى الصوفي

في الفقرة السابقة توقفنا عند نماذج من المصطلحات التي اشتغل عليها أوزيتسو ورأينا أهمية التحليل الدلالي في فهم العلاقة بين المصطلح وبين الشبكة الدلالية التي يوضع فيها وكيف استطاع الإسلام أن ينطلق من المصطلحات الأساسية في شبكة المفاهيم ''الجاهلية'' ثم يعيد بناءها ضمن الرؤية الإسلامية العامة فيعطيها معان إضافية تغير من طبيعتها الدلالية ووظيفتها التعبيرية ولكنها تظل تتحرك في فضاء اللغة العربية المعبّرة في ذات الوقت عن منظومة المفاهيم ''الجاهلية'' ومنظومة المفاهيم القرآنية. استطاع أوزيتسو أن يقدّم لنا عملا في غاية الطرافة والأصالة في ذات الوقت وذلك بغض النظر عن بعض التعميمات غير الموفّقة والناتجة أساسا عن إصراره في بعض الحالات على القول ضمنا بأن أهمية الإسلام لا تكمن في المصطلحات التي أنتجها ولكن في قدرته على إتقان استراتيجية الانزلاق بالمعاني من حقل دلالي معيّن

إلى حقل دلالي آخر. ولكن إذا كان من الممكن الكشف عن البنية التحتية للخطاب ''الجاهلي'' والخطاب القرآني وبيان قدرة الإسلام على القيام بتحويل ناجح لمدلولات المصطلحات ''الجاهلية'' وتسليحها بمعان إضافية جديدة جسّدت بالفعل قدرة الإسلام على الهضم والاستيعاب ضمن معادلة الاحتفاظ والتجاوز فإلى أي حد يمكن تطبيق المنهج نفسه على مصطلحات نشأت في نظم لغوية وبيئات ثقافية وفضاءات حضارية مختلفة؟ هل من الممكن تطبيق هذا المنهج الدلالي على المصطلحات العرفانية في المجال التداولي والمجال التداولي البوذي؟ سنتوقف عند مصطلحي وحدة الوجود والخلق المتجدد اللذين تعرَّض لهما أوزيتسو في معظم كتاباته وخاصة في كتابه ''وحدة الوجود والخلق المتجدد في التصوف الإسلامي''.

البنية الأساسية للفلسفات الشرقية من خلال مفهوم وحدة الوجود

كتب أوزيتسو متحدثا عن الدواعي التي جعلته يهتم بالبحث في ''وحدة الوجود'' لم أختر البحث في مصطلح وحدة الوجود بسبب قناعتي الفلسفية الشخصية ولكن أولا وقبل كل شيء بسبب قناعتي بأنه بتطوير مفهوم وحدة الوجود يمكن أن نكّون إطارا نظريا يوضح بجلاء واحدا من طرق التفكير المميّزة للفلسفة الشرقية بشكل عام التي لا تنحصر في الفلسفة الإسلامية وإنما تمتد إلى معظم الأشكال التاريخية الرئيسة للفكر الشرقي. وهكذا ومن وجهة نظر الفلسفات الشرقية نستطيع أن نسهم في تطوير فلسفة عالمية جديدة -لطالما تمنّاها الجميع- مؤسسة على الإرث الفكري والروحي للغرب والشرق.[13]

فكرة إيجاد فلسفة عالمية واحدة مستلهمة من التراث الفكري الغربي والشرقي للتقريب بين هذين القطبين، الشرق والغرب، فكرة قد سبق أن كانت محل اهتمام مباشر في مجال الفلسفة المقارنة ولكن أوزيتسو يرى أن هذه المحاولة لم تثمر شيئا ذا قيمة وظلت مهمّشة وأرجع ذلك لغموض المصطلحات المستخدمة وعدم دقتها وإلى افتقار هذه المحاولة إلى منهج سليم ومناسب للقضايا التي عالجتها. من هنا كان الجانب المنهجي محور اهتمامات أوزيتسو من أجل الوصول إلى يناء هذه الفلسفة العالمية الموحدة. يقترح أوزيتسو من أجل ترسيخ تفاهم فلسفي حقيقي وعميق بين الشرق والغرب إلى العمل على تطوير منهجي لما أطلق عليه ''ما وراء فلسفة'' الفلسفات وهي عبارة عن تصميم بنيوي عام تتفرع عنه تقسيمات جزئية، كل قسم منها يحتوي على عدد من المفاهيم المختارة بطريقة تحليلية أو مركّبة انطلاقا من المفاهيم

الأساسية لأهم الأنساق الفلسفية الغربية منها والشرقية. من أين نبدأ لرسم هذا التصميم البنيوي العام وتفريعاته المرتبة على أسس منهجية معينة؟ برى أوزيتسو ''أن الخطوة الأولى التي يجب القيام بها حتى نصل إلى بناء ما وراء الفلسفة -على الأقل فيما يعنيني- تحليلي دلالي عميق لبنية المفاهيم المفتاحية لكل نسق فلسفي، ينتج عنه -وهذا ما أتمنّاه- نظام مفاهيمي واسع، في غاية التعقيد ولكنّه جد منظم ومرن. في هذا النظام المفاهيمي،كل نسق فلسفي معين سيحتل مكانه وستكون مفرداته المعبّرة عن الاختلاف مع الأنساق الأخرى أو عن المعبّرة عن التوافق معها واضحة بشكل منهجي''.[14]

تلك هي المهمّة التي أخذها أوزيتسو على عاتقه فبدأ بتحليل مفهوم وحدة الوجود الذي يحتل مساحة جد محدودة في النظام المفاهيمي الشامل ولكن أوزيتسو يرى فيه بشرط التوفق إلى معرفة بنيته الأساسية أنموذجا مفاهيميا أساسيا يمكّن فلسفات الشرق من الوصول إلى أرضية بنيوية موحدة على الأقل فيما يتعلق بجوانبها الجوهرية. معرفة البنية الأساسية لمفهوم وحدة الوجود يقتضي بالضرورة عدم اعتباره مفهوما إسلاميا أو إسلاميا إيرانيا تحديدا والبحث عن معناه الأساسي المشترك بين كتب الفيدا الهندوسية والبوذية والطاوية نسبة إلى لاوتسي الصيني والكونفشيوسية، بلغة أخرى يقع التركيز في البحث عن جوهره وأن تترك جانبا صور تعيّناته المختلفة. البنية في تصور أوزيتسو ليست مجرد قالب صوري وإنّما هو نسق مفاهيمي أو لغوي يتكون من مفاهيم فلسفية مفتاحية جد منظّمة الهدف منها إدراك الرؤية المحورية للنسق في مجمله وإدراك الروح التي تسري فيه من الداخل لتعطيه شكله الخارجي. في عمقه مفهوم وحدة الوجود لا يعني أكثر من إعادة بناء نظرية أو عقلية لرؤية ميتافيزيقية طريفة تكونت بوصفها حدس لحقيقة الوجود، ليس الوجود كما يبدو لكل واحد منّا ولكن الوجود في حقيقته المطلقة. ولقد كان موضوع الوجود من القضايا التي شغلت فلاسفة الإسلام ولكنّهم لفترة طويلة ظلّوا ينظرون إليه بوصفه جزءا من الوجود. ولم تعرف الفلسفة الإسلامية التفريق بين الوجود والموجود إلا مع تجربة ابن عربي وإن كان ابن سينا قد سبقه عندما اعتبر الوجود حادثا أو صفة للماهية. وهكذا تكون الأشياء مجرّد تعيّن محدود في طبيعته ومحدد في زمنه للوجود الحقيقي. هذا التفريق بين الأشياء الموجودة وبين الوجود في ذاته، نجده أيضا النصوص المعتمدة في الطاوية والبوذية حيث مثلا يقول كاتب ''تا تشنق تشي شين لون'' أو ما يمكن ترجمته بـ ''إحياء العقيدة في المهانيا'' ''الناس الذين لم يبلغوا بعد درجة الإشراق يقومون اعتمادا على عقولهم

القاصرة بالتمييز بين الموجودات"[15] بمعنى أنهم يلجأون إلى التفريق بين وحدة الحقيقة المطلقة والأصلية والموجودات في تعيّناتها المفردة وبذلك يمتنع عليهم إدراك الحقيقة المطلقة التي تتجاوز التعينات الظاهرتية وبالتالي فالموجودات الحسية في حقيقتها ظواهر وهمية. من المفيد الإشارة إلى أن كلمة المطلق المأخوذ من السنسكريتية tathâtâ تعني حرفيا "الوجود كما تعيّن" وقد ترجمت الكلمة إلى الصينية chên ju وإلى اليابانية shin-nyo وكلها تعني الشيء كما هو في الواقع تمييزا عن الشيء كما هو في طبيعته أو الشيء قبل أن تنال منه تعريفات العقول القاصرة. وأقرب الكلمات المعبّرة عن مستويات الحقيقة في المجال التداولي الإسلامي هي كلمة "الكشف" والتفريق المعروف بين الوجود الاعتباري والوجود المجازي.

مفهوم الخلق المتجدد في التصوف الإسلامي وفي بوذية زان

إنطلق أوزيتسو من الآية القرآنية الكريمة "أفعيينا بالخلق الأول بل هم في لبس من خلق جديد" التي قي ظاهرها كما يقول إثبات لمن يشك في البعث بأن من كان قادرا على الخلق الأول يقدر عن الخلق الجديد والمتجدد ولكنها في باطنها كما يذهب إلى ذلك أهل العرفان حين فهموا الخلق الجديد بالخلق المتجدد بشكل دائم ويلتقي هذا المفهوم للخلق المتجدد مع أحد ألمع حكماء بوذية زان في اليونان والحكيم دوقان (١٢٠٠-١٢٥٣) وخاصة إنطلاقا من كتابه الذي يحمل العنوان الآتي: shôbô Genzô الذي يمكن ترجمته كالآتي "لبّ التصور الكامل للحقيقة". وهو ما جعل أوزيتسو يقول بعالمية مفهوم الخلق المتجدد. يقول دوقان "يتحول الخشب الوقود إلى رماد، الرماد لا يعود أبدا إلى حالته الأولى، خشب للوقود ومع ذلك يجب إلا نتسرّع ونستنتج انطلاقا من هذه الملاحظة أن الخشب ما قبل وأن الرماد ما بعد". صحيح أن المشاهد العادي سيفهم أن ما كان في حالته الأولى خشبا صار رمادا بفعل الاحتراق، بمعنى أن هناك جوهر من نوع ما استمر في الوجود تنازليا خلال عملية الاحتراق حتى عندما احترق بشكل كامل تغير تعيّنه المادّي ليصير شيئا آخر مختلفا نوعيا عمّا كان عليه. يقول دوقان، أخطأ من اعتقد ذلك لأن طبيعة الخشب ظلت واحدة، كان خشبا قابلا للاحتراق فأصبح خشبا محترقا بالفعل، إذا فصفته الأنطلوجية لم تتغير. وعليه ليس هناك وجود بعدي ووجود قبلي. ويذهب هاكون يوزوتاني، من حكماء الزان المعاصرين إلى أبعد من ذلك فيقول أن "الحطبة ليست حطبة ولم يحصل أن كانت في زمن ما على طبيعتها الأنطولوجية بوصفها حطبة، فليس لها ماقبل ولا مابعد، فهي مقطوعة عمّا قبلها وعمّا بعدها"[16] فالحطبة في ذاتها تكاد لا توجد باعتبار أن ليس لها

ماهية أو طبيعة خاصة بها فليس لها إلا حقيقة مؤقتة. وقد أثر عن الحكيم kai 1042-(1117) قوله المشهور ''الجبل الأخضر في حركة دائمة'' فبالرغم من أنّه يبدو أنه ساكن فهو في حركة مستمرة ويذكرنا ذلك بقوله تعالى: ﴿وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ صُنْعَ اللهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ﴾''النمل:٨٨ فليس هناك فرق بين القول بأن الماء يجري أو القول بأن الجبل يتحرك لأن حقيقتهما واحدة، كلاهما في حركة مستمرة ولكن إدراك الحقيقتين لا يتم بنفس الطريقة. يمكن أن نخلص إلى القول بأن في تصور دوقان، الأشياء تتجدد في كل لحظة زمنية، وفي كل لحظة من الزمن تكون مقطوعة عمّا قبلها وعمّا بعدها. بعد أن يستعرض أوزيتسو فكرة الخلق المتجدد عند حكماء بوذية زان يقارن بفكرة الخلق المتجدد عند محمد الإيجي الذي قال بأن كل شيء في العالم أنطلوجيا ممكن ولكنه يحمل في ذاته إمكان هلاكه لو ترك لحاله. بهذه الطريقة كل شيء له وجود مؤقت لأنفي اللحظة التي أصبح موجودا فإن طبيعته تدفعه بالضرورة إلى اللاّوجود. ولكن العناية الإلهية هي التي تعطيها إمكانية التجدد ومن هنا تأتي أهمية المصطلح الصوفي المعروف بـ ''التقلب'' وهو التحول والتغير الدائم.

لا يسمح المجال هنا للتوسع أكثر في المسألة المتعلقة بمستويات إدراك الوجود في الفلسفة الإسلامية والفلسفات الشرقية ولو توقفنا عند هذا المستوى لقلنا أن أوزيتسو قد استطاع أن يكشف عن نوع من الوحدة البنيوية بين الفلسفات الشرقية بمختلف منطلقاتها النظرية وتعدد رؤاها للعالم ولعل الإشكال الذي لم يرفعه أوزيتسو هو طبيعة الحياة الإنسانية نفسها فهي وإن كانت محكومة في منتهاها بحقيقة الوجود المطلق فإنّها في حركتها نحو تجددها محكومة بالوجود الواقعي وسواء فسرنا الحديث الوارد في صحيح البخاري ''كان الله ولم يكن شيء غيره''[17] على أساس أنّها حالة دائمة أو حالة مؤقتة، لا نستطيع أن ننفي وجود الشيء وإن كان وجودا وهميا. وفي كل الأحوال فإن فهم كل مستويات الإدراك ضروري لترسيخ التقارب ولعلّه أكثر فعالية من البحث عن حقيقة مطلقة جامعة.

* * *

الهوامش:

[1] أستاذ بالمعهد الأوروبي للعلوم الإنسانية بباريس (Iesh de paris - france). ونائب العميد المكلّف بالدراسات العليا.

[2] بل إنّ كثيرا من الكتاب المسلمين لا يملكون هذا الفهم العميق والشامل للتصور الإسلامي. يقول الدكتور هلال محمد الجهاد مترجم كتاب، ''الله والإنسان في القرآن'' إنّ ميزة هذه الدراسة –على الرغم مما قد نأخذه عليها– أنّها تجعلنا نكتشف القرآن، وكأنّنا نراه للمرّة الأولى، وتعلّمنا قراء ومسلمين أن ننفصل قليلا عنه لنراه ونعرفه من جديد معرفة علمية بالمعنى الدقيق لهذا الوصف. وهذا ممكن دائما، ما عوّدنا أنفسنا على تغيير زوايا نظرنا إلى القرآن، وتنويعها واعتماد مناهج علمية متنوعة، والقرآن نفسه يتيح لنا ذلك، من حيث إنّه نص لا يمكن استنفاد ماهيته، نص يمتاز بتعدد مستويات المعنى وتشابك علاقاته، ولا يكف عن التدلال مطلقا لأن قراءتنا له لا تتوقف. توشيهيكو إيزوتسو، الله والإنسان في القرآن، بيروت، المنظمة العربية، ٢٠٠٧، ص١٢.

[3] المرجع نفسه، ص٣٢.

[4] الحقل الدلالي مجموعة من المفاهيم والمصطلحات الأساسية المترابطة بينيا والمؤدية لوظيفتها الدلالية بشكل مستقل في إطار النظام المفهومي الشامل الذي يتكون بدوره من عدد من الحقول الدلالية المتقاطعة.

[5] المرجع نفسه، ص٥٠.

[6] مرجع سابق ص ١٥٩.

[7] المرجع نفسه ص ١٦٠.

[8] الغريب أن أوزيتسو نفسه عندما يتحدث عن كيفية تناول القرآن لمسألة الشرك، يقول ''ولكن القرآن، بغض النظر عن هذا المكوّن الإشراكي وغيره من المسائل الأقل أهمّية، يعترف بأن مفهوم ''الله'' العام الذي يضمره معاصروه من العرب كان قريبا من المفهوم الإسلامي على نحو يثير الدهشة، حتى إن القرآن يتساءل في عدد من الآيات المهمة: لماذا كان هؤلاء الناس الذين لديهم فهم صحيح كهذا لله عنيدين إلى هذا الحد في رفضهم التسليم بصدق التعاليم الجديدة. ص١٦٢.

[9] المصدر نفسه،ص ١٦٨.

[10] المرجع نفسه، ٢٥٢.

[11] انتقد الفيلسوف اليوناني أفلاطون الكتابة بشدة في محاورة ''فايدروس'' ويمكن تلخيص نقده في النقاط الآتية: تؤدّي الكتابة أولا لمن يمارسها إلى إضعاف الذاكرة وذلك بسبب تراكم الانطباعات المتأتية من خارج النفس وليس من بواطنها، ثانيا لا تساعد الكتابة على امتلاك الحقيقة بل على وهم امتلاكه لمظاهرها، ثالثا تفرض على المتعامل معها الصمت، مثل الصورة، لأن النص المكتوب لا يستطيع أن يدافع على نفسه ويعرض نفسه بالطريقة نفسها لجميع الناس على اختلاف مداركهم العقلية فالكتابة في النهاية ليست إلا تقليدا مشوشا للكلام المنطوق.

[12] المرجع نفسه، ص ٢٨١.

[13] Thoshihiko Izutsu, unicité de l'existence et création perpétuelle en mystique musulmane (Paris: les deux océans, 1980) p.49-50

[14] idem p.50-51

[15] idem P.87

[16] Hakuun Yasutani (1885-), shôbô Genzo Sankyû, Genjô koan (Tokyo1967) p.74

[17] كتاب بدء الخلق، جزء من الحديث رقم ٣١٩١.

أصول التفكر في رسائل النور

أميد شِمشكْ[1]

ما رسائل النور؟

عُرِفَتْ كليات رسائل النور ووُصِفَت بأشكال مختلفة من ناحية المواضيع التي اشتملت عليها وأسلوب تناولها. وقد عرفت رسائل النور بشكل واسع على أنها تفسير للقرآن، يؤكّد ذلك تصريح المصنف في مواضع مختلفة من الرسائل،[2] وذكر المؤلف في سياق آخر واصفا رسائل النور بأنها ''كتاب علم الكلام''[3] وإلى جانب ذلك، وقال آخرون أنّ لرسائل صلة وطيدة بالتصوف، وبالرغم من عدم تصريح من المصنف بهذه العلاقة، ومال فريق آخر -وهم قلّة- فرغب في جرها إلى إلى بعض المجارى السياسية.

وإذا تناولنا رسائل النور بشموليها، فإنه من الصعب حقاً وضع رسائل النور ضمن تخصص واحد أونظام واحد. وإذا كنا سنتناول رسائل النور تفسيراً للقرآن الكريم فإنها ما عدا ''إشارات الإعجاز'' يجب أن تتناولها تفسيراً له ميزات خاصة به؛ من ناحية المنهج، والمحتوى، والتأليف، والأسلوب وما إلى ذلك. فمثلاً يقوم بجولة علمية وتَفَكُرِيَة في الآفاق التي تفتحه الآية الكريمة التي يستهل كل بحث، قد لا تجدها في الغالب في أي تفسير آخر لدى عرضه تفسير الآية المذكورة. والمواضيع التي يتم تناولها خلال هذه الجولة هي على الأكثر داخل علم الكلام. لكن هذا ليس على وفق تصنيف علم الكلام التقليدي، وإنما بأسلوب خاص برسائل النور، وربما يكون ذكر رسائل النور بأنها تحمل خواص التفسير وخواص علم الكلام معاً. لكن يجب الوقوف عند الأسلوب الخاص والأسس التي تشكل أساس هذا الأسلوب قبل ذلك.

أسس رسائل النور

يبين بديع الزمان سعيد النورسي أن رسائل النور بنيت على أربعة أسس هي: العجز، والفقر، والشفقة، والتفكر[4] وكون العجز والفقر، اللذان يعنيان حالة معرفة

الإنسان لعجزه وحاجته المطلقة لخالق الكائنات، هما أيضا قد بحثا من مختلف النواحي في البحوث المتعلقة بالتفكر الأنفسي في رسائل النور، لذا لن يكون من الخطأ إرجاع هذين الأساسين أيضا للتفكر، أما الأساس الثالث وهو الشفقة فقد وضحت حقيقتها في الرسائل، وما هي إلا جعل إيصال ثمار التفكر في رسائل النور غاية للحياة.[5]

وبعد تعيين وضع الأسس الثلاثة الأخرى، فإن الأساس الرابع المتبقي أي التفكر، يظهر أمامنا أنه أهم أساس لرسائل النور. وهذا الأساس هو بنفس الوقت أهم خاصية تشكل حياة بديع الزمان. فقد بدأ التفكر برسائل النور بالانتعاش في عقل مؤلفها منذ شبابه، ونضج في أواسط عمره، وإن المثنوي العربي النوري الذي يشكل نواة قسم مهم من رسائل النور أعطى نتيجة سلسلة تفكر مكثفة جداً، حيث كانت هذه المرحلة هي مرحلة التحول من سعيد القديم إلى سعيد الجديد،[6] هذا التفكر يشكل جميع حياة بديع الزمان بجميع صفحاتها ويتطور ويتسع من الزمن ويقوم بدعوة رسائل النور بكليات رسائل النور.

التفكر في رسائل النور

إن عالم الوجود بأسره هو لوحة تفكر في عين بديع الزمان. والقصد من خلق الموجودات صاحبة الشعور هو قيامها بوظيفة التفكر. وإن بديع الزمان الذي يطالع العالم على شكل دائرتين ولوحتين، ويرتب ذلك على الشكل الآتي:

"إحداهما: دائرة ربوبية في منتهى الانتظام وغاية الروعة والهيبة ولوحة صنعة بارعة الجمال وفي غاية الاتقان.

والأخرى: دائرة منوّرة مزهّرة للغاية، ولوحة تفكر واستحسان وشكر وإيمان في غاية الجامعية والسعة والشمول."[7]

ومن هذه اللوحات لوحة الصنعة والإبداع، يعني التزيينات اللانهائية التي أظهرتها دائرة الربوبية، وهي تجلب إلى جانب ذلك وظيفة التفكر اللانهائي، ليس للإنسان والجن فقط، بل إن خلق أجناس الملائكة التي لا حصر لها ووجودها الروحاني، تأتي في مقدمة هذا السر،[8] ومكانة الإنسان في هذه المنظومة لا مثيل لها بين المخلوقات باعتبار القابلية التي يملكها. وذلك لأن غاية التفكر هي مشاهدة الأمور الخارقة في الأثر، ووزنها كل على حدة، والانتقال منها إلى جمال الصانع، وكماله، وجلاله، وسائر صفاته القدسية، والإعجاب به، وحبه والاشتياق إلى المثول بين يديه والتعرض للطفه.[9]

''نعم، إن الإنسان مع جهالاته وظلماته له استعداد جامع كأنه أنموذج مجموع العالم، وأُودع فيه أمانة يفهم بها الكنز المخفي ويفتحه. ولم يُحدد قواه، بل أُرسلت مطلقة فيكون له نوع شعور كلي بشعشعة كمال حشمة جلال سرادق جمال عظمة ألوهية سلطان الأزل. وكما أن الحُسن يستلزم نظر العشق، كذلك ربوبية النقاش الأزلي تقتضي وجود نظر الإنسان بالتقدير والحيرة والتحسين والتفكر، وتستلزم أيضا بقاء ذلك المتفكر المتحير إلى الأبد ورفاقته لما تحير فيه في طريق أبد الآباد.''[10]

يوضح بديع الزمان ''الأمانه المودعة في الإنسان، في أماكن أخرى من رسائله بأنها ''أنا'' ويقول إن الإنسان بواسطة هذه الأمانة يفهم صفات وشؤونات خالقه.[11] كما أن هذه الأمانة أدت إلى جعل الإنسان أعلى من الملائكة[12] ومن جهة أخرى فإن النفس ''المتنعمة باللطف الإلهى''[13] هي سبب الاستعلاء على الملائكة[14] ''وخاصة في جهة الذوق بالرزق فإن الإنسان يفهم كثيرا من الأسماء الحسنى التي قد لا يمكن للملائكة تذوقها.''[15]

وهكذا، فإن الإنسان المرسل إلى هذا العالم والمزود بقابلية أعلى من المخلوقات الأخرى: هو مثل الشخص الفريد المدعو إلى معرض، يطوف بالكائنات من أولها لآخرها فكراً، ويدقق في كل أثر أمامه، ويحل الدقائق المتقنة فيه، ويستمع إلى شهادات جميع الموجودات فرداً فرداً وجماعة، ويفهم عباداتهم وتسبيحاتهم، ومثل قائد يقدم القطعة باسم وحدته، ويقدم عبادة وتحيات المخلوقات المسخرة له باسمهم إلى العزة الإلهية. وهذه الأمور تتحقق نتيجة نشاطات تفكرية كثيفة ومستمرة[16] وقد بيّنتها الآية الكريمة[17] ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾،الزاريات:٥٦ ولكن هذه العبادة ليست دون روح وعبارة عن شكليات ورسوم، بل تستوجب العبادة الإيمان الذي يعرف به العابد المعبود، وتوجب معرفته والمحبة اللامتناهية في هذه المعرفة، وتضع أمامنا هذه العبادة أسمى غاية للخلق،[18] تسعى رسائل النور للوصول إلى هذه النتيجة بالتفكر الذي هو أهم أساس لها. والتفكر ليس قضية نظرية مجردة تبقى المسلم حبيس التسليم النظري والمعرفي الجاف بوجود الله وبوحدته فقط، بل تتخذ هدف السكينة الذي ينفذ إلى جميع صفحات حياة الإنسان، يعني تهدف إلى وجود، ومعرفة، وحس، وجود الله، ووحدته وأسمائه الحسنى، وصفاته الجليلة، المتجلية في كل مكان وبكل شيء وحادثة في كل تفاصيل الوجود، والعيش داخل هذا الشعور:

''فهذا الطريق على نهج القرآن ينظر إلى الكائنات أنها مسخرة لفاطرها الجليل

وخادمة في سبيله، وأنها مظاهر لتجليات الأسماء الحسنى كأنها مرايا تعكس تلك التجليات. أي أنه يستخدمها بالمعنى الحرفي ويعزلها عن المعنى الاسمي من أن تكون خادمة ومسخرة بنفسها. وعندها ينجو المرء من الغفلة، ويبلغ الحضور الدائمي على نهج القرآن الكريم. فيجد إلى الحق سبحانه طريقاً من كل شيء.''[19]

ويبين بديع الزمان في موضع آخر من الرسائل أنه يمكن اكتساب هذا النوع من السكينة بقوة الإيمان التحقيقي، وبالتفكر الإيماني في المصنوعات الذي يؤدي إلى نتيجة معرفة الله.[20]

أنواع التفكر:

تضع رسائل النور أمامنا ذخيرة غنية من زاوية منهجها التي تتبعه في التفكر. وذلك أن الكائنات كتبت ونظمت مثل معرض فني محتشم وكتاب كبير؛ وهناك طرق كثيرة لقراءة هذا الكتاب وللتدقيق في الآثار الموجودة في المعرض. وكون هذا الموضوع يشكل موضوع دراسة منفصل ومفصل، فإننا سنكتفي بتصنيف يسلط الضوء على أسلوب التفكر في رسائل النور.

إن التفكر في رسائل النور يتحرك وفق أساسين؛ آفاقي، وأنفسي. وقد جعل الإجمال في الأول، والتفصيل في الثاني أساساً[21]

التفكر الآفاقي

إن رسالة ''الآية الكبرى'' التي تتناول مشاهدات سائح يسأل عن خالقه في الكائنات مليئة بالأمثلة الغنية للتفكر الآفاقي في رسائل النور[22] وتتم في هذه الرسالة دراسة جميع الموجودات في الكائنات بعالمها المشاهد وغير المشاهد، وشهادتها على وحدة خالق الكائنات في ثلاثة وثلاثين مرتبة منفصلة. ففي القسم الاول من الرسالة يتناول بالدرجة الأولى إثبات وجوب الوجود، ويتبعه موضوع التوحيد. وفي الموضوع الثاني يتناول الكائنات ككل من مختلف الزوايا، مانحا الصدارة والأولوية لموضوع التوحيد. وهذه الأصول المتبعة في رسالة الآية الكبرى بشكل واسع تمثل الأسلوب العام لرسائل النور. ويمكن أن نلخص هذه الأصول على الشكل الآتي: ''إن الوضع الذي يشاهد في الوجود أو حادثة، يتناول مع أمثاله في الكائنات، وتدرس الحادثة من زاوية نظر واسعة وسع الكائنات.'' وهو القصد الأكبر من الإجمال في التفكر الآفاقي. وبهذا يمنع تشتت الأفكار بكثرة الدوائر، وتصير كل حادثة نشاهدها في الكائنات برهان على معرفة الله بقوة الكائنات ووسيلة للسكينة والإطمئنان.

ويبين بديع الزمان هذه الحقيقة في بداية الشعاع الثاني بقوله: ''إن الجمال الإلهي والكمال الرباني يتظاهر في التوحيد والوحدة'' ويورد بهذا الصدد أمثلة. ''فمثلاً: ما إن يُنظر إلى الشفاء من مرض عضال، بنظر التوحيد يتجلى جمال شفقة الرحيم تجلياً باهراً كاملاً على وجه إحسان الشفاء إلى جميع المرضى الراقدين في المستشفى الكبير المسمى بالأرض وإسعافهم بأدوية ناجعة وإغاثتهم بعلاجات شافية تؤخذ من الصيدلية العظمى المسماة بالعالم. ولكن هذا الفعل الجزئي -منحة الشفاء- المتسم بالعلم والبصيرة والشعور إن لم يُنظر إليه بنظر التوحيد، فإن الشفاء يسند إلى خاصيات الأدوية الجامدة وإلى القوة العمياء والطبيعة الصماء. فتفقد تلك المنحة الرحمانية ماهيتها وحكمتها وقيمتها كلياً.''[23]

ويتبع بديع الزمان الأسلوب نفسه في الشعاع الرابع، ويجعل الأرض كروضة صغيرة في خياله. ويشاهد في هذه الروضة جمال الرحيمية تغذي جميع الرضع في هذه الروضة بحليب أمهاتهم، وجمال الرحمانية في إرزاق جميع الأحياء، وجمال الحاكمية في خلق جميع الموجودات بحكمة، وجمال عدالة التناسب الحاكم في خلق جميع الموجودات، وجمال الحافظية في الخلق المجهز بالأجهزة التي تحافظ على استمرار حياة الموجودات، وجمال الكريمية المتشكلة في مظهر الإكرام اللائق بجميع المخلوقات[24] والحقيقة أن هذه المناظر تشاهد بالعين الخيالية، لكنها ليست خيالاً وإنما هي الحقيقة ذاتها. لأن الذي يقال هو ما يجري حولنا من الأحداث في كل لحظة سواءً شاهدناها أم لم نشاهدها. لكن الأعين العضوية غير كافية للإحاطة بهذا المنظر، لذلك فإن القسم المتبقي من اللوحة سيتمم بمساعدة قوة الخيال وبواسطة التفكر.

وبعد التوصل إلى وجهة النظر هذه، تشاهد جميع الأفعال في فعل واحد، وجميع الآثار في أثر واحد، وجميع الأسماء في اسم واحد. وإن مشاهدة تجلي اسم من الأسماء الحسنى في الموجودات ينقل الفكر إلى مسميات جميع الأسماء المتجلية في الكائنات[25] وبعد ذلك فإن موجوداً واحداً وحتى ذرة واحدة تقوم بفعل جميع الكائنات. وذلك لأن هذه الذرة لوحدها تعرّف وتثبت الحق سبحانه تعالى بصفاته الجليلة وذاته المقدسة.[26]

وعندما تصير الكائنات بجميع موجوداتها وسيلة لمعرفة الله، فلن تحصل الحاجة إلى ترك دوائر الكثرة من أجل كسب السكينة وحصول التوحيد. بل العكس إن الفرصة التي تفقد بترك دوائر الكثرة، تقوم بخدمة مهمة في تفكر رسائل النور:

''إن رسائل النور تبيّن أن الموجودات قاطبة إنّما هي مظاهر لتجليات الأسماء الحسنى بحيث لا تدع مجالاً للغفلة قط. فلا شيء يكون حائلاً دون السكينة والإطمئنان. لذا تكسب قارءها مرتبة واسعة من الإطمئنان سعة الكون كله وتفتح أمامه دائرة عبودية واسعة ودائمية سعة الكون ايضاً، فهي لا تشبه مسلك أهل الطرق الصوفية الذين يسعون للحصول على الإطمئنان والسكينة بأفكارهم وجود الكائنات أو تناسيها 'كما في وحدة الوجود ووحدة الشهود'.''[27]

التفكر الأنفسي

ومثل الحالة السابقة توجد أيضا في التفكر الأنفسي. ولكن يحول دون تحقيق مقاصدها التي حددها لها خالقها جملة من العناصر المانعة من السمو المعنوي، وتتلخص تلك العناصر بشكل عام الأنانية والنفس.

يظهر التفكّر الأنفسي أمامنا كأهم وسائل معرفة الله في رسائل النور بشرط للتحرر من أسر الأنانية لأنّها مانع من التفكّر الأنفسي، فهو أكبر صارف عن التفكّر، وخاصة حين تعلّق الأنانية بالمقايسة بين الخالق والمخلوق، لأن صفات الخالق الذي كُلّفنا بمعرفته هي صفات مطلقة وغير محدودة ولا مثيل لها. وإذا بدأت الأنانية بهذه المقايسة الإبتدائية بالقول: ''كما أنني شيدتُ هذه الدار ونظّمتها، كذلك لابد من منشئ لدار الدنيا ومنظّم لها''، وإذا لم تكن هناك تشبيهات تنتج بسلاسل تصل إلى أعلى المراتب، فلن تبق لدينا أية إمكانية للتفكر بتجليات وآثار وصفات الخالق القادر على كل شيء، والذي يفعل ما يريد[28] لذا يعلمنا القرآن والسنة صفات وشؤونات خالق الكائنات بهذا الأسلوب. فمثلاً إن عدم سماح الله بالشرك تشرح لنا في الآية الكريمة بإعطاء ''مثال من أنفسنا''، ﴿ضَرَبَ لَكُم مَّثَلًا مِنْ أَنفُسِكُمْ هَل لَّكُم مِّن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُم مِّن شُرَكَاء فِي مَا رَزَقْنَاكُمْ فَأَنتُمْ فِيهِ سَوَاء...﴾الروم:٢٨ وقد بين عدم قبول الحاكمية للمنافسة هنا بإعطاء مثال من الحاكمية والملكية النسبية والظاهرة للإنسان. وقد جاء في الحديث: ''لله أفرح بتوبة عبده من رجل نزل منزلاً وبه مهلكة ومعه راحلته عليها طعامه وشرابه، فوضع رأسه فنام نومة فاستيقظ وقد ذهبت راحلته حتى اشتد عليه الحر والعطش أو ما شاء الله، قال ارجع إلى الى مكاني فرجع فنام نومة ثم رفع رأسه فإذا راحلته عنده.''[29]

والنفس هي مثل الأنانية وسيلة مهمة بيد الإنسان لمعرفة الله. وحتى كما بينا أعلاه فهي باعتبار تجلياتها التي تظهر لها سبب للرجحان على الملائكة. ويتخذ بديع الزمان

طراز حياة الصحابة أنموذجا له، وبدل أن يقتل النفس أو يجعلها دون تأثير، فإنه يرجح طريق استخدامها كجندي بقيادة القلب ويسوقها للعبادة الخاصة بها.[30]

وعند إضافة خاصيتين للإنسان -مثله مثل الموجودات الأخرى- وهي تشكيله مرآة للأسماء الإلهية، وقيامه بوظيفة المرآة للصفات المنزهة لخالقه، وذلك بصفاته الناقصة، تتضح ثلاث جبهات للتفكر الأنفسي[31] مع العلم أن أسس العجز والفقر تشكل أسس التفكر في رسائل النور كصفات ناقصة للإنسان. وهذه الأسس تعمل وظيفة صمام الأمان تجاه الأخطار التي يمكن أن تأتي من جهة الأنانية والنفس:

''إن هذا الطريق هو أقصر وأقرب من غيره، لأنه عبارة عن أربع خطوات. فالعجز إذا ما تمكن من النفس يسلّمها مباشرة إلى 'القدير' ذي الجلال. بينما إذا تمكن العشق من النفس -في طريق العشق الذي هو انفذ الطرق الموصلة إلى الله- فإنها تتشبث بالمعشوق المجازي، وعندما ترى زواله تبلغ المحبوب الحقيقي.

ثم إن هذا الطريق أسلم من غيره، لأن للنفس فيه شطحات أو ادعاءات فوق طاقتها، إذ المرء لا يجد في نفسه غير العجز والفقر والتقصير كي يتجاوز حده.''[32]

وكما أن بديع الزمان يؤيد التفصيل في التفكر الأنفسي، ويرى أن هذا الطريق هو أقصر من طريق التفكر الآفاقي فضلا عن كونه قطعياً. حتى إنه عندما يعرف النتيجة التي يتم التوصل إليها بالتفكر الآفاقي قطعية تبلغ مرتبة علم اليقين، بينما نجده يعرف النتيجة التي يتم التوصل اليها بالتفكر النفسي بمرتبة حق اليقين. وقد قام المؤلف بإضافة قسم بعنوان ''شهادة الماهية الإنسانية'' إلى خلاصة الخلاصة التي هي بماهية خلاصة بالعربية للآية الكبرى التي تشكل مثالاً في التفكر الآفاقي. ويبين أسباب هذه الإضافة في أحد مكاتيب اميرداغ على الشكل التالي:

''نعم، إن الكون العظيم يكون أمامي بمثابة حلقة ذكر في أثناء قراءتي لخلاصة الخلاصة، ولكن لأن لسان كل نوع من الأنواع واسع جداً، يتحرك العقل عن طريق الفكر كثيراً كي يذعن بالأسماء الإلهية وصفاتها بعلم اليقين، وبعد ذلك يتمكن أن يبصر ذلك بوضوح. وعندما ينظر إلى الحقيقة الإنسانية، في ذلك المقياس الجامع، في تلك الخريطة المصغرة، وفي ذلك النموذج الصادق، وفي ذلك الميزان الصغير، وفي ذلك الشعور بالأنانية، فإنه يصدق تلك الأسماء والصفات بإيمان واطمئنان ووجدان جازم شهودي وإذعاني وبسهولة ويسر...''[33]

ويبين في دوام البحث أن التفكر الأنفسي بدرجة حق اليقين وأنها وسيلة للتوصل إلى مرتبة إيمانية بعيدة عن الشبهة والوسوسة.

مصدر التفكر

إذا وجب وضع التفكر في رسائل النور بموضع ما، فإنه يوجد تشابه أحياناً بينها وبين التيارات الفكرية في العالم الإسلامي. ويمكن أن نشاهد في بعض وجهاتها أثر للتصوف، ومنهج الكلام، وحتى الفلسفة. وإذا وضعنا بعين الاعتبار أن بديع الزمان قام بنشاطات علمية مكثفة منذ شبابه المبكر، وأنه الإنسان السريع البديهة، والذكي والمثقف، يتضح أنه ليس من الممكن أن لا يتأثر بالكتب التي قرأها، والأفكار التي تعرف عليها. لكن يتضح من آثاره أن بديع الزمان لم يطمئن لأي من هذه السبل، بل نصب عينيه إلى الأعلى، وبدأ يبحث في طريق مختلف، ويتبين ذلك من آثاره التي كتبها أول ما مسك القلم بيده. فمثلاً يقايس طرق معرفة الله في كتابه ''محاكمات عقلية'' الذي هو من أول آثاره ويقارن بينها، ليخلص إلى الشكل الآتي:

''إن أصول العروج إلى عرش الكمالات وهو معرفة الله جلّ جلاله أربعة:

أولها: منهاج علماء الصوفية، المؤسس على تزكية النفس والسلوك الإشراقي.

ثانيها: طريق علماء الكلام المبني على الحدوث والإمكان.

هذان الأصلان وإن تشعّبا من القرآن الكريم، إلا أن فكر البشر قد أفرغهما في صور أخرى فأصبحتا طويلة وذات مشاكل.

ثالثها: مسلك الفلاسفة.

هذه الثلاثة ليست مصونة من الشبهات والأوهام.

رابعها: المعراج القرآني الذي يعلنه ببلاغته المعجزة، فلا يوازيه طريق في الاستقامة والشمول، فهو أقصر طريق وأوضحه وأقربه إلى الله وأشمله لبني الإنسان. ونحن قد اخترنا هذا الطريق.''[34]

وقد استمر بديع الزمان في دعواه هذه فيما بعد طوال حياته، وكررها في آثاره مراراً وتكراراً، وبين أن رسائل النور تستند على القرآن فقد أخذت إلهامها منه، وإننا نشاهد حقاً أنها تعكس بعض الخواص في الأسلوب القرآني. ويمكن أن نعد من بين أهمها ما يأتي:

١- إن الأدلة التي يسردها القرآن أمامنا لإثبات حقائق الإيمان وعلى رأسها وجوب الوجود والوحدة، هي أجزاء العالم الذي حولنا والحياة التي نعيشها: الطيور، والأغنام، والغيوم، والجبال، والبحار، والعنب، والنخل، والزيتون، والنمل، والذباب، والقمر، والشمس، والسمك ''الحوت'' والعظام الرميمة، والفاكهة الناضجة وغير الناضجة،

والعيون والآذان، والمراكب التي نركبها في السفر، وغيرها، وجميعها من الأشياء التي ألفها الإنسان في جميع العصور. ويستخدم القرآن جميع هذه الأمور من الأدلة التي استخدمها القرآن لمعرفة الله. وإن مواد التفكر في رسائل النور ليست سوى ذلك.

٢- وقد اتبعت رسائل النور الطراز القرآني الذي يدعو الناس للتفكر ويعرض لهم الشواهد العقلية للادعاءات من البداية حتى النهاية، والذي يبيّن أن التقليد هو أساس قبيح. ويبين بديع الزمان أن البراهين المنطقية والحجج العلمية في رسائل النور تأخذ مكان السلوك والأوراد في التصوف.[35]

٣- القرآن يخاطب جميع الموجودات. وقد اختار بديع الزمان هذا الأسلوب وخاصة بعد مرحلة بارلا، ولم يختر مخاطبيه من زمرة مختارة، بل خاطب جميع البشر.

٤- وكما بيّنا في المادة الثانية أنه إلى جانب مشاركة رسائل النور علم الكلام خاصية أساسية، إلا أنها تنفصل عن علم الكلام في هذا الموضوع وتتخذ القرآن أنموذجاً لها، وهذه قضية أسلوب. وعندما يشرح أسلوب تجلي الموجود الجزئي أو الحادثة إلى جانب الموجود الكلي أو الحادثة الكلية، لا يمكن أن نشاهد في كتب علم الكلام هذا الأسلوب الذي استخدمته رسائل النور:

''إن لكل اسم من الأسماء الحسنى جمالاً خاصاً به، جمالاً مقدساً منزّهاً، بحيث أن جلوة من جلواته تجمّل عالماً ضخماً بكامله، وتلقي الحسن والبهاء على نوع لا يحد.

فكما تشاهد جمال اسمٍ من الأسماء في زهرة واحدة، فالربيع كذلك زهرة والجنة كذلك زهرة لا يراها النظر.

فإن كنت تستطيع أن تنظر إلى الربيع، كل الربيع، وترى الجنة بعين الإيمان، فانظر وشاهد لتدرك مدى عظمة الجمال السرمدي.

فإن قابلت ذلك الجمال الباهر بجمال الإيمان وبجمال العبودية تكن أحسن مخلوق وفي أحسن تقويم ولكن إن قابلت ذلك الجمال بقبح الضلالة غير المحدودة، وقبح العصيان البغيض، تكن أقبح مخلوق وأرادأه، وأبغض مخلوق معنىً لدى جميع الموجودات الجميلة.''[36]

هذه التعابير تحمل طاقة تحرك كوامن الإنسان عندما يقرأها، ويتضح ذلك من العبارات نفسها، ومن التأثير الحاصل على الذين يقرأون رسائل النور. وعدد العلماء

المسلمين الذين اختاروا هذا الأسلوب المشابه ليس بالقليل؛ ويتضح أيضا أن القرآن هو مصدر الأصلي لهذا الأسلوب الذي اتبعته رسائل النور. وتأثير هذا الأسلوب على الضمائر، ليس سوى دليل على الإعجاز القرآني الممتد على مر العصور ووراء القارات.[37]

٥- وكما أن القرآن يخاطب جميع طبقات البشر، فإنه يخاطب الإنسان ككل. وبخطابه لم يتلق العقل أو القلب الفيض فقط، بل يتلقى جميع أحاسيس الإنسان ووجوده الفيض. وقد اتبعت رسائل النور هذا الأسلوب. وكما بيّن بديع الزمان ''إن العقل، والقلب، والروح، والنفس، والحس تأخذ حصتها من الحقائق التي هي بحكم الغذاء والطعام في رسائل النور. وإلا فإن العقل يأخذ حصة جزئية، وتبقى الأحاسيس الأخرى دون غذاء.''[38]

''فالكلمات والأنوار المستقاة من القرآن الكريم ''أي رسائل النور'' إذن ليست مسائل علمية عقلية صرف بل أيضا مسائل قلبية، وروحية، وأحوال إيمانية.. فهي بمثابة علوم إلهية نفيسة ومعارف ربانية سامية.''[39]

''ثم إن الرسائل ليست كبقية مصنفات العلماء تسير على وفق خطى العقل وأدلته ونظراته، ولا تتحرك كما هو الشأن لدى الأولياء المتصوفين بمجرد أذواق القلب وكشوفاته.. وإنما تتحرك بخطى اتحاد العقل والقلب معاً وامتزاجهما، وتعاون الروح واللطائف الأخرى، فتحلّق إلى أوج العلا وتصل إلى مراق لا يصل إليها نظر الفلسفة المهاجمة فضلاً عن أقدامها وخطواتها، فتبين أنوار الحقائق الإيمانية وتوصلها إلى عيونها المطموسة.''[40]

ويربط المؤلف سبب عدم الملل من بحوث التفكر في رسائل النور التي تقرأ مراراً وتكراراً بهذه الخاصية من القرآن.[41]

٦- إن القرآن الكريم الذي أنزل على من هو ﴿رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾الانبياء:١٠٧ صلى الله عليه وسلم و ﴿بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ﴾التوبة:١٢٨ والذي أنزل ﴿هُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾[42] يعرّفنا في الصفحة الأولى برب العالمين باسمه الرحمن والرحيم. فإنسان اليوم هو مخلوق ميال لمعرفة أن الله قوي ذو عقاب منذ طفولته وذلك بسبب تلقينات البيئة، فهو بحاجة إلى الرحمة الإلهية أكثر من أي وقت آخر، وإن رسائل النور تتبع نفس الأسلوب في معرفة الله. فقد اتخذت الأمل بدل اليأس والتبشير بدل التنفير أساساً لها. حتى إنها تشبه مخافة الله بلجوء الطفل إلى حضن أمه المليء بالشفقة[43]

وهذه الخاصية التي لا شك أنها جاءت من القرآن تدل على مظهرية أسماء الرحمن[44] والرحيم[45] والرؤف[46] في رسائل النور.

ما رسائل النور؟

وبعد هذه الايضاحات، وعندما نعود إلى السؤال الذي طرحناه في البداية، ربما نكون بمواجهة الحاجة إلى وضع اسم جديد لتفكر رسائل النور. والحقيقة أنه إذا نظرنا بجانب ما، نجد هذا التفكر يشبه التصوف، وبجانب آخر يشبه علم الكلام. وكما بينا سابقاً أن ذلك يمكن أن يكون قد حدث بسبب تأثر المؤلف بهما معاً، ويمكن أن يكون ذلك كنتيجة طبيعة لبشريته وثقافته العالية. ومن طرف آخر فإن بيانات المؤلف تشكل تناقضاً مع هذه الخصوص في بعض الأحيان. فمثلاً إن كلام بديع الزمان ''الزمن ليس زمن الطريقة وإنما زمن الحقيقة[47] كما أن رسائل النور مليئة بالشواهد التي تدل على أنها ليست طريقة، ولا تترك أية شبهة في هذا الموضوع[48] وإننا نصادف تعبيراً مختلفاً في هذا الموضوع في احد مكاتيب اميرداغ:

''لقد كنت أقول: إن هذا الزمان ليس زمان الطريقة، فالبدع تحُول دون ذلك، فكراً في حقائق الإيمان وحدها. ولكن الزمان أظهر أنه يلزم لكل صاحب طريقة -بل الألزم له- أن يدخل دائرة رسائل النور التي هي أوسع الطرق وتضم خلاصة الطرق الأثنتي عشرة المهمة ضمن دائرة السنة النبوية الشريفة. حيث إن الذي غرق في الخطايا والذنوب من أهل الطريقة لا يلج في الإلحاد بسهولة ولا يقهر قلبه. ولهذا فهم لا يتزعزعون أبداً فيمكنهم إذن أن يكونوا طلاب رسائل النور حقاً، بشرط إلا يدخلوا -حسب المستطاع- في البدع ولا يرتكبوا الآثام التي تحول دون التقوى وتجرحها.''[49]

لكننا على قناعة أنه يجب عدم استخراج نتيجة من هذا الكلام بأن رسائل النور هي طريقة صوفية تضم جميع الطرق الأخرى. وربما يكون فهمنا لرسائل النور على الشكل الآتي يكون أصح:

١- إن رسائل النور توصل إلى النتيجة المنتظرة من الطريقة الصوفية بأقصر طريق بواسطة الولاية الكبرى ووراثة النبوة.[50]

٢- إن رسائل النور لم تشكل دعوة منفصلة مثل الطرق الأخرى أو الجماعات، بل هي أثر يستطيع العموم الاستفادة منها، إلى أي طريقة أو جماعة أو مدرسة كان ينتسب.[51]

والحقيقة إننا نشاهد أن الأوراد والأذكار تحتل مكانة مهمة في حياة مؤلف رسائل

النور مثل أهل الطريقة. لكن إلى جانب كون هذه الأذكار والأوراد ذات مقصد تفكري وتعطي سبباً لانكشاف كثير من الحقائق في رسائل النور، فهي لم تقم بتكليف طلبة رسائل النور بأوراد وأذكار معينة عليهم أن يتبعوها. إن أوراد رسائل النور المستندة على أساس العجز والفقر والشفقة والتفكر هي: ١- اتباع السنة. ٢- أداء الفرائض. ٣- الابتعاد عن الكبائر. ٤- تعديل الأركان في الصلاة. ٥- التسبيحات بعد الصلاة. وإننا لم نشاهد او نصادف أي ورد أو ذكر سوى تسبيحات الصلاة.[52]

ومن جهة أخرى، فإن رد بديع الزمان بشكل واضح لموضوع حسن الظن الزائد بالمرشد والذي يقبله أهل الوسيلة وأهل الطريقة[53] هو من الخواص المهمة التي تفصل بين رسائل النور والتصوف.[54]

ومقابل ذلك فإنا نشاهد، ولو بقدر محدود، الكرامات والإشارات الغيبية في رسائل النور. حتى إن هناك بعض الرسائل ألّف بهذا الخصوص بشكل مستقل كالشعاع الاول والثاني. والرسائل ''المكاتيب'' التي كتبها تلاميذه وسيرته الذاتية تحتوي على عدد غير قليل من الكرامات التي تنسب إلى بديع الزمان.

وبالرغم من أن المؤلف لم يولِ اهتماماً للكرامات، وعدّل بإصرار حسن الظن الزائد بحقه من قِبَل تلاميذه وبالرغم من الأدلة التي تبيّن أن رسائل النور هي منهج الحقيقة، فإن أهم سبب لوجود مثل هذه الحالات الموجودة بين طلبة رسائل النور ورسائل النور، ربما يكون الحاجة إلى الدعم المعنوي لأهل الخدمة في تلك المرحلة التي زادت فيها الضغوط. كما لا يجب أن نضع الاهتمام الزائد للناس بالكشف والكرامات وغيرها من الأمور الخارقة بعيداً عن الأنظار. وفي دعوة تشمل جميع قطاعات المجتمع كرسائل النور، لا بد أن نشاهد انعكاسات هذه الميول. وإن أمزجة بعض الأشخاص القريبين من مشرب الطريقة وخاصة بين متقدمي طلبة رسائل النور زمن المؤلف، ورسائل النور في زماننا قامت بدور مهم بهذا الخصوص، ولا تزال ثابتة في شموخ لتأدية هذا الدور.

ومهما كان فإن كلمات بديع الزمان هي الفيصل في الإجابة عن سؤالنا المحوري، وتحمل كلماته صفة توضيح وضع رسائل النور، قال الأستاذ بديع الزمان:

''فمثلا: إن ما نراه من حصيلة خدمتنا وجهودنا في ترسيخ الإيمان وتحقيقه في قلوب ألوف المؤمنين -حوالي ولاية اسبارطة- لكافٍ لخدمتنا هذه، بحيث لو ظهر مَن هو بمرتبة عشرة أقطاب من الأولياء الصوفية، واستطاع سَوقَ ألفٍ من الناس إلى مراتب الولاية فإن عمله هذا لا ينقص من أهمية عملنا وقيمته ولا من ثمراته شيئا. لذا

فإن طلاب رسائل النور الحقيقيين واثقون كلّ الثقة ومطمئنون كلّ الاطمئنان بمثل هذه النتائج وحصيلة الأعمال هذه إذ إن القناعة القلبية لدى مريدي ذلك القطب العظيم يحققها ويَضمَنُها المقامُ الرفيع لأستاذهم ومرشدهم، ويضمنها أحكامه في المسائل، إلا أن رسائل النور تنشئ لدى طلابها درجةً من القناعة أكثر بكثير مما عند مريدي ذلك القطب العظيم، بما فيها من حجج قاطعة تسري إلى الآخرين فتنفعهم أيضا، بينما تبقى قناعةُ أولئك المريدين خاصة بهم وحدهم. إذ إن قبول أقوال الأشخاص العظام بغير دليل لا يفيد اليقين والقطعية -في علم المنطق- بل ربما تكون قضية مقبولة يقتنع بها الإنسانُ بالظن الغالب. أما البرهان الحقيقي-كما هو في المنطق فلا ينظر إلى مكانة الشخص القائل وإنما إلى الدليل الذي لا يُجرَح.

فجميعُ حجج رسائل النور هي من هذا القسم، أي من ''البرهان اليقيني'' لأن ما يراه أهلُ الولاية من الحقائق بالعمل وبالعبادة وبالسلوك وبالرياضة الروحية، وما يشاهدونه من حقائق الإيمان وراء الحجُب، فإن رسائل النور تشاهدها مثلهم أيضا، إذ شقّت طريقا إلى الحقيقة في موضع العبادة ضمن العلم، وفتحت سبيلا إلى حقيقة الحقائق في موضع السلوك والأوراد ضمن براهين منطقية وحجج علمية، وكشفت طريقا مباشرا إلى الولاية الكبرى في موضع علم التصوف والطريقة ضمن علم الكلام وعلم العقيدة وأصول الدين؛ بحيث انتصرت على الضلالات الفلسفية التي تغلّبت على تيار الحقيقة والطريقة في هذا العصر. والشاهد هو الواقع.''[55]

وتظهر من جهة أخرى أمامنا فروق بين علم الكلام ورسائل النور. فقبل كل شيء، إنّ المؤلف يرى أن الطريق الذي يتبعه أهل علم الكلام وأدلته تطيل الطريق وبعيدة عن الإجابة على الاحتياجات، أو أنه يرى أنها لا تتعدى مخاطبة العقل[56] وإلى جانب ذلك فإن رسائل النور تناولت كثيرا من مواضيع علم الكلام، وتشبهه من اتباعها طريق إثبات الحقائق الإيمانية بصورة الاستناد على الدليل.

ونستطيع القول أن النقاط المشتركة بين رسائل النور وعلم الكلام هي أكثر من النقاط المشتركة مع التصوف وأكثر أساسية. حتى إن القول بأن الفرق بين رسائل النور والمتكلمين هو عبارة عن قضية الأسلوب لا نكون مبالغين في ذلك. وقد بين بديع الزمان أن مكان رسائل النور داخل علم الكلام:

''تذكرون في رسالتكم رغبتكم في تلقي درس في علم الكلام مني. أنتم يا أخي تتلقون ذلك الدرس فعلاً، فما استنسختموه من 'الكلمات' دروس منورة لعلم الكلام الحقيقي.''[57]

''لقد انقادت طائفةُ المدارس الشرعية لطائفة التكايا والزاويا الصوفية منذ سالف العصور، أي سلّموا لهم القياد وراجعوهم للحصول على ثمار الولاية. وتحرّوا عندهم أذواقَ الإيمان وأنوار الحقيقة. حتى كان عالم كبير من علماء المدرسة الشرعية يقبّل يدَ شيخ ولي صغير من أولياء الزاوية الصوفية ويتبعه، فطلبوا ذلك النبع الفياض بالماء الباعث على الحياة في التكايا والزوايا.

بينما أظهرت رسائل النور بالمعجزة المعنوية للقرآن الكريم -كما هو ماثل أمامكم- أن في المدارس الشرعية أيضا طريقا قصيرة توصل إلى أنوار الحقيقة، وفي العلوم الإيمانية ينبوع ثرّ هي أصفى وأنقى من غيرها. وأنه في العلم الشرعي، وفي الحقائق الإيمانية وعلم كلام أهل السنة، طريقا للولاية هي أسمى وأحلى وأقوى من العمل والعبودية والطريقة الصوفية.''[58]

''إذ شقّت طريقا إلى الحقيقة في موضع العبادة ضمن العلم، وفتحت سبيلا إلى حقيقة الحقائق في موضع السلوك والأوراد ضمن براهين منطقية وحجج علمية، وكشفت طريقا مباشرا إلى الولاية الكبرى في موضع علم التصوف والطريقة ضمن علم الكلام وعلم العقيدة وأصول الدين''؛ بحيث انتصرت على الضلالات الفلسفية التي تغلّبت على تيار الحقيقة والطريقة في هذا العصر. والشاهد هو الواقع.''[59] وإذا فصلنا مواضيع ''الولاية الكبرى'' و ''وراثة النبوة'' المذكورة أعلاه كموضوع نقاش آخر، فإن رسائل النور تظهر أمامنا كأثر علم كلام جديد، خاص، ومختلف بأسلوب تفكر خاص بها.

وهذا الأثر كما بين المرحوم محمد عاكف[60] استلهم من القرآن مباشرة، وقرأ في كتب الكائنات الكبيرة والصغيرة في الآفاق الواسعة للقرآن، وخاطب العقل والقلب معاً، وإن أسلوب هذا الخطاب يحرك الطاقة الكامنة لدى الإنسان وتجعل الإيمان والاسلام يعالج في كل صفحة من صفحات الحياة اليومية، وبهذا أثبتت رسائل النور أصالتها وتأثيرها على مختلف الطبقات الاجتماعية ومكونات الأسرة الإنسانية.

إن رسائل النور التي تعد صاحبة منهج مميّز في تاريخ علم الكلام بأفق التفكر الذي فتحته أمام إنسان القرن العشرين، وحتى القرن الواحد والعشرين، ولا شك أنها تليق أن تذكر باسم خاص بها. وذلك لأنه بعد أن أتت بعلم كلام قرآني، ستعرّف الناس القرآن بشكل مباشر، ويوجد فيها من الميزات ما يُؤَمّنُ للناس فهم القرآن بشكل أكثر مما بينته رسائل النور.

* * *

الهوامش:

[1] اوميد شمشك، باحث-كاتب: ولد عام ١٩٥٠ في اسطنبول. دخل ميدان الصحافة والنشر منذ شبابه الباكر. واعتباراً من عام ١٩٦٧ بدأ بالعمل في مجلات وجرائد مختلفة وعمل في جريدتي ''يني آسيا'' و''يني نسل'' منذ انشائهما، لعب دوراً فعالاً في تأسيس مركز بحوث ''يني آسيا'' الذي فتح عهداً جديداً في تأسيس التمازج بين العلم والايمان اذ قام باصدار سلسلة العلم والتقنية واصبح مدير التنسيق في هذا المركز. يعمل الآن ككاتب مستقل، وهو ينشر مقالاته بشكل دوري في مجلة ''ظفر'' الشهرية، ومقالات غير دورية في صحف ومجلات اخرى. مؤلفاته المنشورة: الذرة. الانفجار الكبير او مولد الكون. مذكرات نحلة. تقنية البحث. الفضاء. الكواكب السيارة. المادة والطاقة. الدنيا. لنتعلم قرآننا. القرآن الكريم وشرح مقالة ''لجنة''. مناظرة مع الشيطان. تفسير دعاء ''الجوشن الكبير'' ''هي احد الادعية المأثورة عن الرسول صلى الله عليه وسلم في ضوء رسائل النور.

[2] كليات رسائل النور ''بالتركية''، مج ٢، استانبول، منشورات نسل، ١٩٩٤-١٩٩٥م. ص ٥٢٢، ٨٣١، ٨٨٣، ٩١١، ٩٣٢، ١٥٩٨.

[3] نفس المصدر، ١٥٢٤٧، ١٦٥٨، ١٧١٥٢.

[4] نفس المصدر السابق، ص ٢١٠- ٢١١.

[5] نفس المصدر السابق، ص ٦٨٩، ٦٩٠، ١٤١٣، ١٧٠٨.

[6] نفس المصدر السابق، ص ١٦٥٨.

[7] الكلمات-بديع الزمان سعيد النورسي / ترجمة احسان قاسم ١٩٩٢-استانبول

[8] كليات رسائل النور ''بالتركية'' ص ٢٢٥.

[9] كليات رسائل النور ''بالتركية'' ص ٤٧- ٤٨، ١٤١- ١٤٢، ١٣٤٢- ١٣٤٣.

[10] المثنوي العربي النوري-سعيد النورسي / تحقيق احسان قاسم ص ٣١٠

[11] كليات رسائل النور ''بالتركية''، ص ٢٤١، ٣١٦، ١٧٣٨.

[12] كليات رسائل النور ''بالتركية''، ص ٩٨.

[13] كليات رسائل النور ''بالتركية''، ص ٧٥٨.

[14] كليات رسائل النور ''بالتركية''، ص ١٥٦.

[15] كليات رسائل النور ''بالتركية''، ص ٨٢٥.

[16] كليات رسائل النور ''بالتركية''، ص ٤٥-٤٨، ١٤١- ١٤٢، ٨٩٢.

[17] سورة الذاريات، آية ٥٦

[18] كليات رسائل النور ''بالتركية''، ص ٤٤٨، ٨٥٩.

[19] الكلمات ص ٥٦١ -سعيد النورسي-ترجمة احسان قاسم الصالحي، استانبول ١٩٩٢.

[20] كليات رسائل النور ''بالتركية''، ص ٦٧٠.

[21] كليات رسائل النور ''بالتركية''، ص١٣٣٨.

[22] كليات رسائل النور ''بالتركية''، ص ٨٩٨-٩٣٠.

[23] الشعاعات-سعيد النورسي-ترجمة احسان قاسم ص ٨

[24] المصدر السابق/ ص ٨٩.

[25] كليات رسائل النور ''بالتركية''، ص ٥٠٤- ٥٠٥

[26] كليات رسائل النور ''بالتركية''، ص ١٨٣٧.

[27] كليات رسائل النور ''بالتركية''، ص ١٦٦٠.

[28] كليات رسائل النور ''بالتركية''، ص ٢٤١ وغيرها.

[29] البخاري، الدعوات: ٣؛ مسلم، التوبة، ٣؛ الترمذي، الدعوات، ٩٨.

[30] كليات رسائل النور ''بالتركية''، ص ٢٢٠.

[31] كليات رسائل النور ''بالتركية''، ص ٣١٥- ٣١٦، ٨٢٦.
[32] الكلمات-بديع الزمان سعيد النورسي-ترجمة احسان قاسم ص ٥٦١
[33] الملاحق-بديع الزمان سعيد النورسي-ترجمة احسان قاسم ص ٢٨٤
[34] صيقل الاسلام- المحاكمات /بديع الزمان سعيد النورسي / تحقيق احسان قاسم ص ١٢٢
[35] كليات رسائل النور ''بالتركية''، ص ٨٨١
[36] الشعاعات-بديع الزمان سعيد النورسي-ترجمة احسان قاسم- ٩١.
[37] ونود ان لا نترك الموضوع دون تناول سؤال يخطر على الذهن: إن الاثر الذي يكتبه البشر يكون له بريق وانعكاس على المجتمع، فلماذا لم يؤثر القرآن على حياتنا بهذا الشكل؟ إن جواب هذا السؤال حسب قناعتنا، هو اننا ابعدنا القرآن عن حياتنا بأيدينا. ولو لم نكتف بقراءة القرآن في المقابر وعلى الموتى كما عبر محمد عاكف عن شكواه، وقرأناه لانفسنا، فإننا لن نتأخر عن مشاهدة معجزاته الابدية بشكل واضح. كما ان بديع الزمان يشارك محمد عاكف في شكواه حيث يقول: ''كونه بقي بدرجة المبارك الذي يتبرك بتلاوته''. ''كليات رسائل النور، ٢٠٤٦-٢٠٤٧''. وإذا وصفنا رسائل النور بأنها ثمرة هذه الشكوى لن نكون مخطئين.
[38] كليات رسائل النور ''بالتركية''، ص ١٧٠٣.
[39] المكتوبات-بديع الزمان سعيد النورسي/ ترجمة احسان قاسم-ص ٤٥٩
[40] الملاحق /قسطموني -سعيد النورسي/ ترجمة احسان قاسم / ص ١٠٥
[41] كليات رسائل النور ''بالتركية''، ص٧٤٦.
[42] سورة الانعام، آية ١٥٧. سورة الاعراف، آية ٥٢، ٢٠٣. سورة يونس، آية ٥٧. سوره يوسف، آية ١١١. سورة النحل، اية ٨٩ سورة الإسراء، آية ٨٢. سورة القصص، آية ٨٦. سورة العنكبوت، آية ٥١. سورة لقمان، آية ٣. سورة الجاثية، آية ٢٠.
[43] كليات رسائل النور ''بالتركية''، ص ١٥٦،١١- ١٥٧، ١٣٥٥.
[44] كليات رسائل النور ''بالتركية''، ص ٨٤٣.
[45] كليات رسائل النور ''بالتركية''، ص٣٤٥،٤٤١،٨٤٣، ٩٣٠، ١٦٩٢، ٢٠٧٣، ٢٢٩٦.
[46] كليات رسائل النور ''بالتركية''، ص ٢٠٧٣.
[47] كليات رسائل النور ''بالتركية''، ص ١٧٠٤،
[48] كليات رسائل النور ''بالتركية''، ص ٦٦٩- ٦٧٠، ٦٧٢، ٧٣٧، ٧٣٥، ١٦٠٣، ١٦٦.،١٧٠٢، ١٧١٣، ١٧٨٣، ١٨٩١، ٢١٥٣.
[49] الملاحق-اميرداغ/ ٣٤٤
[50] كليات رسائل النور ''بالتركية''، ص ٧٣٤-٧٣٥، ص ١٥١٣.
[51] كليات رسائل النور ''بالتركية''، ص ٧٣٤- ٧٣٥، ص ١٥١٣.
[52] كليات رسائل النور ''بالتركية''، ص ٢١١، ١٤٢٥، ١٦١٢.
[53] كليات رسائل النور ''بالتركية''، ص ٢٠٤٥.
[54] كليات رسائل النور ''بالتركية''، ص ١٦
[55] الملاحق-اميرداغ / ٢٧٦
[56] كليات رسائل النور ''بالتركية''، ص ٥٠٣، ١٥٧٤، ٢٠٢٢.
[57] الملاحق-قسطموني/ ٢٠٨
[58] الملاحق-قسطموني /٢٠٨
[59] الملاحق-اميرداغ / ٢٧٦
[60] الشاعر الكبير مؤلف النشيد الوطني التركي، ولد في استنبول عام ١٢٩٠هـ الموافق ١٨٧٣م، وتوفي بها في٢٧ من ديسمبر سنة ١٩٣٦م.

رؤية الامام النورسي للربا

أ.د. اسامة عبد المجيد العاني

المقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونستهديه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فهو المهتد، ومن يضلل فلن تجد له وليا مرشدا، وأصلي وأسلم على سيد الكائنات، الذي تركنا على المحجة البيضاء ليلها كنهارها، لا يزيغ عنها إلا هالك. وبعد:

يئن عالمنا اليوم من ثقل الأزمات الإقتصادية التي تعصف به، فما تكاد تنتهي مظاهر أزمة، حتى تظهر في الأفق بوادر أخرى أشد من سابقتها وأمر. وحيث إن العالم بات قرية صغيرة، فإن تداعيات الأزمات الإقتصادية تعم الجميع بالسوء، حتى بات يتمثل قول الباري سبحانه ﴿وَاتَّقُواْ فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمْ خَآصَّةً...﴾[الانفال:٢٥]

ويتبارى الإقتصاديون في تحليل الأزمات، ويضعون مختلف الأسباب والمسببات، فمنهم من يعزوها إلى الاختلالات الهيكلية لطبيعة الإقتصاد الرأسمالي، أو إلى سرعة تدفق رؤوس الأموال وما ينجم عنها من تقلبات في الأسعار، ومنهم من يرجعها إلى توسع الإئتمان بالمصارف بحيث يفوق حقوق ملكيتها أضعافا مضاعفة. ويكاد أن يتفق الجميع على أن سياسة ما يسمى "مقايضة الديون التي يعجز أصحابها عن السداد"، - وهي فكرة إبتدعها مجموعة من المصرفيين نهاية التسعينيات من القرن المنصرم، والمتمثلة باللجوء إلى نوع من التأمين لتحميل طرف ثالث المسؤولية في حالة عجز المقترض عن السداد، مقابل أن يحصل ذلك الطرف دفعات منتظمة على غرار أقساط التأمين- بأنها واحدة من أهم تلك الأسباب. وبلغة بسيطة يمكن أن نتوصل إلى أن رأس المال وتداوله عن طريق النظام الربوي هو سبب الأزمات المالية العالمية.

لقد صدق فينا قول ربنا عز وجل: ﴿وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا

الْقُرْآنَ مَهْجُورًا﴾.[الفرقان:٣٠] قال ابن القيم في كتابه القيم "الفوائد": وهجر القرآن أنواع: أحدها: هجر سماعه والإيمان به والإصغاء إليه. والثاني: هجر العمل به والوقوف عند حلاله وحرامه، وإن قرأه وآمن به. والثالث: هجر تحكيمه والتحاكم إليه في أصول الدين وفروعه، واعتقاد أنه لا يفيد اليقين، وأن أدلته لفظية لا تحصل العلم. والرابع: هجر تدبره وتفهمه، ومعرفة ما أراد المتكلم به منه. والخامس: هجر الاستشفاء والتداوي به في جميع أمراض القلوب وأدوائها، فيطلب شفاء دائه من غيره، ويهجر التداوي به... وإن كان بعض الهجر أهون من بعض.

فقد هجرنا السماع والعمل والوقوف عند حلال وحرام القرآن الكريم، وكذلك تحكيمه فينا وتدبره وتفهمه، فقد نسينا قوله تعالى ﴿وَأَحَلَّ اللهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا﴾.[البقرة:٢٧٥] ووضعنا جانبا، تهديد ووعيد ربنا سبحانه وتعالى: ﴿فَأْذَنُواْ بِحَرْبٍ مِّنَ اللهِ﴾.[البقرة:٢٧٩]

يحاول البحث التطرق إلى موضوع نعلمه جيدا، إلا أن البعض يسعى إلى إيجاد تبريرات يخدع بها نفسه قبل غيره لتسويغ الحرام، لذا فإن البحث سيحاول تسليط الضوء على ماورد من وقفات وتحليلات مهمة لموضوع الربا في رسائل النور.

من هنا فإن بحثنا يهدف إلى:

- تذكير العباد بحلال وحرام الباري عزَ وجلَ في موضوع الربا.
- التطرق إلى وقفات النورسي رحمه الله حول الربا.
- معرفة الآثار الإقتصادية والإجتماعية للربا في رسائل النور.

أولا: الربا طبيعته، تحريمه وأنواعه

١. ١. تعريف الربا:

ربا الشيء يربو ربوا ورباءً، أي زاد ونما. وأربيته، يعني نميته. وربا المال، أي زاد بالربا.[1] قال تعالى: ﴿فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاء اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ﴾.[الحج:٥]

عرفه الحنفية بأنه، "الفضل الخالي عن العوض في البيع."[2] ويقصد بذلك الزيادة سواء أكانت هذه الزيادة حقيقية مثل بيع درهم بدرهمين نقدا أو مؤجلة، أم كانت هذه الزيادة حكمية، مثل بيع درهم حال، بدرهم مؤجل. فالزيادة هنا هي زيادة الحلول على التأجيل. أما قولهم "الخالي عن العوض" أي لم تكن الزيادة مقابل عوض، وأما قولهم "في البيع" أي أنهم استثنوا المعاملات الأخرى مثل الهبة أو الصدقة.

١. ٢. تحريم الربا:

ورد تحريم الربا في الكتاب، في عدة آيات نذكرها حسب الترتيب على وفق نزولها "الروم:٢٩، آل عمران:١٣٠، البقرة: ٢٧٥-٢٨١".

وعن جابر رضي الله عنه قال: لعن رسول الله ﷺ آكل الربا وموكله، وكتابه، وشاهديه، وقال: "هم سواء".[3] وغيرها من عشرات الأحاديث.

وقد تحدث العديد من الفقهاء والمفسرين عن الإجماع بوصفه دليلا على حرمة الربا منهم على سبيل المثال: إبن رشد القرطبي الحفيد، وابن قدامة، وابن حزم، والقرطبي، والنووي، والصنعاني، وابن جزيَ، وغيرهم من العلماء.[4]

وذكر الشيخ محمد أبو زهرة رحمه الله بأنه قد "أجمع العلماء على أن الزيادة في الدين نظير الأجل هو ربا محرم ينطبق عليه النص القرآني، وإن من ينكره أو يماري فيه فإنما ينكر أمرا قد علم من الدين بالضرورة، ولا يشك عالم في أي عهد من عهود الإسلام أن الزيادة في الدين نظير تأجيله ربا لاشك فيه".[5]

١. ٣. أنواع الربا:

دلت الأحاديث الواردة عن النبي ﷺ، أن الربا نوعان، ربا النسيئة وربا الفضل ربا النسيئة، والذي يسمى بربا الجاهلية، لأنه اشتهر في ذلك الحين، حيث كان الواحد منهم يدفع ماله لغيره إلى أجل على أن يأخذ منه كل شهر قدرا معينا، ورأس المال باق على حاله، فإذا حلَ الأجل طالبه برأس ماله، فإن تعذر عليه الأداء، زاده في الحق والأجل.[6] وهو ما يسمى بربا الفوائد في العصر الراهن.

وقد عرف الشافعية والزيدية ربا الفضل، بكونه: "البيع مع زيادة أحد العوضين عن الآخر كبيع الدينار بدينارين نقدا ونسيئة، وصاع بصاعين، ورطل برطلين سواء يد بيد أو نسيئة."[7]

ثانيا: مآلات الربا عند النورسي

كونه من علماء الفطرة، فقد انطلق في معالجته لجريمة الربا كما يصورها، رحمة الله عليه، معتمدا على مناجاة الفطرة أيضا. فالقرآن الكريم جلي وواضح في هذا المجال، ولا يحتاج إلى التزويق اللفظي أو إلى التعابير المجازية، فقد قال: ﴿وَأَحَلَّ اللهُ الْبَيْعَ

وَحَرَّمَ الرِّبَا﴾،[البقرة:٢٧٥] ثم يبدأ رحمة الله عليه في تحليل آثار الربا الإقتصادية والإجتماعية.

٢. ١. بديهيات النورسي حول الربا

البَدْهُ والبُدْهُ والبَدِيهة والبُداهة (قوله ''والبداهة'' بضم الباء وفتحها كما في القاموس): أَوّل كل شيء وما يفجأُ منه، والإسم البَدِيهةُ في أَول ما يُفاجأُ به. والبَديهَةُ: أَوَّلُ كُلِّ شيء، وما يَفْجَأُ منه. وبادَهَهُ به مُبَادَهَةً وبِداهاً: فاجأَهُ به. ولك البديهَةُ، أَي: لك أن تَبْدَأ، وهو ذُو بَدِيهَةٍ، وأجابَ على البديهةِ.[8]

وأردنا من عنوان هذا المطلب إستعراض ''بديهيات'' أو ''أوليات'' أو ''بدايات'' الربا عند الإمام النورسي رحمه الله. وقصدنا من ذلك الأمور التي لا تحتاج إلى نقاش عنده، وكما سيتبين لاحقا.

أ- تحريم كافة أنواع الربا:

يلاحظ أن النورسي رحمة الله عليه لا يتوقف كثيرا، عند تحريمه للمصطلحات المعاصرة للربا، حيث يقول: ''على البشرية قتل جميع أنواع الربا إن كانت تريد الحياة''،[9] ويرفض يقينيا دون الخوض فيها ''فوائد البنوك المعاصرة''، حيث يقول: ''وكانوا هم السبب في تأسيسهم البنوك بجعلهم الربا أضعافا مضاعفة.''[10]

أوضحت الفقرة الأولى، وجود ربا الفضل وربا النسيئة، وتبين حرمة كليهما. كما سعى بعض الإقتصاديين والمتشبهين بالفقهاء إلى تبرير ربا المصارف، وإلى التفريق ما بين القروض الإستهلاكية والقروض الإنتاجية، وتوصلوا إلى أن الشرع حرم ربا القروض الإستهلاكية ''الضرورية'' للإنسان، إلا أنه لم يتطرق إلى تحريم القروض الإنتاجية، ولا أعلم كيف فهموا قوله تعالى: ﴿وَأَحَلَّ اللهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا﴾،[البقرة:٢٧٥] بأن المراد منه القروض الإستهلاكية، لا القروض الإنتاجية.

ولا أنوي الخوض كثيرا في هذا المجال، فقط أشير هنا إلى خطبة الرسول ﷺ، في حجة الوداع، عندما قال: ''وربا الجاهلية موضوع وأول ربا أضع ربانا ربا العباس بن عبد المطلب فإنه موضوع كله''،[11] والسؤال لهؤلاء الإنهزاميون أمام حضارة الغرب، لماذا ركز ﷺ على لفظة ''كله''، ثم ألم يكن العباس عم النبي رضي الله عنه، تاجرا؟ ويقصده في الإقتراض المعوزين من التجار وغيرهم، والمعروف أن التجار يقترضون

لغرض الإتجار، فكيف فهموا هذا الإستنتاج، أم أنهم كما يصفهم الحق سبحانه ﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ﴾.البقرة:٨٥

ب- إقتران تحريم الربا بإيتاء الزكاة:

ومن البديهيات التي ذكرها رحمة الله عليه هي اقتران تحريم الربا بإيتاء الزكاة. حيث يقول: ''إن دساتير القرآن الكريم وقوانينه لأنها آتية من الأزل فهي باقية وماضية إلى الأبد. لاتهرم أبداً ولا يصيبها الموت، كما تهرم القوانين المدنية وتموت، بل هي شابة وقوية دائماً في كل زمان. فمثلاً: إن المدنية بكل جمعياتها الخيرية، وأنظمتها الصارمة ونظمها الجبارة، ومؤسساتها التربوية الأخلاقية لم تستطع أن تعارض مسألتين من القرآن الكريم بل إنهارت أمامهما وهي في قوله تعالى: ﴿وَآتُواْ الزَّكَاةَ﴾البقرة:٤٣ و ﴿وَأَحَلَّ اللهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا﴾.البقرة:٢٧٥ 12 ويوضح ذلك مستنتجا، فيقول: ''إن أس أساس جميع الإضطرابات والثورات في المجتمع الإنساني إنما هو كلمة واحدة، كما أن منبع جميع الأخلاق الرذيلة كلمة واحدة أيضاً. كما أُثبت ذلك في (إشارات الإعجاز''.

الكلمة الأولى: ''إن شبعتُ، فلا عليّ أن يموت غيري من الجوع.''

الكلمة الثانية: ''إكتسبْ أنتَ، لآكل أنا، واتعبْ أنت لأستريح أنا.''[13]

وهذا الأمر ينبغي التوقف عنده قليلا. فالرأسماليون، عند توزيعهم لعوائد عناصر الإنتاج، الذي يمثل رأس المال أحدها، كانت الفائدة مردودا لرأس المال، وبرروا ذلك بأسباب شتى: فقد عدَ الكلاسيك الفائدة، ثمنا للإدخار، وعولوا على الفائدة كثيرا، فهي أساس التقدم الإقتصادي، وهي التي تحقق التوازن بين الإدخار والإستثمار. كما عدها بعضهم ثمن المخاطرة برأس المال، أو التخوف من تناقص قيمة النقد من جراء التضخم، أو باعتبارها ثمنا للإمتناع الذي يلزم المدخر به نفسه، أو التعويض عن التضحية الزمنية لإقراض المال للرأسمالي، كما فعل مارشال، حيث اعتبر الإدخار ''إستهلاك مؤجل''، أو جعل الفائدة مكافئة للتخلي عن السيولة النقدية كما فعل كينز، وغيرها من التبريرات. لذا فإن تحليلهم الإقتصادي ينصب على ضرورة إيجاد عائد لأهم عناصر الإنتاج في النظام الرأسمالي ''رأس المال'' والمتمثل بالفائدة.

ومعلوم أن الإسلام لايجيز لرأس المال الحصول على أي عائد إلا عن طريق الإشتراك في الأعمال الإنتاجية، فالمال لا يولد مالا بذاته، وإنما عن طريق الإستثمار حصرا، إما مضاربة أو مرابحة أو مشاركة، وغيرها من الوسائل التي أباحها الشرع.

ثم إن هناك شرطا آخر وضعه الإسلام على المال في حالة اكتنازه وهو إيتاء الزكاة. وقد ورد في هذا المجال، قوله ﷺ: ''إتجروا في مال اليتيم كي لا تأكله الصدقة''.[14] هذا الأمر يتطلب أن يكون رأس المال في الإسلام في حالة تداول دائمة، كي يضمن نموه، وبالتالي عدم فنائه عند اكتنازه ودفعه للزكاة.

هذا الأمر فقهه النورسي رحمه الله، لذا جعل منع الربا مقترنا بإيتاء الزكاة، كي يضمن تداول رأس المال في النشاط الإقتصادي، إذ لو سايرنا تبرير الرأسماليين للفائدة كأساس لنمو رأس المال، وأداة لتوجيه الإقتصاد وتخصيص الموارد -وهو أمر مردود من أساسه-،[15] فبزواله حسب ادعاء الرأسماليين ستزول الرغبة نحو الإدخار الذي مآله للإستثمار كما هو عند الكلاسيك كليا أو جزئيا كما هو عند كينز عند استبعاده للاكتناز. وحيث إن الإسلام جاء لينظم الحياة بكل أطرافها، جاءت الزكاة كي تكون حافزا لإعادة التوزيع من جهة، وحافزا لنمو رأس المال من جهة أخرى، لضمان عدم فنائه.

فالإسلام، يفرض فائدة سالبة ''الزكاة'' من شأنها أن تضطر المدخر على توظيف أمواله بدلا من تجميدها، ووضع ضريبة دورية ''٢،٥ %'' سنويا، وهكذا يجد صاحب المال نفسه مضطرا إلى توظيف أمواله كي لا تأكلها الزكاة فيزداد الاستثمار، ويرتفع الإنتاج، ويزداد الاستخدام والدخل، الأمر الذي يحفز النمو الإقتصادي.[16] هذا ما استنبطه النورسي، فقرن تحريم الربا بإيتاء الزكاة، وهو استنباط ينم عن فهم عميق لعلم الإقتصاد.

ثانيا: الآثار الإقتصادية والإجتماعية للربا:

عند قراءة مؤلفات النورسي، تبقى مندهشا وحائرا، لسعة إدراكه وبعد نظره، إلا أن سرعة اندهاشك تتلاشى، عندما تتذكر بأن المؤمن ينظر بنور الله، وكما ورد في الأثر ''إحذروا فراسة المؤمن''. لقد استطاع رحمة الله عليه أن يتوصل إلى استنتاجات إقتصادية واجتماعية للربا، ربما قد تتطلب جهدا كبيرا من أصحاب الاختصاص.

أ- إختلال توازن المجتمع:[17]

يصور الإمام بديع الزمان، حالة المجتمع الذي يتفشى فيه الربا، إذ تتزايد الفجوة الإقتصادية ما بين الأغنياء (الخواص)، والفقراء (العوام)، فينجم عن ذلك مشاكل إجتماعية سمتها الحقد والحسد مابين الفقير والغني، مما يؤدي إلى مجتمع متانفر الأطراف، حيث يقول:

لقد انقطعت صلة الرحم بين طبقة الخواص والعوام. فانطلقت من العوام أصداء الاضطرابات وصرخات الإنتقام، ونفثات الحسد والحقد. ونزلت من الخواص على العوام نار الظلم والإهانة وثقل التكبر ودواعي التحكم. بينما ينبغي أن يصعد من العوام: الطاعة والتودد والإحترام والإنقياد، بشرط أن ينزل عليه من الخواص: الإحسان والرحمة والشفقة والتربية. فإن أرادت البشرية دوام الحياة فعليها أن تستمسك بالزكاة وتطرد الربا. إذ إن عدالة القرآن واقفة بباب العالم وتقول للربا: ''ممنوع، لا يحق لك الدخول إرجع!''[18]

ولا يصف النورسي، رحمه الله، حال المجتمع المختل توازنه، ويتركه على علاته، بل نجده يقترح الحل المناسب الذي وضعه الإسلام، والمتمثل بإيتاء الزكاة، فيقول:

إعلم! أن شرط انتظام الهيئة الإجتماعية أن لا تتجافى طبقات الإنسان، وأن لاتتباعد طبقةُ الخواص عن طبقة العوام، والأغنياء عن الفقراء بدرجة ينقطع خيط الصلة بينهم. مع أن بإهمال وجوب الزكاة وحرمة الربا إنفرجت المسافة بين الطبقات، وتباعدت طبقات الخواص عن العوام بدرجة لا صلة بينهما، ولا يفور من الطبقة السفلى إلى العليا إلا صدى الإختلال، وصياح الحسد، وأنين الحقد والنفرة بدلا عن الإحترام والإطاعة والتحبب، ولا يفيض من العليا على السفلى بدل المرحمة والإحسان والتلطيف إلا نار الظلم والتحكم، ورعد التحقير. فأسفاً!.. لأجل هذا قد صارت ''مزيةُ الخواص'' التي هي سبب التواضع والترحم سبباً للتكبّر والغرور. وصار ''عجزُ الفقراء'' و ''فقرُ العوام'' اللذان هما سببا المرحمة عليهم والإحسان إليهم سبباً لأسارتهم وسفالتهم... وإن شئت شاهداً فعليك بفسادِ ورذالةِ حالة العالم المدنيّ، فلك فيه شواهد كثيرة. ولا ملجأ للمصالحة بين الطبقات والتقريب بينها إلا جعل الزكاة -التي هي ركن من أركان الإسلامية- دستوراً عالياً واسعاً في تدوير الهيئة الإجتماعية.[19]

ب- إنتعاش الإضطرابات:

إذا ما اختل توازن المجتمع، نجمت عنه الإضطرابات، فتتفاقم الإضرابات، وتتعطل الحياة الإجتماعية، وفي ظل العولمة وحكم الشركات عابرة القومية، فإن الإضطرابات لن تقتصر على مستوى البلد الواحد، بل ستتجاوزه، وربما يعم المعمورة جمعاء.

فبمعرض حديثه عن الكلمتين ''إن شبعت فلا عليّ أن يموت غيري من الجوع''، ''وأكتسب أنت لآكل أنا''، يتوصل النورسي، رحمه الله، إلى أنه، لا يمكن العيش

بسلام ووئام في مجتمع إلا بالمحافظة على التوزان القائم بين الخواص والعوام، أي بين الأغنياء والفقراء، وأساس هذا التوازن هو رحمة الخواص وشفقتهم على العوام، وإطاعة العوام واحترامهم للخواص.[20]

فالآن، إن الكلمة الأولى قد ساقت الخواص إلى الظلم والفساد، ودفعت الكلمة الثانية العوام إلى الحقد والحسد والصراع. فسُلبت البشرية الراحة والأمان لعصور خلت كما هو في هذا العصر، حيث ظهرت حوادث أوربا الجسام بالصراع القائم بين العاملين وأصحاب رأس المال كما لا يخفى على أحد. فالمدنية بكل جمعياتها الخيرية ومؤسساتها الأخلاقية وبكل وسائل نظامها وانضباطها الصارم عجزت عن أن تصلح بين تينك الطبقتين من البشر كما عجزت عن أن تضمد جرحي الحياة البشرية الغائرَين.[21]

وكعادته، بعد تشخيصه للمشكلة، يضع الحل الذي جاء به الباري عزَّ وجل من خلال الإسلام، وفي رسالته ''القرآن الكريم''.

أما القرآن الكريم فإنه يقلع الكلمة الأولى من جذورها، ويداويها بوجوب الزكاة. ويقلع الكلمة الثانية من أساسها ويداويها بحرمة الربا. نعم، إن الآيات القرآنية تقف على باب العالم قائلة للربا: الدخول ممنوع. وتأمر البشرية: أوصدوا أبواب الربا لتنسد أمامكم أبواب الحروب. وتحذّر تلاميذ القرآن المؤمنين من الدخول فيها.[22]

إن معدن جميع أنواع الإضطرابات والقلاقل والفساد وأصلها، وإن محرك جميع أنواع السيئات والأخلاق الدنيئة ومنبعها كلمتان اثنتان أو جملتان فقط (ذكرت أعلاه – الباحث–).

فإن كانت البشرية تريد صلاحاً وحياة كريمة فعليها أن تفرض الزكاة وترفع الربا.[23]

ج- الأزمات الدورية:

لقد نجم عن الربا أزمات إقتصادية هزت الإقتصاد الرأسمالي، فمنذ عام ١٩٢٩ ''الكساد الكبير'' توالت الأزمات واحدة تلو الأخرى، آخرها وليس أخيرها الأزمة المالية التي عصفت بالإقتصاد الأمريكي ''أزمة العقار''، والتي انتقلت ويلاتها لتجر الخسارة إلى كل الإقتصاد العالمي، وما الأزمة الأوروبية الحالية إلا دليل على تلك الأزمات المتلاحقة. وهذا ما توعده النورسي، من خلال فهمه لقوله تعالى للمرابين: ﴿فَأْذَنُواْ بِحَرْبٍ مِّنَ اللّهِ﴾. البقرة:٢٧٩

ولكن البشرية لم تصغ إلى هذا الأمر، فتلقّت صفعة قوية، وعليها أن تصغي إليه قبل أن تتلقى صفعة أخرى أقوى وأمرّ.[24]

د- الربا سبب للبطالة:

إن حلول الأزمات الإقتصادية، الذي أساسه التعامل الربوي، من شأنه أن يعصف بالقطاعات الإقتصادية، من جهات عدة، إذ إن الاستثمار بدلا من أن يتجه إلى الإقتصاد الحقيقي، إنتقل إلى المضاربة في أسواق المال، وهو اقتصاد رمزي، لايقابله إنتاج حقيقي، مما يؤدي إلى تزايد البطالة، إذ إن الإستثمار المخصص للقطاعات الإقتصادية سوف ينكمش بحدوث الأزمات، وهذا أيضا استنتجه النورسي رحمه الله.

الربا يسبب العطل، ويطفىء جذوة الشوق إلى السعي. إن أبواب الربا ووسائطه، هذه البنوك، إنما تعود بالنفع إلى أفسد البشر وأسوأهم. وهم الكفار... وإلى أسوأ هؤلاء وهم الظلمة، وإلى أسوأ هؤلاء وهم أسفههم. إن ضرر الربا على العالم الإسلامي ضرر محض. والشرع لا يرى تحقيق رفاهية البشر قاطبة في كل حين. إذ الكافر الحربي، لاحرمة له ولاعصمة لدمه.[25]

هـ- إنتشار أزمة الجوع:

تحاول استطلاعات الرأي، ومراكز الدراسات المستقبلية، التنبوء بما سيؤول إليه الحال، بعد "٥، ١٠، ١٥" سنة القادمة، واضعة افتراضات عدة واحتمالات شتى وترسم سيناريوهات مختلفة، حسب كل افتراض. إلا أن المؤمن الذي ينظر بنور الله، والفتح الرباني لعالمنا الجليل، جعلته يتوقع حال آخر الزمان، وهو عصرنا.

أشار تقرير التنمية البشرية للعام ٢٠٠٦، إلى أن هناك حاجة ماسة لوضع خطة عمل دولية بقيادة مجموعة الثمانية "G8" لحل أزمة المياة والصرف الصحي المتنامية التي تتسبب بموت ما يقارب مليوني طفل سنويا. وفقا لهذا التقرير، وعنوانه ما هو أبعد من الندرة: القوة والفقر وأزمة المياه العالمية، تشكل المياه غير النظيفة في معظم أنحاء العالم النامي تهديدا للأمن البشري أشد من التهديد الذي تشكله النزاعات العنيفة.

يفهم من الروايات أن الجوع سيؤدي دوراً مهماً في فتنة آخر الزمان هذه، وأن أهل الضلالة يحاولون بهذا التجويع إغراق أهل الإيمان الضعفاء الجائعين في متطلبات هموم العيش حتى ينسّونهم مشاعرهم الدينية أو يجعلونها في المرتبة الثانية أو الثالثة.[26]

بعد تأكده من وقوع هذه المصيبة ''أزمة الغذاء والمياه'' حسب التعابير المعاصرة، يقترح النورسي للحد من هذه الظاهرة ومن خلال توصيات، أبرزها الحرص على تفعيل الزكاة.

ولما كان لأهل الإيمان وللأبرياء من حيث القدر الإلهي وجه رحمة ووجه عدالة في كل شيء، حتى في عذاب القحط. تُرى بأى طرز تكون هذه الرحمة والعدالة في هذا الأمر؟ ومن أية جهة يستفيد أهل الإيمان ولاسيما طلاب رسائل النور من هذه المصيبة -من حيث الإيمان والآخرة- وكيف يتصرفون معها ويقاومونها؟

الجواب: إن أهم سبب لهذه المصيبة هو العصيان النابع من كفران النعمة وعدم الشكر وعدم تقدير النعمة الإلهية حق قدرها. لذا فإن العادل الحكيم لأجل إراءة اللذة الحقيقية لنعمه ولاسيما الأغذية منها ولاسيما ما يخص الحياة ولاسيما النعمة الكبرى، الخبز... ولبيان أهميته العظيمة ودرجته الفائقة من حيث النعمة، فإنه سبحانه يسوق الناس إلى الشكر الحقيقي -وفقاً لحكمته تعالى- فتنزل هذه المصيبة بالذين لا يشكرون ربهم ولا يراعون الرياضة الدينية في شهر رمضان. فعدلُه سبحانه وتعالى محض الحكمة.[27]

إن مهمة أهل الإيمان وأهل الحقيقة ولاسيما طلاب رسائل النور هي السعي لجعل بلاء الجوع هذا وسيلة الالتجاء إلى الله والندم على الذنوب والتسليم لأمر الله، وكالجوع الذي يصيب المرء عند مزاولته الرياضة الدينية في شهر رمضان، والحيلولة دون فتح السبيل أمام التسول والسرقة والفوضى بحجة الضرورة، والسعي لدفع الزكاة إلى أولئك الفقراء الجائعين الذين لا يرأف بحالهم قسم من الأغنياء وبعض أهل المرتبات، فيستمعوا لرسائل النور ويرأفوا بحالهم بشعورهم بهذا الجوع الإضطراري... وجعل الشباب تلك الحادثة لصالحهم بدلاً من أن تكون بلاءً عليهم وذلك باسترشادهم برسائل النور فيستفيدوا منها استفادة الغيارى، حيث تحد المصيبة من طغيان نفوسهم وتحول بينهم وبين نزواتها وأذواقها الدنيئة... وأن ينظر أهل العبادة والصلاح إلى هذا البلاء النازل بهم كرياضة شرعية في هذا الوقت الذي أصبح أغلب الناس جياعاً واختلط المال الحرام بالحلال اختلاطاً شديداً حتى استحال تمييز أحده عن الآخر وأصبح بمثابة الأموال المشبوهة، فيقنع بمقدار الضرورة من الإعاشة العامة -التي يشترك فيها الجميع ضمناً- ليكون حلالاً. فيقابل القدر الإلهي بالرضا بدلاً من الشكوى.[28]

ويمكن تلخيص توصيات النورسي لحل أزمة الغذاء بالآتي:

١- العودة والإنابة إلى الله من خلال الإلتزام بشرعه.

٢- قطع السبيل أمام التسول والفوضى والفساد بحجة الجوع.

٣- إيتاء الزكاة.

٤- الامتناع عن الإسراف.

٥- الصبر على البلاء.

مما سبق يتضح لنا أن الإمام النورسي رحمه الله، لم يتوقف كثيرا عند عرضه لتحريم الربا ولم يخض فيه، واستدل بقوله تعالى: ﴿وَأَحَلَّ اللهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا﴾، البقرة:٢٧٥ وقطع الطريق على المتحايلين، عندما ذكر بأن كل أنواع الربا حرام، حتى ولو تم نعتها بوصف آخر، كما في فوائد البنوك. وقرن الامتناع عن الربا بإيتاء الزكاة. واتبع أسلوبا في غاية الحكمة للاستدلال على التحريم، وذلك من خلال استعراض الآثار السلبية الإجتماعية والإقتصادية للربا.

الخاتمة:

لا يعد الخوض، في رسائل النور أمرا سهلا، فكلما راجعت قراءة موضوع ما فيها، وجدت أنك قد أغفلت الكثير ولم تستطع الإحاطة به، وهذه الصفة بلغتها رسائل النور، لأنها تعاملت مع أطهر وأنبل دستور في الوجود وحاولت تفسيره، وهو كتاب الله العظيم (القرآن)، فاكتسبت ببركته هذه الشمولية.

مع التطور الحاصل في النظام المصرفي، أصبح الإنسان مكبلا ولا يمكن له أن يستغني عن فعل شيء دون استخدام بطاقة الائتمان، بل إن الإغراءات الكثيرة التي تقدمها المصارف، يمكن أن تجر قدم الكثيرين للوقوع في الاقتراض، وبالتالي الوقوع في مشكلة الربا، وأشير هنا إلى حديث المصطفى ﷺ والذي تم ذكره في المبحث الأول، حيث قال: ''لَيَأْتِيَنَّ علَى النّاسِ زَمَانٌ لاَ يَبْقَى أَحَدٌ إلا أَكَلَ الرّبَا، فَإِنْ لَمْ يَأْكُلْهُ أَصَابَهُ مِنْ غباره.''[29]

هذا الأمر يتطلب منا التذكير بحرمة الربا، والتذكير بآثاره، إذ إن الإنسان يتأثر بالشواهد للأسف أكثر من ترهيبه بالحرام. وهذا ما فعله بديع الزمان الإمام النورسي، إذ استطاع أن يشير إلى آثار الربا، والتي تؤدي ابتداءا إلى اختلال بنية المجتمع، فتشيع الإضطرابات على المستوى المحلي والدولي، ويزداد عدد العاطلين عن العمل،

وتتوالى الأزمات المالية والإقتصادية مرارا، وتتفشى أزمة الجوع (الغذاء العالمية). وهي أمور حاصلة اليوم، إلا أنه توقعها لعقود خلت.

إن تشخيص المرض لا يكفي، فينبغي وضع العلاج الملائم له، كي يتم استئصاله، هذا ما فعله النورسي رحمه الله، فعلاج الربا مقترن بإيتاء الزكاة، وبتحريم كافة أنواع الربا كما تم ذكره في المبحث الثاني. كما أن تجربة المصارف اللاربوية (الإسلامية) التي نشأت منذ عام ١٩٧٥ يمكن أن تكون بديلا ناجعا لتيسير التعاملات الإقتصادية وضمان الإستثمار على وفق مبادئ الشريعة السمحاء، مما يحتم تشجيع انتشارها والتعامل معها.

* * *

الهوامش:

[1] ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بروت- لبنان، بدون تاريخ، ج١٤ / ٣٠٤-٣٠٥.

[2] السرخسي، المبسوط، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٣، ج١٢/١٠٩.

[3] صحيح مسلم، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار احياء التراث العربي، بيروت، كتاب المساقاة، باب لعن آكل الربا وموكله. الترمذي واحمد في مسنده.

[4] الإمام مالك، المدونة الكبرى، طبعة دار الفكر، بيروت، ١٩٧٨، ٢٥/٤، ابن تيمية، مجموع الفتاوى، جمع و ترتيب عبد الرحمن بن محمد النجدي، مطابع الرياض،١٣٨٣هـ. ٥٣٥/٢٩. ابن حزم، المحلى، تحقيق لجنة احياء التراث العربي، دار الجيل، بيروت٥٠٩/٩. الجامع لاحكام القرآن، القرطبي، ٢٤١/٣. النووي، المجموع شرح المهذب، دار الفكر، بيروت،١٤١٦هـ، ٣٩١/٩. ابن رشد، بداية المجتهد ونهاية المقتصد، دار المعرفة، بيروت ج٢/ ١٢٩. ابن قدامة، المغني، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣، ج٤/ ١٢٣، ١٦٣. الصنعاني، سبل السلام، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢، ٢٠٠٣، ج٣/٣٥. ابن جزي، القوانين الفقهية، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٨٤، ص ٢٥٠-٢٥١.

[5] ابو زهرة، محمد، بحوث في الربا، دار البحوث العلمية، الكويت، ١٩٧٠، ص ٢٩-٣٠.

[6] ابن حجر المكي، احمد بن احمد، الزواجر عن اقتراف الكبائر، مطبعة المصطفى البابي الحلبي، القاهرة، ط٢، ١٣٩٠هـ/ ١٩٧٠م، ج١/ ص ٢٢٢.

[7] القاموس الفقهي، ابو حبيب سعدي، دار الفكر، دمشق، ط٢، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م، ص١٤٣.

[8] لسان العرب. الفيروز ابادي، محمد بن يعقوب، القاموس المحيط، دار الفكر، بيروت،١٩٨٣.

[9] النورسي، سعيد، كليات رسائل النور، الكلمات، ترجمة احسان قاسم الصالحي، شركة سوزلر للنشر، القاهرة، ط ٥، ٢٠٠٨/ ص٤٣٤.

[10] المصدر نفسه/ الكلمة الخامسة والعشرون/ الشعاع الثاني/ ص ٤٥٨.

[11] صحيح مسلم، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار احياء التراث العربي، بيروت، كتاب الحج، باب ١٩ج٢، ٨٩٩، حديث ١٤٧، كتاب الحج، باب ١٩. مسند احمد.

[12] الكلمات، الشعاع الثالث، ص ٤٦٦-٤٦٧.

[13] المصدر نفسه.

[14] رواه الدارقطني والبيهقي.

[15] محمد عمر شابرا، نحو نظام نقدي عادل، ص ١٤٥ وما بعدها.

[16] صبحي فندي الكبيسي، تحريم الربا وبعض اثاره الاقتصادية، مجلة الادارة والاقتصاد، العدد الحادي عشر، ١٩٨٩، كلية الادارة والاقتصاد/الجامعة المستنصرية، بغداد، ص ١٢٤.

[17] يورد النورسي، في تراثه العلمي المنقول الينا، عبارات تدل -حسب رأي الباحث- على مفهوم واحد، اذ وردت ايضا عبارة انتظام الهيئة الاجتماعية.

[18] الكلمات، ص ٤٣٤.

[19] النورسي، سعيد، كليات رسائل النور، اشارات الاعجاز، ترجمة احسان قاسم الصالحي، شركة سوزلر للنشر، القاهرة، ط ٥، ٢٠٠٨/ص ٥٢ وما بعدها.

[20] الكلمات/ ص٤٦٦.

[21] المصدر نفسه، ص ٤٦٧.

[22] المصدر نفسه.

[23] المصدر نفسه، ص ٨٣٣.

[24] المصدر نفسه/ص، ٤٣٤.

[25] المصدر نفسه/ ص ٨٦١.

[26] النورسي، سعيد، كليات رسائل النور، الملاحق، ترجمة احسان قاسم الصالحي، شركة سوزلر للنشر، القاهرة، ط ٥، ٢٠٠٨، ملحق قسطموني/ص١٦١.

[27] المصدر نفسه.

[28] المصدر نفسه، ص ١٦١-١٦٢.

[29] رواه أحمد وأبو داود والنسائي وابن ماجه وغيرهم، عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ.

ملف العدد

دعوة رسائل النور:
هل هي حركة؟ أم جمعية؟ أو جماعة؟

أ.د. أحمد آق كوندوز[1]

١- مقدمة الموضوع

أصبحت دعوة الأستاذ النورسي -الذي فرض نفسه بأفكاره القيمة على واقع القرن العشرين- ورسائله النورية المسماة بـ ''كليات رسائل النور'' -التي تعتبر تفسيراً معنوياً للقرآن الكريم- تؤتي ثمارها المعنوية اليانعة المنتظرة، بما بشر به قبل ثمانين سنة، وبدأت جماعة النور تجلب توق الأحباب، وتَجسُسَ الأعداء عليها. أجل إن حركة رسائل النور التي بنت بحركتها الإيجابية صرحها الشامخ في القلوب، وتُرجمت لأكثر من خمسين لغة من لغات العالم، وأصبحت وسيلة لإنقاذ مئات الألوف من شباب العالم، وجمعت ملايين الناس حول الدعوة نفسها كالبنيان المرصوص دون وجود أية رابطة من روابط جمعية أو طريقة أو حزب سياسي، مما تثير سؤالاً لدى كل الناس، بأية قوة وجاذبية تجمع وتشد هؤلاء الناس بعضهم ببعض؟ وتحرك اكتراثهم وتوقهم واهتمامهم بالأمر. وبينما يتساءل الأحباب من أنفسهم ويتبادلون سؤال: هل هي طريقة؟ أو جمعية، أو حركة سياسية؟ يتساءل الذين يضجرون مما تقام من صروحها في القلوب أيضا بإصرار الأسئلة نفسها، ويحاولون بوسائل الإعلام الشاملة محاسبتها في الرأي العام.

وبينما حاول المسؤولون في الدولة إدراك ماهية هذه الحركة الإيجابية التي اجتازت حدودها الصين، وأمريكا، بدأ رجال الفكر يسألون عن هذه الدعوة التي جلبت إليها الأذهان كافة من المغولي، والصيني، والأندونيسي والأمريكي عن غاية هذه الدعوة،

ومنهجها؟ ويستفسرونها عمن يلتقون بهم وعن الذين لهم معرفة حولها. وقد بادر بعض الأوساط -التي لا ترتاح وتنزعج من شمس الإسلام الشامخ، والتي سعت ما يقارب عصراً من الزمان أن تستبدل الغراب بالطاووس والطاووس بالغراب- ان تصف وتوصم دعوة رسائل النور بما هو خارج وبعيد عن ماهيتها وغايتها ومقصدها. إنهم يغضون النظر عن الحقائق الإيمانية والقرآنية التي تنير العالم من خلال ستة آلاف صفحة، ويتخذون قول أحد المجاذيب المُطْلِق على رسائل النور ''بالطريقة'' أساسا يبرزونه للأنظار.

بينما تعتبر دعوة رسائل النور دائرة مرتبطة بسلسلة نورانية ممتدة من الشرق إلى الغرب، ومن الجنوب إلى الشمال، المنتمون لهذه الدائرة والداخلون فيها هم أهل الإيمان كافة، البالغ عددهم الآن ١,٥ مليار نسمة تقريباً. والأساس الذي يضمن وحدة هذه الجماعة هو عقيدة التوحيد، ويمينها الإيمان، ومنتسبوها هم المؤمنون الداخلون في هذه الدائرة منذ أن ﴿قَالُواْ بَلَى...﴾،[الأعراف:١٧٢] وسجل منتسبيها هو اللوح المحفوظ، ودائرة صحافة هذه الجماعة هي الكتب الإسلامية كافة، وجريدتهم اليومية هي جميع الجرائد الدينية التي اتخذت إعلاء كلمة الله هدفاً ومقصداً لها، وشُعَبها هي الجوامع والمساجد والمدارس، وجميع المؤسسات التي تخدم الإسلام، ومركزها هو الحرمين الشريفين، ورئيسها هو رسول الله ﷺ، وأساس مسلكها هو مجاهدة كل واحد نفسه الأمارة بالسوء، والتخلق بأخلاق القرآن الكريم، وإحياء السنة المطهرة، وحب الآخرين، والنصيحة لهم إن لم تضر، ونظام هذه الجماعة ودستورها في الحياة هو السنة المطهرة، والأحكام الشرعية، وهدفها ومقصدها هي إعلاء كلمة الله تعالى.[2]

نعم إن رسائل النور البالغة ستة آلاف صفحة ''لا تعمّر تخريبات جزئية، ولا ترمّم بيتاً صغيراً مهدماً وحده، بل تعمّر أيضا تخريبات عامة كلية، وترمّم قلعة محيطة عظيمة -صخورها كالجبال- تحتضن الإسلام وتحيط به. وهي لا تسعى لإصلاح قلب خاص ووجدان معين وحده، بل تسعى أيضا وبيدها إعجاز القرآن لمداواة القلب العام، وضماد الأفكار العامة المكلومة بالوسائل المفسدة التي هُيئَت لها وركّمت منذ ألف سنة، وتنشط لمداواة الوجدان العام الذي توجّه نحو الفساد نتيجة تحطم الأسس الإسلامية وتياراته وشعائره التي هي المستند العظيم للجميع وبخاصة عوام المؤمنين. نعم إنها تسعى لمداواة تلك الجروح الواسعة الغائرة بأدوية إعجاز القرآن والإيمان.''[3]

سنحاول في بحثنا القصير هذا الإجابة على ثلاثة أسئلة حول دعوة رسائل النور

التي أصبحت موضوع بحث تركيا منذ ٧٠-٨٠ سنة، وضمن أحداث العالم منذ ٣٠ سنة:

١- هل أن حركة رسائل النور طريقة؟ وإن لم تكن كذلك فما هي إذن؟ وهل هي تعارض الطريقة؟

٢- هل أن دعوة رسائل النور جمعية، وهل لها غاية سياسية؟

٣- هل أن دعوة رسائل النور جماعة؟

٢- هل أن دعوة رسائل النور طريقة صوفية؟

١- الطريق، والطريقة دعوة رسائل النور.

قبل الإجابة على هذا السؤال ينبغي إيضاح كلمة الطريق والطريقة الصوفية بصورة مختصرة. الطريق في اللغة العربية يعني السبيل. والطريقة تفيد: ما ينبغي اتباعه من السبيل الموصل بالله تعالى والتقرب إليه سبحانه ونيل رضاه تعالى.[4]

ينبغي تدقيق معاني الطريق والطريقة في مجموعتين:

الأولى: في المعنى العام تعني السبيل المؤدي إلى الله تعالى، وتدخل ضمن هذا المعنى الأديان السماوية كافة، والطرق كافة، والطرق الصوفية بالمعنى الخاص الذي سيذكر في المعنى الثاني أيضاً. وهذا ما توضحه العبارة الموجزة ''والطرق إلى الله بعدد أنفاس الخلائق'' التي يعتبرها قسم من العلماء حديثاً، ويذكر الأستاذ بديع الزمان هذا المعنى موضحاً الموضوع كالآتي:

''للوصول إلى الله سبحانه وتعالى طرائق كثيرة، وسبل عديدة ومورد جميع الطرق الحقة ومنهل السبل الصائبة هو القرآن الكريم. إلا أن بعض هذه الطرق أقرب من بعض وأسلم وأعم.

وقد استفدت من فيض القرآن الكريم -بالرغم من فهمي القاصر- طريقاً قصيراً وسبيلاً سوياً هو:

طريق العجز، الفقر، الشفقة، التفكر.

نعم! إن العجز كالعشق طريق موصل إلى الله، بل أقرب وأسلم، إذ هو يوصل إلى المحبوبية بطريق العبودية.

والفقر مثله يوصل إلى اسم الله ''الرحمن''.

وكذلك الشفقة كالعشق موصل إلى الله إلا أنه أنفذ منه في السير وأوسع منه مدى، إذ هو يوصل إلى اسم الله ''الرحيم''.

والتفكر أيضا كالعشق إلا أنه أغنى منه وأسطع نوراً وأرحب سبيلاً، إذ هو يوصل السالك إلى اسم الله ''الحكيم''.

وهذا الطريق يختلف عما سلكه أهل السلوك في طرق الخفاء -ذات الخطوات العشر كاللطائف العشر-[5] وفي طرق الجهر -ذات الخطوات السبع حسب النفوس السبعة- فهذا الطريق عبارة عن أربع خطوات فحسب، وهو حقيقة شرعية أكثر مما هو طريقة صوفية.''[6]

يقسم الأستاذ بديع الزمان سعيد النورسي الطرق التي تعني سبلاً تؤدي إلى الله تعالى إلى أربعة مجموعات رئيسية:

١- طريق أهل التصوف المبني على التصفية والإشراق، وهو السعي للوصول إلى الله تعالى ومعرفته بتزكية القلب عمّا سواه تعالى بالتصفية والذكر والعبادات، والإشراق: هو السعي للعثور على الطرق التي تؤدي بالإنسان إلى الله تعالى بالكشف والإلهام. وفي كلا الأمرين يتم السعي لقطع الطريق بأقدام القلب في سبيل معرفة الله تعالى. ويعتبر مفتاح هذا السير والسلوك ووسائله ذكر الله والتفكر، ويقول الإمام الرباني ''إن منتهى الطرق الصوفية كافة هو وضوح الحقائق الإيمانية وانجلاؤها''[7] وحسب تصنيف الإمام الرباني أيضا ''طريق التصوف هو الولاية الصغرى''[8] ويحتل الإمام الرباني، والشيخ عبدالقادر الجيلاني، وبايزيد البسطامي وأمثالهم المكانة بين رؤساء هذا السبيل المعنوي.

٢- طريق علماء الكلام الذين شكلوا علماً يطلق عليه بعلم الكلام لأجل المحافظة على أسس العقيدة الإسلامية، والدفاع عنها. ولهم دليلين أساسين يطلق عليهما بـ ''الإمكان والحدوث'' فيما يخص معرفة الله تعالى وإثبات وجوده تعالى. وعند استخدامهم هذين الدليلين يستندون إلى العقل والأسس النظرية، ويعتبر الإمام فخر الدين الرازي، والإمام التفتزاني، والإمام الغزالي وأمثالهم الرؤساء المعنويين لهذا الطريق.

ورغم أن هذين الطريقين قد اُستلهما من القرآن الكريم، وتوسعا وتشعبا منه، إلا أن فكر الإنسان قد صاغهما في قوالب مختلفة متباينة، حتى أصبحا طريقين طويلين ذات مشاكل، ولم تسلما من بعض الأوهام والشطحات. فكما نقرأ في كتب علم الكلام

إفراط وتفريط علماء الكلام، فإننا كذلك نجد بعض شطحات أهل التصوف كما ذكر في رسالة ''التلويحات التسعة'' لبديع الزمان سعيد النورسي.

٣- طريق فلاسفة الإسلام المليء بالشبهات، التارك أصحابه في الريوب، وقد سلك هذا الطريق فلاسفة أمثال ابن سينا، والفارابي، والكندي، وغيرهم من الذين ساروا متخذين العقل أساساً، والمشائيين أو المطلق عليهم بالأرسطويين، مع السهروردييين وأصحاب ابن طفيل وأمثالهم الذين اتخذوا الإلهام وما يرد إلى القلب من الحدس قاعدة، والمطلق عليهم بالإشراقيين، كل هؤلاء أصحاب هذا الطريق.

ونظراً لاستناد الفلسفة إلى مثل هذه الأسس الفاسدة وسوقها المنتسبين إلى النتائج الوخيمة فإن فلاسفة الإسلام الدهاة أمثال ابن سينا والفارابي، لم ينالوا غير أدنى مراتب الإيمان، إليها درجة المؤمن العادي، بل لم يمنحهم حجة الإسلام الإمام الغزالي حتى تلك الدرجة أيضاً.[9]

٤- ''طريق القرآن الكريم الذي يشكل أساس مسلك رسائل النور''[10] والعبارة هذه لا تعني خروج بقية الطرق عن سبيل القرآن الكريم وصراطه السوي، وإن رغبتم في معنى هذه العبارة فلنسمعه معاً من الأستاذ بديع الزمان سعيد النورسي:

''إن الرسائل ليست كبقية مصنفات العلماء تسير على وفق خطى العقل وأدلته ونظراته، ولا تتحرك كما هو الشأن لدى الأولياء المتصوفين بمجرد أذواق القلب وكشوفاته... وإنما تتحرك بخطى اتحاد العقل والقلب معا وامتزاجهما، وتعاون الروح واللطائف الأخرى، فتحلّق إلى أوج العلا وتصل إلى مراق لا يصل إليها نظر الفلسفة المهاجمة فضلاً عن أقدامها وخطواتها، فتبين أنوار الحقائق الإيمانية وتوصلها إلى عيونها المطموسة...''[11]

يورد الأستاذ النورسي عند توضيحه دور سعيد الجديد الذي كُتِبَتْ فيها رسائل النور التنبيه المعنوي للإمام الرباني ''وحّد القبلة'' أي أسلك سبيل مرشد واحد، ويقول بعد ذلك فيما ورد إلى قلبه:

''إن الأستاذ الحقيقي إنما هو القرآن ليس إلا، وإن توحيد القبلة إنما يكون بأستاذية القرآن فقط، فشرع بإرشاد من ذلك الأستاذ القدسي بالسلوك بروحه وقلبه على أغرب وجه، واضطرته نفسه الأمارة بشكوكها وشبهاتها إلى المجاهدة المعنوية والعلمية.

وخلال سلوكه ذلك المسلك ومعاناته في دفع الشكوك، قطع المقامات، وطالع ما

فيها، لا كما يفعله أهل الاستغراق مع غض الأبصار، بل كما فعله الإمام الغزالي والإمام الرباني وجلال الدين الرومي، مع فتح أبصار القلب والروح والعقل، فسار فيها -أي في المقامات- ورأى ما فيها بتلك الأبصار كلها، منفتحةً من غير غضٍ ولا غمض.

فحمداً لله على أن وُفِّق على جمع الطريقة مع الحقيقة بفيض القرآن وإرشاده، حتى بيّن برسائل النور التي ألفها ''سعيد الجديد'' حقيقة:

وفي كل شيء له آية تدل على أنه واحد''[12]

الثاني: المعنى الخاص للطريقة، وهو الذي يرد إلى العقل عند إطلاقنا كلمة الطريقة اليوم. وقد أصبحت كلمة الطريقة عَلماً للتشكلات والتجمعات بعد أن اكتسب التصوف شكله النظامي، وما أبدى فيما بعد من مميزات الملبس، والذكر واختلافات وجهة النظر[13] حتى إن بعض الحقوقيين قد ناقشوا الحق المتميز المفترق لأهلية الطرق وعدمه، للطرق التي تعني التجمعات الشخصية، وأرادوا ختم القضية بوجود الشخصية الحُكمية للطرق وعدمها حسب هذا الموضوع[14] ويعرف الأستاذ بديع الزمان الطريقة بهذا المعنى كالآتي:

''هناك تحت عناوين 'التصوف، والطريقة، والولاية، والسير والسلوك' حقيقة روحانية نورانية مقدسة، طافحة باللذة والنشوة... إن غاية 'الطريقة' وهدفها هو معرفة الحقائق الإيمانية والقرآنية، ونيلها عبر السير والسلوك الروحاني في ظل المعراج الأحمدي وتحت رايته، بخطوات القلب وصولا إلى حالة وجدانية وذوقية بما يشبه الشهود. فالطريقة والتصوف سر إنساني رفيع وكمال بشري سام.''[15]

لا تعتبر رسائل النور طريقة بالمعنى الثاني، بل تعتبر طريقة توصل إلى الله تعالى بالمعنى الأول العام، وذلك لقبولها أسس العجز، والفقر، والشفقة، والتفكر، كما ذكرت كلمة الطريق في بعض المواقع بهذا المعنى.

ونود أن نبين أولاً، أن دعوة رسائل النور ليست طريقة، بل هي حقيقة، إلا أنها لا تعارض الطرق بالمعنى الثاني، والذين لديهم رغبة الإطلاع فليراجعوا المكتوب التاسع والعشرين من كتاب المكتوبات التي هي من أهم أجزاء رسائل النور في هذا الصدد، ليروا دفاع رسائل النور عن الطرق في الأدوار التي منعت فيها، وتعرضت للهجوم، وعدّها الطرق أحد القلاع الثلاث التي حمت الدولة العثمانية من الإنهيار والسقوط.[16]

أما اكتساب دعوة رسائل النور الضرورة في هذا العصر مع وجود الطرق، فيبين الأستاذ النورسي أيضا هذه الناحية قائلاً:

''فما دامت الحقيقة هكذا: فإني أخال أن لو كان الشيخ عبد القادر الكيلاني والشاه النقشبندي والإمام الرباني وأمثالهم من أقطاب الإيمان رضوان الله عليهم أجمعين في عصرنا هذا، لبذلوا كل ما في وسعهم لتقوية الحقائق الإيمانية والعقائد الإسلامية، ذلك لأنهما منشأ السعادة الأبدية، وإن أي تقصير فيهما يعني الشقاء الأبدي.

نعم، لا يمكن دخول الجنة من دون إيمان، بينما يدخلها الكثيرون جداً دون تصوف. فالإنسان لا يمكن أن يعيش دون خبز، بينما يمكنه العيش دون فاكهة فالتصوف فاكهة والحقائق الإسلامية خبز.

وفيما مضى كان الصعود إلى بعض من حقائق الإيمان يستغرق أربعين يوماً، بالسير والسلوك، وقد يطول إلى أربعين سنة، ولو هيأت الرحمة الإلهية في الوقت الحاضر طريقاً للصعود إلى تلك الحقائق لا يستغرق أربعين دقيقة! فليس من العقل أن لا يبالى بهذا الطريق؟!''[17] وهذا الطريق هو رسائل النور؟

٢- بعض الإدعاءات حول كون دعوة رسائل النور طريقة

هناك مجموعتين مختلفتين تدعيان أن دعوة رسائل النور طريقة:

الأولى: يريد بعض الأقلام التي هي ناشرة الأيديولوجية الرسمية ومنظمات استخبارات الدولة إدخال الدعوة في صنف الطرق الصوفية، لأجل معاقبتها وسلب حريتها، من خلال احتمالية كون الأستاذ النورسي وطلابه معارضين للدولة ومبادئ ومنجزات الثورة. وقد أجاب الأستاذ النورسي على هذا الإدعاء بنفسه أشفى جواب، وذلك في محكمة ''اسكي شهر'' سنة ١٩٣٥ خلال رئاسة مصطفى كمال نفسه الجمهورية، عندما اتهم بجملة من الإتهامات وفي بدايتها تشكيل طريقة صوفية. ولو كان الأستاذ النورسي يريد تشكيل طريقة صوفية لأظهر مبتغاه هذا دون خوف ولا تردد أمام ما كان يواجهه من الإتهام من هذه الناحية، فهو العالم الذي أجاب من سأله هل أنت ممن يريد الشريعة؟ قائلاً دون وجل ولا ارتباك بأنه يريد الشريعة، وأنه مستعد أن يفدي روؤساً بعدد شعرات رأسه كلها لأجل الشريعة، إلا أنه أجاب من اتهمه بتشكيله طريقة صوفية قائلاً:

''أقول: أيها السادة! إنني لست شيخاً صوفياً، وإنما أنا عالم ديني. والدليل على

هذا، أنني لو كنت قد علّمت أحداً من الناس الطريقة الصوفية، طوال هذه السنوات الأربع التي قضيتها هنا، لكان لكم الحق في الارتياب والوقوع في الشكوك. ولكني لم أقل لمن أتاني إلا أن الزمان ليس زمان الطريقة. الإيمان ضروري، والإسلام ضروري.''[18]

وجوابه في محكمة ''آفيون'' بالجمل الآتية تؤيد هذا المعنى أيضاً:

''إن أساس رسائل النور وهدفها الإيمان التحقيقي والحقيقة القرآنية. ولهذا برأتها ثلاث محاكم من حيث إنها ليست طريقة صوفية ''محكمة اسكي شهر ودنيزلي وأفيون''. وها هي عشرون سنة خلت لم يقل أحد من الناس أن سعيداً لقنني طريقة صوفية. ثم إن معظم أجداد هذه الأمة قد ارتبطوا بمسلك الصوفية منذ ألف سنة فلا يكون ذلك سبب إدانة. فضلاً عن أنه لا يمكن اتهام من يدافع دفاع الأبطال عن دين هذه الأمة تجاه المنافقين المتسترين الذين يقلّدون عنوان الطريقة على الحقيقة الإسلامية.''[19]

وكما مبين أعلاه، إن الطريقة النقشبندية هي بالمعنى العام إحدى الطرق الموصلة إلى الله تعالى ''إلا أنها بالمعنى الخاص طريقة صوفية'' وكذلك دعوة رسائل النور لها أيضا بالمعنى العام أسس منها العجز، والفقر، والشكر، والشوق، وهي طريق من إحدى الطرق الموصلة إلى الله تعالى. أي ''إن في طريق رسائل النور التي أساسها العجز يستلزم أربعة أمور، الفقر المطلق، والعجز المطلق، والشكر المطلق، والشوق المطلق.''

إن اتخاذ هذه الجملة أساسا دون التفكر في المعنى الأصلي للطريق، ووصف حركة رسائل النور بالطريقة على عكس ما وردت من التصريحات الكثيرة للأستاذ النورسي في هذا المجال ليس إلا سذاجة أو خيانة لا غير. بالإضافة لذلك تعتبر الأجوبة الرائعة التي طرحها الأستاذ النورسي تجاه اتهامات المقامات الرسمية المتعلقة بالطريقة أجوبة قوية شافية لمثل هذه الإدعاءات الهزيلة البسيطة.

''أولاً: إن ما لديكم من الكتب كافة شاهدة على أنني مشغول بالحقائق الإيمانية، وقد كتبت في رسائلي المتعددة، أن الزمان ليس بزمان الطريقة، بل هو زمان إنقاذ الإيمان، فهناك كثير ممن يدخل الجنة بلا طريقة... ولكنه ليس هناك من يدخل الجنة بلا إيمان، لذا يلزم السعي لأجل الإيمان..

ثانياً: إنني منذ عشرة أعوام أعيش في ولاية ''اسبارطة'' فليخرج أحدهم وليقل

بأنني قد لقنته درس الطريقة. أجل! لقد لقنت بعض إخوتي الخواص الدروس المتعقلة بعلوم الإيمان، والحقائق العلوية بصفتي كعالم ديني، وليس هذا بتعليم طريقة، بل هو درس الحقيقة.

ثالثاً: أما بخصوص الإدعاء الوارد حول مدحي الطريقة في المكتوب التاسع والعشرين المسمى بـ ''التلويحات التسعة'' فهي توضح حقيقة الطريقة بالبيان العلمي، لا يشمله الحظر ولا يمسه المنع، ثم إن بياني لفائدة اجتماعية لنوع من الطريقة الخالصة التي حقيقتها التقوى والبعيدة عن البدع، وقد أنارت أرواح هذه الأمة منذ ألف سنة، وأسبغت عليها الفيض الإلهي، ويرتبط بها نصف أجدادها الموجودين في المقابر كيف يستعمال هذا البيان ضدي ويتخذ حجة عليّ؟..[20]

٣- هل أن دعوة رسائل النور جمعية؟

هذا اتهام أثاره الذين أرادوا توجيه معاولهم لأساس حركة رسائل النور منذ ٧٠-٨٠ عاماً بحجة أن دعوة رسائل النور جمعية أسست بغاية معارضة العلمانية، وصياغة الأنظمة الرئيسية للدولة حسب الأسس الدينية ولو بشكل جزئي من الناحية الإجتماعية والإقتصادية والحقوقية، وحتى إنهم سعوا بالأجهزة الايديولوجية الرسمية الإعلامية إقناع الشعب البريء بهذا الكذب البين. وهذه الجملة كما هو معروف خلاصة المادة ١٦٣ الملغاة، والفقرة الأخيرة من المادة ٢٤ من الدستور الحالي، وقبل الإجابة على هذا الإدعاء، ينبغي إيضاح كلمة الجمعية أولاً.

الجمعية، حقوق خاصة وأشخاص حكمية، وهي كاصطلاح حقوقي يعرّف بأنه إتحاد إنساني منظم،[21] وكما أن هناك جمعيات مشروعة، هناك جمعيات غير مشروعة أيضاً. والإتهام المسند المقدم لرسائل النور يشمل تشكل جمعية حسب الأوصاف المذكورة في المادة ١٦ السرية الملغاة.

وقد قدم هذا الإدعاء في سجن ''أسكي شهر'' سنة ١٩٣٥ من قبل المدعي العام، وذكر طوال حياة الأستاذ النورسي في الدعاوي المقدمة ضده مراراً وتكراراً، ومن المؤسف جداً على الرغم من جميع قرارات البراءة الصادرة، استمرت نفس الإدعاءات بعد وفاة الأستاذ سعيد النورسي سنة ١٩٦٠ حول اتهام من يطلق عليهم بطلاب النور، ومن يقرأ هذه الكتب.

ونفيد باهتمام بالغ أن دعوة رسائل النور ليست جمعية بالمعنى الحقوقي بما اتهمت إلى يومنا هذا، بل هي جمعية بالمعنى المشروع، وهي ليست جمعية سرية

بتاتاً، كما وصفتها وعرفتها المادة ١٦ الملغاة. وقد أقرت ثلاث محاكم على أنها ليست جمعية سياسية، وأبرأتها من تلك الناحية.[22]

تعتبر الأجوبة التي قدمها الأستاذ النورسي في محكمة اسكي شهر سنة ١٩٣٥ تجاه المتهمين -الذين اظهروا رسائل النور بأنها جمعية، حتى بلغ بهم الجرأة لطرح سؤال حول مصدر تمويلها- أجوبة شافية جارية المفعول:

''أولاً: هل هناك أية وثيقة أو أية إمارة على وجود مثل هذه الجمعية السياسية من قبلنا؟ ألديهم أي دليل على أننا نقوم بالتنظيم والتشكيلات بالأموال حتى يصروا على أسئلتهم؟

ثانياً: إن قضيتنا هي قضية الإيمان. فلنا رابطة أخوة إيمانية مع تسعين بالمئة من أهالي هذه البلاد. بينما الجمعية هي اتفاق الأقلية ضمن الأكثرية. فلا تعدّ جمعية تضم تسعاً وتسعين بالمئة مقابل الواحد. إلا من كان ظالماً ملحداً يحسب الجميع مثله - حاش لله- قاصداً إهانة هذه الأمة المؤمنة، فينشر مثل هذه الإشاعات.

ثالثاً: إن من كان مثلي الذي يكنّ حباً عميقاً للأمة التركية، ويقدّرها حق قدرها في ضوء الثناء القرآني لهم -تلك الأمة التي تحدت العالم بأسره طوال ستمائة سنة رافعة راية القرآن- والذي قدم خدمات فعلية مالا يقدمه ألف تركي قومي بشهادة ألف تركي والذي يفضل حياة الاغتراب بتفضيله البقاء مع ما يقرب من أربعين شاباً تركيا نجباء بعيداً عن ألف من أهل بلدته تاركي الصلاة. والذي يحافظ على عزته الإيمانية لكونه عالماً دينياً فيرشد إلى الحقائق الإيمانية إرشاداً جلياً. أفتستكثرون هذا أو أوَ فيه ضرر أن يرتبط مع هذا الإنسان ألف من طلابه -وليس عشرين أو ثلاثين- خلال عشر سنوات، ارتباطاً لأجل الإيمان والحقيقة والآخرة، ارتباط فداء وتضحية حتى أصبحوا له إخوة في الآخرة. فهل يمكن لأهل الإنصاف أن ينتقد هؤلاء وينظر إليهم نظرة جمعية سياسية؟''[23]

إذن لا تعتبر دعوة رسائل النور جمعية سرية، مثلما هي ليست جمعية سياسية أيضاً. ولو تناولنا كلمة الجمعية بمعناها اللغوي الذي يعني الحشد والجماعة، عندها يمكن إطلاقها على الناس الذين يجتمعون بروابط الأخوة الإسلامية، وبهذا المعنى ليس هناك أي ضرر في وصف طلاب النور بالجماعة. ولأجل فهم معنى الجمعية بالوجه الصحيح ينبغي الإستماع إلى الأستاذ النورسي أيضاً:

''أجل نحن جمعية، تلك الجمعية التي لها ثلاثمائة وخمسون مليوناً 'واليوم بلغ هذا الرقم ١,٥ ملياراً تقريباً' من الأعضاء في كل عصر. وهم يؤكدون كمال احترامهم

وصادق ارتباطهم وتعلقهم بمبادئ تلك الجمعية المقدسة -بإقامة الصلاة- خمس مرات يومياً، ويتسابقون في مدّ يد العون والمساعدة بعضهم إلى بعض، سواء بدعواتهم الشخصية عن ظهر الغيب، أم بمكاسبهم المعنوية الوفيرة وفق الدستور الإلهي: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾". الحجرات:١٠

وهكذا فنحن أعضاء في تلك الجمعية المقدسة العظمى إذاً، أما وظيفتنا ضمن نطاق هذه الجمعية فهي: تبليغ الحقائق الإيمانية التى يتضمنها القرآن الكريم إلى طلاب الحق والإيمان على أصح وأنزه وجه، إنقاذاً لأنفسنا وإياهم من الإعدام الأبدي وبرزخ السجن الإنفرادي السرمدي.

أما الجمعيات الدنيوية المؤسسة على الدسائس والأحابيل السياسية فلا علاقة لنا بها من قريب أو بعيد بل نترفع عنها."[24]

ونتيجة آلاف المحاكم المقامة أثبتت عدم صحة هذه الإدعاءات كقضية محكمة ثابتة[25] وعلى الرغم من هذه الحقائق الثابتة اتهم بديع الزمان وطلابه دوماً بتأسيس جمعية سياسية سرية.

٤- دعوة رسائل النور دعوة جماعة

ليست دعوة النور طريقة صوفية، ولا جمعية، ولا حزباً سياسياً، إذن فما هي؟ أجاب بديع الزمان لهذا السؤال بـ "إننا جماعة" فما هي الجماعة؟

الجماعة كلمة عربية وهي اسم مشتق من مصدرها الجمع وهي تعني "الجمعَ والإجتماع" وهي تعني هنا تحقيق الوحدة والإتحاد استناداً إلى الأخوة الدينية بين المسلمين، تلك التي ينبغي عليهم الاشتراك فيها[26] وهي تشمل الصحابة والأئمة المجتهدين، أو أغلبية المسلمين في كل عصر من العصور، وهي تعبير يستعمل على الأغلب في المصادر الإسلامية في حق أهل السنة والجماعة.

ونريد أن نفيد أيضا باهتمام بالغ أن "كليات رسائل النور" التي تشكل مصدر دعوة رسائل النور المتكونة من ١٣٠ رسالة هي في متناول الجميع، وما قضى الأستاذ النورسي من عمر مديد معروف لدى الناس جميعاً. وقد صدّقت آلاف المحاكم منذ ٧٠-٨٠ سنة نتيجة قيامها بمئات التحقيقات من خلال ما قدمت من قرارات البراءة، كما صدقت حقيقة ملايين من طلاب النور أنه ليس هناك هدف وقصد دنيوي قطعاً.

إذن إن دعوة رسائل النور ليست جمعية سياسية بأية وجه من الأوجه. ولو اطلق لكل جماعة وطائفة ولكل نوع من المهن اسم الجمعية، لجاز عندها اطلاقها على

دعوة رسائل النور أيضا. إلا أن القصد من الجمعية لو كانت يعني تجمعاً إيمانياً وأخروياً فهذا يطلق عليه الأستاذ النورسي بالجماعة:

''نعم نحن جماعة هدفنا وبرنامجنا إنقاذ أنفسنا أولاً ثم أمتنا من الاعدام الأبدي ومن الحبس الخالد المنفرد في عالم البرزخ. وصيانة إخواننا المواطنين من الفوضى والارهاب. والحفاظ على أنفسنا بالحقائق الرصينة لرسائل النور تجاه الزندقة التي تريد إفناء حياتينا معاً.''[27]

والعبارات التالية توضح ماهية جماعة النور ومنتسبيها:

''إنني أُشهد كل هؤلاء من طلبة رسائل النور وكل من لاقاني وكل قارئ وكاتب لها. سألوهم فإنني لم أقل لأحدٍ منهم يوماً ما سنشكل جمعية سياسية أو طريقة نقشبندية. بل ما قلت لهم دوماً إلا أننا نسعى للحفاظ على إيماننا. فلا رابطة بيننا سوى رابطة الجماعة الإسلامية المقدسة التي تربط جميع أهل الإيمان والذي يربو عددهم على ثلاثمائة مليوناً من المؤمنين 'هذا العدد يبين نفوس العالم الإسلامي ذلك الوقت''[28]

عندما يصنف الأستاذ النورسي زائريه وهم الذين ينتمون لأهل الإيمان البالغ عددهم أكثر من ٣٠٠ مليوناً ''هذا الرقم هو عدد نسمة المسلمين في ذلك اليوم، وقد بلغ اليوم أكثر ١,٥ ملياراً'' كما مر آنفاً، يقسم تلك الجماعة الإسلامية وأفراد طلاب النور الذين ينتمون إلى تلك الجماعة المقدسة أيضا إلى ثلاثة أقسام:

فخاصية الصديق وشرطه:

أن يكون مؤيداً تأييداً جاداً لعملنا في نشر الأنوار القرآنية ''رسائل النور''، وأن لا يميل إلى الباطل والبدع والضلالة قلباً، وأن يسعى أيضا ليفيد نفسه.

وخاصية الأخ وشرطه:

أن يكون ساعياً سعياً حقيقياً وجاداً لنشر الرسائل، فضلاً عن أدائه الصلوات الخمس، واجتنابه الكبائر السبع.

وخاصية الطالب وشرطه:

أن يعد رسائل النور كأنها من تأليفه هو، وأنها تخصه بالذات، فيدافع عنها وكأنها ملكه، ويعتبر نشر تلك الانوار والعمل لها أجل وظيفة لحياته.[29]

٥- النتيجة:

دعوة رسائل النور ليست طريقة بل هي حقيقة وشريعة، فقد سار مؤلف رسائل النور الأستاذ النورسي مثل الإمام الغزالي ومولانا جلال الدين الرومي والإمام الرباني وأمثالهم بعين القلب والروح والعقل مفتوحةً... ووجد بدرس القرآن وإرشاده طريقاً للحقيقة وسار فيه، حتى إنه أثبت من خلال رسائل النور حقيقة ''وفي كل شيء له آية تدل على أنه واحد'' بكمال الوضوح، ومع ذلك لم تعارض دعوة رسائل النور في أي وقت من الأوقات الطريقة، ولم تعادي الطرق بتاتاً. ولكن هذه الدعوة ليست فرعاً من فروع الطريقة النقشبندية ولا هي طريقة صوفية على حده.

رسائل النور ليست جمعية سرية ممنوعة تدخل -كما مرت إيضاحه- ضمن المادة ١٦٣ الملغاة، والفقرة الأخيرة للمادة ٢٤ من الدستور، حتى إنها ليست جمعية من الجمعيات التي عدّها الحقوق المدنية بين الأشخاص الحكمية أيضاً.

''دعوة رسائل النور دائرة مرتبطة بسلسلة نورانية ممتدة من الشرق إلى الغرب، ومن الجنوب إلى الشمال، المنتمون لهذه الدائرة والداخلون فيها هم أهل الإيمان كافة، البالغ عددهم الآن ١,٥ مليار نسمة تقريباً. والأساس الذي يضمن وحدة هذه الجماعة هو عقيدة التوحيد، ويمينها الإيمان، ومنتسبوها المؤمنون الداخلون في هذه الدائرة منذ أن ﴿قَالُواْ بَلَى...﴾[الأعراف:١٧٢] وسجل منتسبيها هو اللوح المحفوظ، ودائرة صحافة هذه الجماعة هي الكتب الإسلامية كافة، وجريدتهم اليومية هي جميع الجرائد الدينية التي اتخذت إعلاء كلمة الله هدفاً ومقصداً لها، وشُعبها هي الجوامع والمساجد والمدارس، وجميع المؤسسات التي تخدم الإسلام، ومركزها هو الحرمان الشريفان، ورئيسها هو رسول الله ﷺ، وأساس مسلكها هو مجاهدة كل منتسب منها نفسه الأمارة بالسوء، والتخلق بأخلاق القرآن الكريم، وإحياء السنة المطهرة، وحب الآخرين، والنصيحة لهم 'إن لم تضر'، ونظام هذه الجماعة ودستورها في الحياة هو السنة المطهرة، والأحكام الشرعية، وهدفها ومقصدها هي إعلاء كلمة الله تعالى.''[30]

أي أن دعوة النور هي دعوة أهل السنة والجماعة، وهي خدمة تبغي إحياء نمط الحياة الإسلامية التي كانت في خير القرون في عصرنا هذا.

* * *

الهوامش:

[1] أ. د. احمد آق كوندوز: ولد سنة ١٩٥٥ في قرية مال قايا من قضاء جونكش التابعة لمحافظة ديار بكر، بعد دراسته الابتدائية في قريته، اتم اعدادية الإئمة والخطباء في مدينة غنازي عنتاب، والقسم العلمي من اعدادية غازي عنتاب، وفي سنة ١٩٨٠ تخرج من كلية العلوم الاسلامية بجامعة ارضروم، وفي سنة ١٩٨٢ من كلية الحقوق بجامعة استانبول.وبدخوله إلى كلية الحقوق بجامعة دجلة كباحث عن تاريخ الحقوق، نال سنة ١٩٨٣ شهادة الماجستير، وشهادة الدكتوراه سنة ١٩٨٦ حول ''مؤسسات الأوقاف في الحقوق الإسلامية والتطبيقات العثمانية'' وقد أصبح في شهر التشرين الثاني من سنة ١٩٨٧ استاذاً مساعداً، وقد عيّن في نفس السنة استاذاً مساعداً لـ''تاريخ الحقوق والحقوق الإسلامية'' في كلية الحقوق بجامعة سلجوق في مدينة قونيا. وخلال سنة ١٩٨٦-١٩٩١ تمكن بصفته كخبير مشاور في الوزارة العامة للأرشيف العثماني، وكعضو في مجلس الأستشارة حول اراشيف الدولة، القيام بالأبحاث، وقد تم ترفيعه كبرفيسور الحقوق لجامعة دملي بنار في شهر ايلول من سنة ١٩٩٣، وفي تشرين الأول من سنة ١٩٩٣ عيّن عميداً على كلية بلاجيك للعلوم الإقتصادية والإدارية في نفس الجامعة، وهو في نفس الوقت يترأس هيئة وقف الأبحاث العثمانية، وهو يُتقن اللغة العربية والإنكليزية والفارسية، ومتزوج ولديه طفلين، وقد ألف مقالات وكتب علمية، وعلى رأسها كتاب ''القوانين العثمانية''.

[2] Tarihçe-i Hayat – Sözler Yayınevi 66-67.

[3] بديع الزمان/ الشعاعات /ت: احسان قاسم ٢٢٥

[4] Eraydin, Selçuk, Tasavvuf ve Tarikatlar Istanbul, 1981, s. 172 vd.

[5] اللطائف العشرة: هي بمعنى الأسس العشر في الطريقة النقشبندية.

[6] بديع الزمان سعيد النورسي/ الكلمات /ت: احسان قاسم ص ٥٥٨

[7] بديع الزمان سعيد النورسي /ت: احسان قاسم ص ٢٦

[8] الإمام الرباني/ المكتوبات/ المجلد الثاني ص ٣٦٣ ''بالتركية''، وبديع الزمان / المكتوبات/ ٢٦

[9] بديع الزمان سعيد النورسي/ الكلمات / الكلمة الثلاثون / ٦٤٥.

[10] بديع الزمان سعيد النورسي/ المثنوي العربي النوري ص٤٢٨ صيقل الاسلام-محاكمات/ ١٢٢

[11] بديع الزمان /الملاحق-قسطموني / ت: احسان قاسم/١٠٥

[12] بديع الزمان سعيد النورسي/ تحقيق احسان قاسم / المثنوي العربي النوري ص ٣٠ ''طبعة استانبول''

[13] أرآيدين/ التصوف والطرق ص ١٧٢ ''بالتركية''

[14] حسين حاتمي/ الشخصيات القانونية للحقوق المدنية، استانبول ١٩٧٩/ ص ٤٥-٥٢ ''بالتركية''

[15] بديع الزمان سعيد النورسي /ترجمة احسان قاسم الصالحي/ المكتوبات ص ٥٧١

[16] بديع الزمان سعيد النورسي /ترجمة احسان قاسم الصالحي/ المكتوبات ص ٥٧١

[17] بديع الزمان سعيد النورسي /ترجمة احسان قاسم الصالحي/ المكتوبات ص ٢٧-٢٨

[18] بديع الزمان سعيد النورسي /ترجمة احسان قاسم الصالحي/ المكتوبات ص ٢٧-٢٨

[19] Şualar, Sözler Yayınevi / 325, 1992.

[20] بديع الزمان/ لمعات باللغة العثمانية/ ص ٧٤٧

[21] بلنت كوبريلي، الحقوق المدنية / استانبول ١٩٨٤ ص ٤٢٦ ''بالتركية''

[22] بديع الزمان سعيد النورسي / الشعاعات / ترجمة احسان قاسم الصالحي ص ٤٥٨

[23] بديع الزمان / اللمعات باللغة العثمانية ص ٧٧٣

[24] بديع الزمان / الشعاعات/ ترجمة احسان قاسم الصالحي ص ٣٦٨

[25] بديع الزمان / الشعاعات/ ترجمة احسان قاسم الصالحي ص الشعاع الرابع عشر

[26] الموسوعة الاسلامية / الصادرة من قبل وقف الديانة التركي / مجلد رقم ٧ ص ٢٨٧- ٢٨٨

[27] بديع الزمان / الشعاعات/ ترجمة احسان قاسم الصالحي / الشعاع الرابع عشر

[28] بديع الزمان/ سراج النور باللغة العثمانية/ ٣٥٤، عبدالقادر باديللي/ سيرة ذاتية ص ١٠٥٦ "بالتركية"
[29] بديع الزمان / المكتوبات/ ترجمة احسان قاسم الصالحي ص ٤٤٢
[30] بديع الزمان /صيقل الاسلام / الخطبة الشامية /ت: احسان قاسم/ ٥٣٤

المنهج العوفي وإعلاء كلمة الله عند بديع الزمان

أ.د. بنيامين دوران[1]

سنتناول في هذه الدراسة أولاً المعني الذي حمّله بديع الزمان لمفهوم إعلاء كلمة الله، ثم سنسعى لتوضيح الصفات العامة لأخلاق المنهج العوفي الذي هو من المؤسسات اللازمة للتوصل إلى صفحة إعلاء كلمة الله، وذلك باتخاذ الآراء العامة لبديع الزمان أساساً لذلك وخلال ذلك ستتم دراسة مؤسسة ''إسلام الحرفيين'' و ''إسلام المجتهد'' التي تشكل مختلف الأصناف ''للأقلية الرائدة'' للكادر الذي يحمل أخلاق المنهج العوفي للتوصل إلى صفحة إعلاء كلمة الله. وبسبب دخول النظرة الكاملة للعالم بشكل عام، داخل مفهوم أخلاق المسلك، فإننا سنتناول الأحداث الاجتماعية والسياسية فقط، وذلك بمقدار قربها من الاقتصاد والنشاطات الاقتصادية، وسنتناول الأقسام المستبقية منها في دراسة أخرى.

بديع الزمان ومفهوم "إعلاء كلمة الله"

يُحمّل بديع الزمان معنى الحضارة الإسلامية لمفهوم إعلاء كلمة الله، ويسعى لتعيين البناء الأرضي اللازم للوصول إلى هذه الصفحة. وبديع الزمان يختلف عن السلف، حيث يقول أنه لا يمكن في العصر الحالي إعلاء كلمة الله إلا ''بالترقي مادة والدخول في الحضارة الحقيقية''[2] وبنفس الشكل نجده يقول ''سنجاهد ضد الفقر واختلاف الأفكار اللذين هما العدوان اللدودان لإعلاء كلمة الله وذلك بسلاح العلم والفن''[3] وبهذا يشير إلى العلم والتكنولوجيا اللذان هما المحركان الأساسيان لصفحة إعلاء كلمة الله. حتى إنه يتجاوز ذلك قائلاً بأن الذي يمنع إعلاء كلمة الله سيكون مانعاً للشريعة''[4] وسيكون من المفيد أن نقف قليلاً عند بديع الزمان: وسأتناول إعلاء كلمة الله في دراسة أخرى بشكل مفصّل إن شاء الله.

إن حالة الحركة الحديثة للمجتمع المسلم تأتى على صفحة سميتها ''صفحة الفضيلة''.

عندما ندرس تاريخ المجتمعات الإسلامية -وأشرنا إلى بعض العناصر المميزة بالأقلام الملونة- يظهر أمامنا خطاً بيانياً معناه: إن المجتمعات الإسلامية بشكل عام انطلقت من صفحة يمكن أن نسميها ''الانهيار'' أو ''صفحة الانهزام الاضطراري الرسمي'' إلى ''الصفحة الحسنة السرية والهزيمة الاضطرارية''، ومن هذه الصفحة إلى ''صفحة الأزمة والصراع''؛ ومنها تصل إلى ''صفحة الانهزام السري والحسن الاضطراري''. وبعد هذه الصفحة تستمر الوتيرة بالتكرر ''الانهزام السري والحسن الاضطراي''؛ ''الأزمة والصراع''؛ ''الصفحة الحسنة السرية والهزيمة الاضطرارية'' وتعود مرة أخرى إلى ''الانهيار'' أو يمكن أن تبدأ هذه الحركة في صفحة الفضيلة وتستمر حتى صفحة ''الانهيار'' والذي يهمنا هنا هو صفحة إعلاء كلمة الله التي تعادل صفحة الفضيلة.

والذي يجب أن نوضحه هنا أن صفحة إعلاء كلمة الله ليست ذات بعد واحد أو متجانسة. بل العكس أن هذه الصفحة تُعين من قبل خلفيات المجتمعات، ومستواها التجريبي وصفة احتياجاته ومستوى الشدة وغيرها من المحركات. وبالنسبة لي، فقد شهدت حتى الآن صفحتان لإعلاء كلمة الله في ميزان المجتمعات الإسلامية:

إحداها في عصر السعادة وخير القرون والثانية هي الحضارة العثمانية التي تقابل القرن الخامس عشر والسادس عشر. وأود أن أبين أن صفحة إعلاء كلمة الله لا تشمل المجتمع المسلم بالكامل. إذ بينما تكون الأمة في حالة انهيار عام تكون بعض المجتمعات الإسلامية في صفحات قريبة من صفحة إعلاء كلمة الله. أو ربما يكون العكس فبينما تكون الأمة في صحفة إعلاء كلمة الله تكون بعض المجتمعات الإسلامية في صفحات متخلفة.

وإذا قيّمنا الأمة من منظور المرحلة التي نعيشها اليوم نستطيع أن نقول أننا في ''صفحة الأزمة''؛ لكننا ننتقل بسرعة إلى صفحة إعلاء كلمة الله.

وكما بينا في إحدى دراساتنا[5] نستطيع أن نلخص الميزات العامة لصفحة إعلاء كلمة الله التي توافق هذا الزمن على الشكل التالي: هذا المستوي هو سقف أمة لم تتشكل بنشاطات وخلفيات الجماعة، والقوم، والدولة فقط، بل بغيرة أمة كاملة والخلفيات المعرفية، والتكنولوجية والثقافية والفكرية. والحركة الأولى بشكل طبيعي

ستبدأ بنشاطات وديناميكية القطاع الذي سميناه ''الأقلية الرائدة'' والتي تلتقي في ''البنية الصغيرة'' والتي نسميها ''بنية التجديد'' لكن هذه الحركة ستصير مع الزمن حركة شعبية وستنسب إلى الأمة.

وهذا المستوى له بعدين بشكل عام: أحدهما البعد الذي على شكل طراز الحياة المنطوي على الداخل ''الإنسان الكامل''؛ والآخر هو البعد الظاهر على شكل حركة للخارج. وأهم مؤسسات طراز الحياة المنطوي على الداخل هي: العدالة، الشفقة، العفة، الحكمة، المعرفة، الإحسان، والإقتصاد. وفي الأصل أن طراز الحياة المنطوي على الداخل يكون أهم وأكثر مردوداً من طراز الحركة للخارج والذي هو على شكل أفعال، إذا تحققت الصفات المذكورة أعلاه. يعني،كما يقول A. Toynbee إن هذا الإنزلاق من ''العالم الكبير-الكون'' إلى ''العالم الصغير دليل على ديمومة الحضارة''[6] وإلا فإن الحركات والأفعال الموجهة للخارج مثل انعدام العدالة والشفقة والعفة والحكمة ستكون قصيرة العمر وبلا روح وبعيدة عن الشاعرية وأثناء تقييم ''ماكس ويبر'' للصفحات المختلفة للدين الإسلامي بيّن أن بعد الانطواء إلى الداخل كان مسيطراً على الصفحة النبوية والصحابية الأولى عند الحديث عن دين النجاة.[7]

والبعد الذي هو على شكل حركة للخارج إنما يظهر في الساحات الإقتصادية والإجتماعية، والعلمية ويجد مضمونه في العلاقات الدولية. وهذه المرحلة تفيد عن بناء اجتماعي-إقتصادي بحيث يصل إلى قوة وإمكان وسعة تمكنه من تقديم وزرق المبادئ العظيمة للأمة مثل ''المعرفة'' و ''التوحيد'' و ''العدالة'' و ''الشفقة'' و ''الإحسان'' لجميع ذوي العقل والشعور الذين يعيشون في هذه الأرض في كل آن وفرصة وبشكل مستمر ومؤثر. ولنوضح الموضوع قليلاً: أي لتصل الأمة المذكورة في مجال العلم، والتكنولوجيا، والإقتصاد، والثقافة، والفن، والآداب، والسياسة، والأخلاق، والعسكرية، والاتصالات، والمخابرة إلى مستوى بحيث تستطيع هذه الأمة القيام بوظيفة تقديم ايديلوجيتها ومبادئها المذكورة أعلاه، وأنماط السلوك المتعلقة بهذه المبادئ وميكانيكيتها وفق المقاييس الدولية على شاشات التلفاز والسينما ومحطات الراديو وعلى صفحات الجرائد والكتب، وبواسطة جميع أجهزة الإعلام دون ضغوط ولا إجبار.

إن التوصل إلى مثل هذا المستوى هو عند سعيد النورسي فرض كفاية. فبعد وصول الأمة إلى هذا المستوى تستطيع إيصال أوامر الله إلى البشرية. وفي هذا

المستوي فقط تتمكن من المحافظة على ''عزة الإسلام''، لذا فإن هدف ''إعلاء كلمة الله'' هو دفع أفراد الأمة على طراز حياة حركية، ووضع المثالية والآفاق الواسعة أمامهم وإن التوصل إلى هذه الصفحة هو أمر ضروري لكل مجتمع مسلم كالصلاة والصيام. والغريب أن بديع الزمان يُقيّم التطور العلمي والفن والصناعة ''فرض كفاية''.

ولنعرض بعض العبارات الأصلية التي ذكرها بديع الزمان في كتابه المحاكمات العقلية: ''إن الامتثال والطاعة لقانون التكامل والرقي للصانع الجليل -الجاري في الكون على وفق تقسيم الأعمال- فرض وواجب'' لم تبد الأمة الاطاعة الواجبة لهذا الأمر: لكن بالنسبة لبديع الزمان ''قد أودعت في ماهية البشر استعدادات وميولاً، لأداء العلوم والصناعات التي هي في حكم فرض الكفاية لشريعة الخلقة'' فقد كسرت الأمة هذا السوق وأطفأته بسوء الاستعمال. وقد أدى ذلك إلى نتائج سلبية جداً في الدنيا والآخرة.''[8]

وكما بينا أعلاه بشكل مختصر أن طراز إعلاء كلمة الله يختلف في كل مرحلة. ويتشكل هذا الطراز حسب احتياجات وتطلعات القطاع الذي سميناه ''الأقلية الرائدة'' وتطلعات الأقلية الرائدة تُعيّن من طرف تسلط وإجبار البيئة الكبيرة. ومن الغريب أن الإمام الغزالي وأتباعه المنظّرين بشكل واسع لطراز إعلاء كلمة الله في القرن الخامس عشر والسادس عشر، قد قاموا بالإصرار على التوجه ''للإنشاء المنطوي على الداخل'' يعني ''الإنسان الكامل''. وكتاب ''الإحياء'' مليء بمعاني الإنشاء المنطوي على الداخل مثل؛ الإخلاص والرياضة، التوكل، والقناعة، والرضا، والصبر. وكما أن إعلاء كلمة الله لم تذكر بشكل جدي من طرف التجارة والصناعة والعلم والإعمار، فإنه يشاهد وكأن هناك إهمال خفي لذلك. وأن سبب ذلك بالنسبة لي هو احتياجات وتطلعات الناس في تلك المرحلة. أما في هذه المرحلة فرغم امتلاك الأمة للعلم، والتقنية، ورأس المال، والصناعة، والتجارة وغيرها من المجالات المادية بشكل كاف، إلا أنها من الناحية الأخلاقية والدينية في حالة انهيار عميق. والحقيقة إن الأمة في هذه المرحلة تتلوى في ''يأس'' عميق. واحتياجاتها للوسائط المادية محدودة. لذلك فقد انزلق إصرار ''بيئة التجديد'' إلى الرياضة، والخلوة، والصبر، والاطاعة، والإخلاص، وقد صار تشكل إعلاء كلمة الله على هذا الطراز.

ويجب أن نوضح الموضوع هنا أكثر كي لا يحدث بلبلة في الذهن. إنه ليس من الممكن أن نبين ونعرف بوضوح طراز إعلاء كلمة الله المستقبلية. لكن من الممكن تخمين الخطوة العريضة والاستشعار من أطراف الخيوط المعينة. وبالانطلاق من فكر بديع الزمان القائل أن إعلاء كلمة الله لا تتم إلا ''بالترقي المادي''،فإننا نتحدث عن العلم،والتقنية، والصناعة، والاتصالات، والفلسفة والتنظيمات العسكرية. لكن هذه المؤسسات ليست تقليد لأمثالها من المؤسسات الموجودة بكثرة في الغرب، بل المؤسسات التي يطورها ''المجتهد الإسلامي'' بالاستفادة منها.

وهناك نقطة أخرى مهمة في موضوع إعلاء كلمة الله. في هذه الصفحة يمكن أن تتشكل بعكس استقامة تخميناتنا. نحن نتحدث الآن من التقنية، والصناعة، والتضخم المالي وغيرها، فربما تقوم البشرية في القرون المقبلة بترجيح طراز حياة بعكس ذلك. فربما تكره التطور الاقتصادي، وتشمئز من البناء والتعسكر السياسي وترجح الرجوع إلى الطبيعة والتوحد معها، وقد بينت إحدى الدراسات في انكلترا أن حوالي ٧٠ بالمائة لا يريدون طراز الحياة التكنولوجية الموجود. والناقدون الغربيون اليوم بدأوا يعدّون الأرضية النفسية والايديولوجية لطراز حياة مثل هذه الحياة.

إن الواقعية التي ستشكل في مثل هذا الوسط الذي تسيطر فيه الفكرة اللا علمية واللاتقنية، ستكون موافقة لطراز هذه الحياة.

ومهما كانت وجهة النظر وشكلها التي ستظهر في المستقبل، فإن الواقعية المسيطرة الآن، وفي المستقبل القريب تستند إلى ''الترقي المادي''، لذلك فإن إعلاء كلمة الله لا يتم إلا بالترقي المادي. ومن أجل الترقي مادة فإن هناك فاعلين بشريين مهمين. ونسمي أحدهما ''إسلام الحرفيين'' ولندرس دوره في الطريق المؤدي إلى إعلاء كلمة الله.

إسلام الحرفيين وأخلاق المنهج العوفي

لنبحث أولاً عن جواب قصير لسؤال ''لماذا الحرفيين؟'' وحسب قناعتي إن أول وأهم مهندس لوتيرة إعلاء كلمة الله هو ''الحرفي''.

ونقصد هنا من مؤسسة ''الحرفي'' الوحدات الانتاجية التي تملك البناء اللازم للانتاج والتوزيع ذوالمردود الجيد والمرن والتي تبدأ من حجم النشاطات ذات الحجم

المتوسط والتي تميل نحو الحجم الكبير، والكوادر التي تنظم هذه الوحدات. لكننا لا نقيم الوحدات التي تنشر الملكية على القاعدة والتي تؤدي إلى تخريق عاطفة الملكية، والتي تتعدى الحدود القومية وتؤسس شبكات استعمار مكثفة على شكل شركات عالمية، والتي تسعى وراء الكسب الحرام والمشوب كالتخمين وانتهاز الفرص والبنوك الربوية وغيرها من الأعمال المشوبة، والتي تحصر نشاطاتها في مجالات الاستغلال الربوية والتي لا تنشط في الساحات الحقيقية ذات المردود، ضمن حدود ''الحرفيين''. وإننا نعتقد أن بمثل هذا البناء لن تتحقق فائدة من الزاوية النفسية والاجتماعية والثقافية والسياسية. وإلى جانب ذلك فإن وحدة الإنتاج التي وصلت إلى البناء الفعال والمرن إلى أبعد الحدود في مجال الإنتاج وحجم نشاطها والذي تعدى الحدود المتواضعة والمضغوطة لمفهومنا التقليدي للحرفي، ستأخذ مكانها في تعريفنا ''لإسلام الحرفيين''. والخاصية التي تجلب الانتباه أولاً هو أن المؤسسة المقترحة هي مؤسسة متوسطة أو فوق المتوسطة وحجم فعالياتها. لماذا لا تدخل التجمعات الكبيرة والشركات داخل ''إسلام الحرفيين''؟ لا يمكننا هنا أن ندرس هذا الموضوع التقني إلى أبعد الحدود بعمق. لكن أود أن أقول أن لكل قطاع أو قلم إنتاج مقياس الإدارة، الإدارة الأفضل الخاص به. وفي حالة تخطى هذا المقياس، لا مفر عندها من حدوث النتائج السلبية لأبعد الحدود من الزاوية الإقتصادية والاجتماعية والسياسية والثقافية والاخلاقية. وأننا نعرف ونعيش في يومنا التأثيرات الهدامة التي تقوم بها الشركات العالمية التي هي على مستوى العالم. والغريب أن ماكس ويبر الذي تحمل وظيفة تقديس الرأسمالية ونجح فيها إلى حد ما، يربط تطور الرأسمالية واستمرارها بمؤسسات الإنتاج المتوسطة أو فوق المتوسطة، والحرفيين الصغار وقطاع التجار.

بالنسبة لويبر إن الأساس في تطور الرأسمالية الأوروبية هو الجو الديني في المدينة الذي شكلته مجموعات معينة مثل الحرفيين وصغار التجار في المدن المستقلة ذاتياً، وفي تطور هذه المدن. إن ويبر لم يرى المخمنين في البورصات ولا الربويين المنطلقين خلف الأعمال القذرة والمشوبة، ولا القرويين المقيمين في الأرياف عنصراً ضرورياً من أجل التطور الرأسمالي. وكما يدعي ويبر أن القروي يهتم بإدارة الطبيعة بالطرق السحرية، بينما المدني يبتعد عن الطبيعة فيزيائياً واقتصادياً، وإن البعد الحقيقي والأخلاقي للتدين النصراني أعدّ طراز الحياة للحرفيين وصغار التجار المدنيين وإلى جانب عنصر المحاسبة فالنشاط الثقافي للحرفي يحمل صفة الصدق، والعمل الجيد،

والثقة واللعب حسب القواعد وغيرهما من الميزات. إن للحرفين وبعض أصحاب الحرف -مثلا عمال النسيج- وقتاً من أجل التفكر، ولذلك فإنهم قريبين من الاندفاع وراء الأفكار الدينية المنظمة. أما القرويون فهم على العكس حيث يشاهد ميل قطعي نحو دين المجتمع في الأصناف تحت المتوسطة، ودين الخلاص، دين الأخلاق الحقيقي في النهاية.[9]

ويمكن أن نشاهد نفس التوجه عند عالم الاقتصاد الغربي Schumpeter. وبالنسبة له إن الذين طوروا الرأسمالية وجعلوها نظاماً يسيطر على العالم هم رجال الأعمال الذين يحملون ''روحاً مبدعة'' لكن كلما تطورت الرأسمالية ازدادت سيطرة الشركات الأهلية والشركات العالمية على السوق وافتقد عنصر رجال الأعمال، لذلك فإن ''الهدم الخالق'' يموت. وبالنسبة للمفكر، إنه كيف هدمت الرأسمالية الهيكل التأسيسي للمجتمع الاقطاعي فإنها تحفر تحت أساسها بنفس الأسلوب تقريباً. إن وحدات المراقبة العملاقة التي ظهرت في النظام الرأسمالي أبعدت الإقطاعية عن مراقبة الملكية. كما أن وتيرة الرأسمالية تهاجم دون مفر الأرضية الإقتصادية للمنتج والتاجر الصغير وتخربها. وتعمل للأصناف الصناعية الدنيا الرأسمالية ما فعلته للأقسام قبل مرحلة الرأسمالية. فمن طرف تقتل المنتج الصغير ومن طرف آخر تضخم الملكية وتجعلها أهلية ثم تقتل الملكية. وإن الوتيرة الرأسمالية، تضع بدل جدران المصنع وآلاته علبة من الأسهم وتقتل حيوية التفكير في الملكية، ولا تبقي على قيمة يكافح من أجلها الناس. حيث إن ''صاحب السهم'' يفقد الارادة في العراك من أجل المصنع الذي يحمل إسمه ومن أجل مراقبته، وحتى الموت على سلّمه.[10]

ومن هذا المنظور فإننا نفكر بأن القطاع الذي سميناه إسلام الحرفيين، كونه مخصوصاً بالوحدات الموجودة في الوسط وفوق الوسط، ستصير في بناء غير مرغوب به من زاوية العاطفة الإسلامية حيث يفقد العزم للعمل وعاطفة الملكية، والتطور الاقتصادي لمجمعات الشركات التي تستثمر الأوساط البشرية والطبيعية.

إن التطورات الإقتصادية الاجتماعية التي ستتحقق أثناء التوصل إلى صفحة إعلاء كلمة الله لن تتم بالوسائط وأخلاق الحرفة الرأسمالية. بل سيصير بالأخلاق الحرفية للمسلم التي ينتجها من مصادره الذاتية. ونحن هنا نقترح بتسمية الأخلاق بـ ''أخلاق المنهج العوفي''.

المنهج العوفي وإعلاء كلمة الله

لقد بينا في دراسة أخرى لنا أن مفهوم المنهج العوفي اشتق من إسم الصحابي الجليل عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه.

من المعلوم أنه في الغرب يعبر عن أخلاق العمل والمنهج الحقيقي والفعال بمفهوم البوريتانى. حتى إن كثيرا من المفكرين الغربيين عندما يدرسون أخلاق المسلك والعمل في الإسلام يقومون بالعطف على أخلاق بوريتان. حتى إن البعض يسمون هذه الميزة في الإسلام إسم أخلاق مسلك البوريتاني، وأن هذا المفهوم يميل إلى الانتشار. لكن أخلاق مسلك البوريتاني تصدر عن البروتستانية بشكل مباشر. وتسمو فوق القيم البروتستانية. مع العلم أن مصادر الالهام والمؤهلات عند المسلمين في هذا الموضوع هي الإسلام أو بمعنى آخر المبادئ العامة في القرآن والحديث وحياة الصحابة. ومن هذا المنظور يجب أن يكون المفهوم متناسباً مع مصادر المؤهلات. وبهدف إلغاء هذا التناقض فإنني أعتقد أنه يجب إيجاد مفهوم جديد يعكس الفرق بين أخلاق المسلك البروتستاني والإسلامي بشكل واضح، لكي يوضح الحادثة بمعناها. والمفهوم الذي أريد أن أقترحه والذي يعكس أخلاق مسلك إسلام الحرفي والذي ينسب إلى عبد الرحمن بن عوف أحد العشرة المبشرين بالجنة وهو ''أخلاق المنهج العوفي''. وهنا يخطر على عقل الإنسان لماذا لم نقل ''أخلاق المنهج الإسلامي''. وحسب قناعتي إنه ليس من الصحيح أن نسمي هذه الحادثة ''أخلاق المنهج الإسلامي''، وذلك لأن أخلاق المنهج الإسلامي تشمل في نفس الوقت أخلاق أبي ذر رضى الله عنه ورؤيته للدنيا والتي تعتزل الدنيا وتستند إلى الرياضة والزهد. لكن المقصود هنا ليس أخلاق منهج أبي ذر، وإنما أخلاق منهج عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنهما.

ونرى أنه من المفيد أن نوضح باختصار سبب اختيارنا لهذا المفهوم، وتبيان القيم التاريخية التي وفقنا لذلك. من المعلوم أن عبدالرحمن بن عوف كان من كبار التجار في مكة، وقد هاجر من مكة إلى المدينة وترك كل ما يملكه في مكة. وتوجد مواد كثيرة في كتب الحديث حول نشاط عبدالرحمن بن عوف وربحه وتصدّقه. وسنكتفي هنا بنقل حادثتين تتعلقان بالموضوع. لنذكر أولاً هذه الحادثة التي نقلتها عائشة رضى الله عنها:قال: ''أخبرنا عبد الله بن جعفر الرقي قال: قال أبو المليح عن حبيب بن أبي مرزوق قال: قدمت عيرا لعبد الرحمن بن عوف، قال فكان لأهل المدينة يومئذ رجة

فقالت عائشة: ما هذا؟ قيل لها: هذه عير عبد الرحمن بن عوف قدمت، فقالت عائشة: أما إنى سمعت رسول الله ﷺ، يقول. كأني بعبد الرحمن بن عوف على الصراط يميل به مرة ويستقيم أخرى حتى يفلت ولم يكد، قال فبلغ ذلك عبد الرحمن بن عوف فقال: هي وما عليها صدقة، قال وما كان عليها أفضل منها، قال وهي يومئذ خمسمائة راحلة.''[11]

وهناك حادثة أخرى تتعلق بعبد الرحمن بن عوف: ''قال الإمام أحمد حدثنا عفان حدثنا حماد حدثنا ثابت وحميد عن أنس أن عبد الرحمن بن عوف قدم المدينة فآخى رسول الله ﷺ بينه وبين سعد بن الربيع الانصاري، فقال له سعد: أي أخي أنا أكثر أهل المدينة مالاً فانظر شطر مالي فخذه وتحتى امرأتان فانظر أيهما أعجب إليك حتى أطلقها. فقال عبد الرحمن: بارك الله لك في أهلك ومالك، دلوني على السوق. فدلوه فذهب واشترى وباع فربح فجاء بشئ أقط وسمن. ثم لبث ما شاء الله أن يلبث فجاء وعليه ودع زعفران فقال رسول الله ﷺ ''مهيم؟'' فقال: يا رسول الله تزوجت إمرأة، قال: ''ما أصدقتها؟'' قال وزن نواة بذهب، قال ''أولم ولو بشاة''.قال عبد الرحمن: فلقد رأيتني ولو رفعت حجراً لرجوت أن أصيب فيه ذهباً وفضة''.[12]

إن منهج عبد الرحمن بن عوف رضى الله عنه ومفهومه للحياة الفعالة وسلوكه الإسلامي في الإنفاق والإحسان، تشكل نموذجاً مهماً للمسلمين اليوم. وكون هذا الصحابي الجليل أحد العشرة المبشرين بالجنة يجعل هذا النموذج ذا مغزى أكبر.

إن الميزات العامة لأخلاق المنهج العوفي هي ميزات تستند إلى المبادئ القرآنية. ويمكن أن نرتبها من زاوية العمل والمنهج على الشكل التالي: ١- الشوق ٢- الحكمة ٣- الإحسان ٤- الإتفاق ٥- العدالة ٦- القدسية ٧- الرضا ٨- المعرفة. وسنتناول هنا مبدأى الشوق والحكمة فقط. وسنسعى لإنتاج شكل الإنسان والتنظيمات الاجتماعية التي توجبها هذه المبادئ من المفهوم العام لبديع الزمان.

الميزة الأولى لأخلاق المنهج العوفي: الشوق

من المعروف أن الشوق هو مستوى من الرغبة والطلب أعلى من درجة الاحتياج. مع العلم أن بديع الزمان يقول في معرض لفت النظر لهذا المعنى ''الاشتياق هو الاحتياج المضاعف، والانجذاب هو الاشتياق المضاعف'' وبتعبيره الأصلي: ''إن لكل شيء في الكون -كما يشاهد بالتجربة- نقطة كمال، وله ميل إليها، فتضاعف الميل يولّد الحاجة، وتضاعف الحاجة يتحول إلى شوق، وتضاعف الشوق يكوّن الانجذاب،

فالانجداب والشوق والحاجة والميل... كلها نوىً لامتثال الأوامر التكوينية الربانية وبذورها من حيث ماهية الأشياء.''[13]

''الشوق'' و ''الاشتياق'' كلمتان مشتقتان من نفس المصدر. وإذا قيمنا عنصر الشوق من زاوية أخلاق المنهج نقول: يجب أن يكون الحرفي بشوق جدي لمنهج الإسلام ولإجراء حرفته. وعليه أن يتجرد من كل أشكال العطالة والكسل والخمول ويسعى للدنيا وللأشغال الدنيوية بكل حيوية ونشاط. ويجب أن يكون صاحب مستوى عال من النشاط والشوق وعلى معرفة بأن أعمال الدنيا هي عبادة وسُلّم للتوصل إلى إعلاء كلمة الله إنطلاقاً من المفهوم بأن الدنيا مزرعة الآخرة. وانطلاقاً من هذه الحقيقة كان بديع الزمان يشوق الأمة باصرار على الابتعاد عن العطالة والاكتفاء بالموجود ويحثهم على العمل بشوق: ''.إن أشد الناس شقاءً واضطراباً وضيقاً هو العاطل عن العمل، لأن العطل هو ابن أخ العدم. أما السعي فهو حياة الوجود ويقظة الحياة''[14] فضلا عمّا بيناه سابقاً من أن بديع الزمان يعدّ التطور الصناعي والاقتصادي فرض كفاية تتحمله الأمة.

إن أهم ميزة للشوق هي قوة الروح العملية العليا واتحاد الشخص مع حرفته. أو بتعبير أوضح، يجب أن يكون إسلام الحرفي صاحب هوية فعالة وروحانية عالية. وأن يكون في حيوية ونشاط بحيث لا يستوي يوماه. وما دامت إعلاء كلمة الله صفحة اجتماعية تتحقق نتيجة هذا النشاط والانطلاق، لذلك يجب أن نرى ونقيّم النشاطات التجارية والإقتصادية وقرارات إسلام الحرفيين أنها نشاطات وقرارات موجهة لإعلاء كلمة الله بشكل مباشر.

ويرى بديع الزمان أن من أسباب تخلف المجتمعات الإسلامية من الزاوية الإقتصادية والتجارية في القرون الأخيرة هو كسر شوق الأمة وميولها للعمل وإلغاؤه من طرف بعض القطاعات المختارة. أما بالنسبة لبديع الزمان؛ فإنه يقول أن روح الآية ﴿وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَانِ إِلَّا مَا سَعَى﴾،النجم:٣٩ يتفجر منها الميلان إلى السعي. وقد كسر هذا الميلان والشوق بتلقينات البعض، وقد انتشر بين المسلمين بذلك تواكل وكسل''. والذين كسروا هذا الميلان والشوق هم الذين لا يعرفون أن إعلاء كلمة الله في هذا الزمان ''متوقف على الترقي المادي'' والذين لا يفهمون أن الدنيا مزرعة الآخرة، والأهم من ذلك ربما يكونوا الوعاظ الذين لم يستطيعوا التفريق بين ''إلجاءات'' القرون الوسطى والزمن الذي نعيش فيه.[15]

وكأن بديع الزمان بتعبيره هذا يوجه كلامه إلى إبراهيم حقي وأمثاله. حيث يقوم

إبراهيم حقي بتشميل مفهوم التوكل الذي عرضه الإمام الغزالي والمخصوص بالنخبة في موضوع الرزق بمعنى ''التخلص من الأسباب والتوجه إلى الله''.[16]

''التوكل ابتعاد عن الخلق والاعتماد الكامل على الله. وقطع الأمل من يد الخلق والاعتبار والثقة بما عند الله. وترك التدبير والتوصل إلى التقدير، وترك العمل للغد.[17]

إن التوكل على الله في موضوع الرزق وفي سائر الاحتياجات لازم لكل شخص لأمرين. الأول هو التفرغ للعبادة والخشوع. وذلك لأن الذي لا يتوكل على الحق وينشغل بتأمين الرزق والاحتياجات لا يستطيع الإنشغال بالعبادة.. وصاحب التوكل لا يخزن الأرزاق للغد ولا يشعر بالغم في مسألة رزق الغد. وذلك لأنه يكون قد وجد نفسه غارقاً في بحر نعمة الله الواسع.''[18]

لكن بديع الزمان يحمل مفهوم ''التوكل'' و ''التفويض'' معاني مختلفة، ويتفق مع الإمام الغزالي الذي يسميه أستاذي في كثير من النقاط. يقول:'' إن تفويض الأمر إلى الله في ترتيب المقامات كسل، أما في ترتّب النتيجة فهو توكل. والرضا بقسمته وثمرة سعيه قناعة، تقوّي من ميل السعي أما الاكتفاء بالموجود فتقاصر في الهمة.

فكما أن هناك طاعة وعصياناً تجاه الأوامر الشرعية المعروفة، كذلك هناك طاعةٌ وعصيانٌ تجاه الأوامر التكوينية.

وغالباً ما يرى الأول -مطيع الشريعة والعاصي لها- جزاءه وثوابه في الدار الآخرة. والثاني -مطيع السنن الكونية والعاصي لها- غالباً ما ينال عقابه وثوابه في الدار الدنيا.

فكما أن ثواب الصبر النصرُ، وجزاء البطالة والتقاعس الذلُّ والتسفّل. كذلك ثواب السعي الغنى وثواب الثبات التغلب.

إن العدالة التي لا مساواة فيها ليست عدالة.''[19]

يطرح بديع الزمان موضوع التوكل بشكل واضح ويخلص الأمة من الأزمة في هذا الموضوع: ''فالإيمان إذن يقتضي التوحيدَ، والتوحيدُ يقودُ إلى التسليم، والتسليم يُحقق التوكلَ، والتوكلُ يسهّل الطريقَ إلى سعادة الدارَين. ولا تظنن أن التوكل هو رفضُ الأسباب وردّها كلياً، وإنما هو عبارةٌ عن العلمِ بأن الأسباب هي حُجُب بيَدِ القدرة الإلهية، ينبغي رعايتها ومداراتها، أما التشبثُ بها أو الأخذ بها فهو نوعٌ من الدعاء الفعلي. فطلبُ المسَبَّباتِ إذن وترقّب النتائج لا يكون إلا مِن الحقِّ سبحانه وتعالى، وأَنّ المنةَ والحمدَ والثناءَ لا ترجعُ إلا إليه وحدَه.''[20]

والميزة الثانية لسوق العمل هي اتحاد إسلام الحرفي بحرفته، وحتى بتعبير بديع الزمان ''الفناء في حرفته''، ''إن ترك المستعد لما هو أهل للقيام به، وتشبثه بما ليس أهلاً له، عصيان كبير وخرق فاضح لطاعة الشريعة الكونية ''شريعة الخلقة''. إذ من شأن هذه الشريعة: إنتشار استعداد الإنسان ونفوذ قابليته في الصنعة واحترام مقاييس الصنعة ومحبتها وامتثال نواميسها والتمثل بها. وخلاصة الكلام: إن شأن هذه الشريعة؛ الفناء في الصنعة.''[21]

كي يستطيع كل إنسان التوحد مع حرفته والفناء فيها يجب أن يرجح الشخص حرفة تتناسب مع استعداده وقابليته وخبرته في هذه الحرفة. وإلا فإن النتيجة ستكون سلبية بلا شك.

والميزة الأخرى لأخلاق المنهج العوفي الذي يوصل إلى صفحة إعلاء كلمة الله، هي كون إسلام الحرفي صاحب روح عملية لأبعد الحدود. وينعكس ذلك أولاً على فهم الحرفي لحرفته ومعرفة دقائقها واستيعابها بأفضل شكل وأسلمه. وبعد هذه المرحلة، قيامه بتطوير هذه الحرفة بالمقدار الذي يمكن تطويرها. إن العقلية الحرفية التي توجبها إعلاء كلمة الله هي طراز حياة حيوي وحركي يسعى وراء الجديد دوماً. أما إجراء الحرفة بأخلاق حرفية خاملة ومغلقة وكما شاهدها من والده وجده يدل على أخلاق حرفية ساكنة وخاملة، وبمثل هذا المفهوم لا يمكن تطوير الميول التي توجبها إعلاء كلمة الله.

إن أكبر مأزق تواجه إسلام الحرفيين والتي سيضطر لمصارعتها، هي قوالب العادات والتقاليد. إن تحريك العادات والأصول والأعراف المتراكمة على مدى القرون الطويلة والمتلاحمة مع بعضها من مواضعها عمل يتطلب مقاومة إرادة عالية وصرف طاقة كبيرة. وإذا كانت هذه الأمور موجودة كعنصر أساسي في كتب ''بعض الذوات'' الذين تثق بهم الأمة، فإن هدمها وإقامة ما هو متني ''كتابي'' مكانها صعب جداً. لكن إذا كانت هذه العادات والأعراف تطرح وتفرض طراز حياة ساكن وخامل، فإن اقتلاعها من مكانها وإقامة طراز وأصول كتابية هو نشاط ضروري وذو مغزى. فمثلاً إذا بحثنا عن أسباب الفقر كما فعل إبراهيم حقي حيث قال إن أسباب الفقر هي حرق ورق البصل والثوم، وكنس البيت ليلاً، وتجميع القمامة في المنزل، ونكش الاسنان بالعيدان الوسخة، والجلوس في عتبة الباب، والاستناد إلى جناح الباب، والذهاب إلى السوق مبكراً، وتمشيط الشعر بمشط مكسور الاسنان، وإطفاء القنديل

بالنفس[22] وغيرها من الأمور غير العقلية أو متنية ''كتابية''، فإن على عاتق إسلام الحرفي أعمالاً كثيرة وعليه أن يهدم جبالاً كثيرة.

ومن هذه الزاوية فإن الأولوية التي سيقوم بها في تقنية نشاط الإنتاج وموضوع طراز الإنتاج هي تحريك البناء الساكن التقليدي من مكانه أولاً وهدمه مع مرور الزمن. ومن أهم عوامل إسلام الحرفي تنسيق كل أشكال تقنيات الإنتاج التي تكسب السرعة في التوصل إلى إعلاء كلمة الله وذلك انطلاقاً من مبدأ ''الْكَلِمَةُ الْحِكْمَةُ ضَالَّةُ الْمُؤْمِنِ فَحَيْثُ وَجَدَهَا فَهُوَ أَحَقُّ بِهَا.''[23]

وبالطبع يجب أن لا يستنتج من ذلك تخريب جميع التقاليد. وإن مبدأنا في هذا الموضوع هو عدم الارتباط المطلق بالتقاليد، فإذا كانت توافق المبادئ القرآنية تقبل ويصر على الاستمرار بها.

وخلال تطوير أخلاق الحرفة الكتابية الجديدة والحركية يجب أن نفسر من جديد التلقينات الموجودة في تقاليد حرفنا وخاصة عند الحرفيين على شكل: ''سد باب الحرص، وفتح باب القناعة والرضى، وسد باب الشبع واللذة، وفتح باب الجوع والرياضة، وسد الباب الذي بجانب الخلق، وفتح الباب الذي بجانب الحق..'' ووضع ''إلجاءات'' زماننا بعين الاعتبار. ويجب تناول مفاهيم ''القناعة'' و ''الرضا'' و''الرياضة'' بشكل خاص وتحميلها معاني جديدة بوضع القرآن والحديث وحياة الصحابة بعين الإعتبار.

الميزة الثانية لأخلاق المنهج العوفي: الحكمة

الحكمة في المراجع الإسلامية هي ''التناسق بين العقل والقول والفعل''؛ ''الصفة القيّمة الناتجة عن اتحاد العلم والعدل والأخلاق''. أما معناها الاصطلاحي فهو كثير الشمول. وخلال تفسير الآية الكريمة... ﴿وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيراً...﴾البقرة:٢٦٩

يحمل الماليلي حمدى يازير الحكمة ثلاثة وعشرين معنى. ولنذكر بعضها هنا ونسعى للوصول إلى مغزى الحكمة: ''الحكمة؛ هي الإصابة في القول والفعل. الحكمة؛ علم العمل. الحكمة؛ فهم معاني الأشياء. الحكمة؛ إيجاد شي جديد. الحكمة؛ وضع الأشياء في موضعها و...''[24]

ويقول بديع الزمان: ''إن تعقب الصانع الجليل-بمقتضى اسم 'الحكيم' لألطف

صورة في كل شيء وأقصر طريق، وأسهل طراز، وأنفع شكل... يدل دلالة واضحة على أن الفطرة لا إسراف فيها قط ولا عبث، فما من شيء إلا وفيه نفعه وجدواه، وإن الاسراف مثلما ينافي اسم 'الحكيم' فالاقتصاد لازمُه ومقتضاه ودستوره الأساس.''[25]

وانطلاقاً من المفاهيم العامة التي طرحها الماليلي وبديع الزمان للحكمة نستطيع تعريفها على الشكل التالي: ''الحكمة هي استخدام النية والتخطيط والقرار وجميع المعطيات العلمية والبحث وإيجاد الأفضل. وبشكل عام إننا نستطيع تقييم الحكمة بأنها الإبتعاد عن جميع الأهواء والهواجس والتمايل والعادات اللاكتابية خلال الإنتاج والاستهلاك والتوزيع وتنظيم العمل، والعلاقات الفردية والسياسية، واتخاذ القرارات الدنية، وأنها وتيرة حركة موضوعية ومتزنة وعقلية وعلمية وحقيقية. إن الحكمة ببعض جوانبها وإن لم تكن بجميع أبعادها صاحبة وجهات متوازية مع ''العقلية'' بمعنى Weberyen. وخاصة إن ابتعادها عن الكيفية والهوى في النقاط العلمية والموضوعية يجعلها تتقاطع بشكل واسع مع عقلية Weberyen.

إن ''العقلية'' بالنسبة لوبير هي حادثة زيادة المحاسبة والرقابة المنظمة لحياة الإنسان والمستندة إلى التعليمات والقواعد العامة التي تترك جانباً المقاييس التقليدية والرجوع إلى المواطن السحرية في جميع وجهات حياة الإنسان. إن وسائل المراقبة والمشاهدة البيروقراطية التي تمنع الإرتباط بالمؤسسات التقليدية في الحياة العقلية والدنيوية، تسيطر مع مرور الزمن على النشاطات الصناعية والسياسة. وإن العلاقات الاجتماعية في الحياة العقلية والدنيوية غير شخصية وتستند إلى أساس الرسمية. لأن البيروقراطية تقدم للبشر أكثر الطرق تأثيراً من أجل الوصول إلى الغايات المعينة. وإن الأنظمة الحقوقية العقلية في الحقوق تأخذ مكان كيفية التقاليد المقدسة، وعدالة القاضي واستخراج القرار الحقوقي. ويدخل المجتمع تحت حكم شروط المصنع من زاوية التنظيم والتوصل إلى البناء الواقعي مع مرور الزمن.[26]

يتابع ويبر طراز تعبير Schiller ويشير إلى شرط المجتمع الدنيوي المعاصر ''تخليص العالم من الشعوذة''. ويقصد ويبر بذلك أن الناس لم يعودوا مغلقين في العالم السحري والخارق المقدس. ومبدؤه ''لا توجد قوى مبهمة مؤثرة لا يحسب لها حساب... ولا حاجة بعد للرجوع الي الطرق السحرية من أجل التغلب على الأرواح أو استمداد المساعدة منها مثل المجتمعات البدائية''. ورغم ذلك إن التقدم والتمدن الذي حققه التطور العلمي، يأتي بمعنى أنه لم تبق حياة طبيعية أو حدود لا ينبغي

تجاوزها في حياة الفرد. والنضوج لم يعد بمعنى تعلم الفرد اوالعشيرة أو المجتمع العلم والعرفان، بل يأتي بمعنى توصل الفرد إلى مخزون معين من المعرفة التي تكبر باستمرار.[27]

ورغم أن بديع الزمان لا يرى كما يرى ويبر أن المجتمعات ستستقل عن جميع المصادر الخارقة وستنظم حياتها تحت ضوء العقل والتجارب فقط، إلا أنه يرى أن الناس في العصر الحديث لن تنظم حياتها كما فعلت في العصور السابقة على الحس والهوى والتمايل، بل على العلم والعقل والبرهان. ويطرح بديع الزمان كلامه في هذا الموضوع على الشكل التالي: ''إن البشرية في أواخر أيامها ستنساب إلى العلوم، وتنصب إلى الفنون، وستستمد كل قواها من العلوم والفنون، فيتسلم العلم زمام الحكم والقوة''.[28] أوالحقيقة إن هذا التطور في الغرب كان تطوراً مهماً جداً من زاوية هدم التعصب، والارتباط الأعمى بالرهبان الذي استمر طيلة قرون في الغرب ورفع الستارة للبحث عن الحقائق. لكن العلم في الغرب صار كنيسة مع مرور الزمن، وصار عبارة عن إدارة واحدة استبدادية تعين طراز العيش والتفكير للمجتمعات. وقد كانت نتائج هذه التطورات هدامة جداً. ''P. Feyeraberd''.

أما وجهة بديع الزمان للحياة والرؤيا العالمية المستندة على العلم والعقل فتتخذ المؤهلات الكتابية أساساً لها بنفس الوقت وتناولها ''بحيث يخرج ضياء العقل ونور القلب''. وكي نستطيع التحرك بحكمة، فإنه على منتسبي الدين الإسلامي دين العقل والمنطق أن يعودوا بسرعة إلى الكتابي، وعليهم أن ينسلخوا عن السلوك اللاعقلاني واللامنطقي الناتج عن ''إلجاءات، القرون السابقة. إن عقلية الإسلام تجاه الأديان الأخرى قبلت من طرف كثير من المفكرين الغربيين. وقد توصل المفكر الماركسي الشهير ماكسيم رودينسون الذي درس الموضوع بالتفصيل إلى نتيجة أن الإسلام دين عقلي.[29]

وعند إيضاح الجبهة العقلية والواقعية للإسلام يقول بديع الزمان: ''نحن معاشر المسلمين خدام القرآن نتّبع البرهان ونقبل بعقلنا وفكرنا وقلبنا حقائقَ الإيمان، لسنا كمن ترك التقلد بالبرهان تقليداً للرهبان كما هو دأب اتباع سائر الأديان!

وعلى هذا فإن المستقبل الذي لا حكمَ فيه إلا للعقل والعلم، سوف يسوده حكم القرآن الذي تستند أحكامُه إلى العقل والمنطق والبرهان.''[30]

إذا كان العلم شرطاً مهماً وأولياً لا يمكن العدول عنه من أجل العيش بشكل يوافق

الحكمة فكيف سنحصل على هذا العلم؟ وما هي المراحل اللازمة للوصول إلى هذا المستوى؟ علينا أن نجد جواباً لهذه الأسئلة.

وبما أن القرآن سيحكم في المستقبل وسيتم استنباط جميع التنظيمات الاجتماعية من القرآن فإن الحكمة في هذه الصفحة تحتاج إلى أشخاص ناجحين وأصحاب معرفة وميزة على درجة مجتهد من أصحاب الاختصاص العالي من رجال الفكر والعلم.

عندما يتم تحويل الحياة الاجتماعية من صفحة الإيمان إلى صفحة الشريعة تجلب معها بشكل اضطراب الكوادر أصحاب النشاط العالي من زاوية الذهن والفكر. وكما بينا في دراسة أخرى [31] أن هناك حاجة لمنظّرين يضعون النظريات ''لصفحة الشريعة'' التي يطرحها بديع الزمان. ويمكن عد كل واحد منهم ''مجتهداً'' في مجاله. لكن هؤلاء لا ينتجون النظريات في موضوع العبادات وغيرها من المجالات بل في السياسة، والإقتصاد، والحقوق، والتنظيمات الاجتماعية العامة. لكن هؤلاء ليسوا مجتهدين مطلقين كالإمام الأعظم والإمام الشافعي بل هم أصحاب اختصاص عالي في بعض المواضيع المعنية ''مجتهدي قضايا'' وكي يكتسب تناول بديع الزمان للنظام العام والحكمة وحدة معينة يجب إكمالها بمؤسسة ''المجتهد'' إننا نستطيع عد الخواص العامة لمؤسسة ''المجتهد الإسلامي'' التي نظن أنها ستتشكل خلال ٢٠-٣٠ سنة المقلبة على الشكل التالي:

إسلام المجتهد سينشأ في مزرعة الكادر القدسي الذي يسير بخدمة الإيمان بشكل ناجح والذي سميناه إسلام الحرفي. والحقيقة أن عزيمة إسلام الحرفي موجهة لإعداد مثل هذا الكادر. لذلك فإن مهندسي صفحة الشريعة سيخرج من ''جماعة'' إسلام الحرفيين. وذلك لأن مخزون إسلام المجتهد من زاوية أصول المهنة، ومن زاوية التجهيزات الداخلية -كالتقوى، والثبات، والشفقة، والهدى، والرضا- لها أهمية كبيرة وموضحة. وهذا الكادر مثل ''الهدي النابت'' لا ينبت بشكل عشوائى. بل يجب أن يكون صاحب خلفية قوية التحكيم.

وبالاستفادة هنا من التوجهات والميول للتاريخ الإسلامي ومن تناول سعيد النورسي للموضوع بشكل عام نستطيع أن نشاهد أولياً الأوصاف الرئيسية لإسلام المجتهد:

إن أوضح وصف لإسلام الحرفي هو حريته إلى أبعد الحدود في الفكر والتفكير.

وإنه بمعرفته أن الموضوع الذي يدرسه نسبياً وإضافياً إلى أقصى الحدود، يقوم بمناقشة كل موضوع خارج الساعة ''المطلقة'' بعمق ويقيّمه وينتقده. وكون مخزوناتهم محدودة جداً فلا توجد في عالم أذهانهم مقدسات. وبنفس الوقت لقد تطهر من جميع العلاقات المعيارية التي تشكل حدوداً في موضوع الفكر والتفكير. ولا يعطون أية قيمة تحدد وتعيق تفكيرهم الحر.

ومن ميزاتهم الأخرى أنهم تخطوا الأهواء البشرية كالارتباط بالمادة، والمقام، والمنصب. والوضع الاجتماعي لهذا القطاع يؤمن لهم المكانة العليا والدخل الجيد ومستوى من الثروة. وسيكونون من هذه الزاوية قد تطهروا من كل ارتباط مادي ومكانة يمكن أن تشكل لهم مخزوناً في المجال الذهني والعقلي. وكما سنشاهد فيما بعد، إن كونهم لا يحملون أي ضعف تجاه المادة والمقام، فإن الميكانيكية ونظام الفكر الذي سيشكلونه سيكون مطهراً من الميول البشرية بنفس القدرة والنقطة التي نريد أن نوضحها بشكل طبيعي؛ هي عدم كون النخبة مرتبطة بالمادة والمقام لحد ''العبادة''، وإلا فإن لكل إنسان إحساس قلبي بالميل إلى المادة والمقام. لكن هذا الإحساس صار في المرتبة الصغرى عندهم وبعيداً عن كونه رابطاً لهم.

والميزة الأخرى أيضا أنهم عمروا عالمهم الداخلي بأوصاف ''النبوة'' والتي نسميها ''الإنشاء المنطوي للداخل'' إن أهم ميزة خلال وتيرة ''الإنشاء المنطوي للداخل'' هي جعل جميع أهداف إسلام النخبة لمرضاة الله، ويجب عدم تحديد أي هدف آخر لذلك. وكي يملكوا هذه التجهيزات الداخلية يجب أن تكون الخطط الخلفية محكمة بخدمات الإيمان والقرآن.

وكيف تحققت خدمة الإيمان وخلصت البشرية بنجاح من الكفر المطلق والظلم الخانق، فإن إسلام المجتهد سيخلص البشرية من الاستعمار، والنهب، والظلم، والتغريب، والمتاعية والعبودية بنفس النشاط والنجاح.

وبعد هذا المدخل فإننا نستطيع تعيين الحكمة بالاستناد على آراء بديع الزمان المختلفة على الشكل التالي.

١- يجب أن يتخذ نموذج عيش ''منهجي ونظامي'' في الحياة كأساس. إن العيش المنهجي هو رفض جميع أشكال العيش غير المنظمة والعشوائية والفوضوية والتعبير عن أسلوب العيش المخطط والنظامي والواقعي[32].

إن للعيش المنهجي وجهات وانعكاسات على الزمان والاستهلاك والإنتاج

والتوزيع. إن الوجهة التي تنظر إلى الزمان للحكمة أوالعيش المنهجي الذي هو فرع من الحكمة هي كيفية استخدام الشخص للزمان بشكل مؤثر. وتحركه بعقلية أن الزمان هو أفضل رأسمال يملكه الإنسان إنطلاقاً من المثل الشعبي ''الوقت نقد''.

٢- تقسيم الزمان إلى مرحلتين طويلة وقصيرة وإجراء المشاريع والخطط على هذا الأساس، وتعيين النشاطات التي ستتم على مراحل قصيرة والنشاطات التي ستتم على مراحل طويلة بالتفصيل. ويتم هذا على مستوى الشخص ومستوى الأمة بنفس المقياس. وعلى الأمة أن تقوم بخطط ومشاريع قصيرة وطويلة الأمد. ويمكننا أن نقيّم كلام بديع الزمان مع ''سعيد وحمزة الذي يعيشون بعد ثلاثمائة سنة'' بأنه يدل على محاولته لإعداد أرضية لمرحلة طويلة. وفي النتيجة أن المؤمن الذي يريد أن يعيش بشكل يناسب الحكمة أن لا يكون صاحب زمان فارغ وعاطل.

الحكمة في الإنتاج تعني الإنتاج الأفضل ذو المردود العالي. يعني أنه يري الإنتاج بأقل المصاريف وأفضل الأرباح. إن المجال الذي تكون فيه الحكمة أهم موضوعاً هو الطبيعة. إن الله عز وجل خلق مصنعاً في الكائنات، وهذا المصنع يعمل بأفضل مردود. حيث يحصل على أطنان من التين ''الربح'' من بذرة تين صغيرة ''المصاريف''. ويخزن آلاف الأطنان من الطاقة النووية في قطعة ذرة.

من أجل التوصل إلى الحكمة في الإنتاج يرى بديع الزمان أنه يجب تحكيم ''دستور تقسيم العمل'' وخلال الاختصاص في قطاع الإنتاج على كل إنسان أن يختص بالفروع أو الحرف حسب قابليته وميوله واستيعابه؛ وعدم اشتغاله في الحرف التي لا توافق قابليته حتى ولو كانت تلاقي الاهتمام من طرف الناس.

يرى بديع الزمان أن عدم اشتغال الناس بالحرف التي توافق قابلياتهم واستعدادهم وترجيحهم الحرف التي تلاقي الاعتبار من طرف المجتمع هو مرض يفيد ''معصية قوانين الخلق بشكل مباشر''. ونتيجة هذا البناء بدون شك هي الفشل، وحتى الانهيار. وانهيار نظام المدرسة ''المدارس التقليدية'' في المراحل الأخيرة للعثمانيين كان نتيجة مثل هذا البناء. ويرى بديع الزمان أنه بينما كان يجب أن يحل الكوادر المنتسبون للتعليم في المدارس صفات اللطف والإرشاد والنصيحة كي يؤدوا وظائفهم فيها، كان هؤلاء يتشكلون من الأشخاص أصحاب الميول للأغوات. وبدل أن يقدم هؤلاء بالعلم تحكموا بالآخرين.

والنقطة الأخرى المهمة في موضوع عيش الحكمة هي القضاء على العناصر التي

تمنع تحول الطاقة والاستعداد الكامن عند الإنسان إلى حالة حركية. ويجب تنظيم بناء السلطة والتسلسل الاداري التي هي قطعة لا تتجزأ من أخلاق الحرفيين التقليديين من جديد بحيث لا تعيق التطور ولا تحدد استعدادات الإنسان. كما يجب أن نعيد النظر في العلاقة بين المعلم -الصانع- والقلفة، والمراحل التي أظهرتها هذه الحقائق، وتوفيقها مع الحياة الفعالة. كما تجب مواجهة المؤسسات التي تضغط على التطور والانكشاف باستمرار وتحد من كل ميل إلى الانفتاح بنفس الشكل. ومن هذا المنظور فإنه على إسلام الحرفين بشكل خاص أن يعلن التغير العام لإعداد أشخاص أصحاب آراء تقدمية وروح فعالة للجيل الجديد.

ويجب أن لا يكون الشباب الناشئين الجدد أشخاص أصحاب أخلاق مسالمة وإطاعة مطلقة، بل يجب أن يكونوا أحراراً تماماً خارج ساحة التسليم والاطاعة الكتابية. وخاصة يجب أن يكونوا أصحاب حرية كاملة في تطوير الأعمال والتنظيمات الجديدة وايجاد التقنيات. إن حرية الاشتغال والارادة التي تؤمن لهؤلاء الوسط الملائم لتطوير قابلياتهم وانكشافها داخل المجتمع الدولي. وفي حالة العكس وكما بين بديع الزمان في كتاب المناظرات، أنه إذا وضع الناس تحت ضغط المؤسسات أو المجتمع فإنهم يفقدون الفرصة لامتلاك إرادة وفاعلية حرة، وبذلك يفقد المجتمع قابليته في العمل وطرح الأمور الجديدة، ويظهر وكأنه يعمل بالسخرة، وإذا عمل عملاً جيداً يعمله برياء، ويعتاد الكذب والمداهنة في حرفته، ويحقّر من قبل الغير باستمرار ويشعر بحقارة نفسه. ''ذلك لأن الشوق الذي هو بحكم البخار الممد لسعي الإنسان ينطفئ ويخمد، فيسيطر عليهم ساداتهم وكبراؤهم، كي يظهروا وحدهم في الميدان، فيسمنون بأكل لحومهم ويحولون دون تفتح الاستعدادات.''[33]

لقد واجه بديع الزمان بقايا الاقطاعية في جميع مجالات الحياة، وسعى لتخليص الناس من أيديهم وكأنه في حرب معهم. إن الأهمية والصلاحية التي أعطاها للشخص ذات مغزى كبير: شخصية حرة ومستقلة. نوع من المثقفين المنورين الذي لا يقبل الفكر الذي يطرح أمامه مباشرة، بل ينقده، ويفسره وفي النهاية إما أن يقبله أو يرفضه. أليس هذا من واجبات المثقف المنور؟ إن سلوك بديع الزمان في هذا الموضوع واضح لأبعد الحدود.

''اَرَونى مفسداً يقول: اَنا مفسد، وما هو إلا مفسد إلا أنه يتراءى في صورة الحق، أو يري الباطل حقاً، نعم؛ ما من أحد يقول: مخيضي حامض... فلا تأخذوا شيئاً إلا

بعد إمراره على المحك، لأن أقوالاً مغشوشة مزيّفة قد كثرت في تجارة الأفكار... حتى كلامي أنا لا تأخذوه على علاّته -بحسن ظنكم- لأنه صادر عني فقد أكون مفسداً، أو أُفسد من حيث لا أشعر، فعلى هذا تيقظوا! ولا تفتحوا الطريق إلى القلب لكل طارِق. فليظل ما أقوله لكم في يد خيالكم، واعرضوه على المحك، فإن ظهر أنه ذهب فأرسلوه إلى القلب، واحتفظوه هناك، وإن ظهر أنه نحاس، فاحملوا على عاتق ذلك الكلام المنحوس كثيراً من الغيبة وشيّعوه بسوء الدعاء عليّ وردّوه خائباً إليّ.''[34]

إن نوع الإنسان الذي رآه بديع الزمان وأراد أن يطوره هو إنسان صاحب هوية وشخصية مستقلة وحرة. وليس نوع الإنسان الذي أودع عقله وفكره لجيب الآغا أو شيخه أو أخيه الأكبر، أو أستاذه أو معلمه، أو الإنسان الساكن والسلبي، والذي لم تتطور شخصيته والمحروم من الإرادة والتفكير الحر، والذي لم تتطور قابليته وجسارته.

وكي تصير الأجيال القادمة أكثر فاعلية وحركية ومن أجل تقصير الطريق الموصل إلى إعلاء كلمة الله فإن بديع الزمان يرى أنه يجب أن نخلع بسرعة صفنا الاجتماعي العام الذي حملناه وجئنا به من أعماق التاريخ. وهذا الضعف هو الاستناد إلى باب الدولة، وانتظار كل شيء منها. ويقترح بديع الزمان تخلص إنساننا من بلاء ''الآمرية والمأمورية'' ويدعي أن الطريق إلى إعلاء كلمة الله تمر عبر تطوير وتعميم قطاعات الصناعة والتجارة والتقنية، لذلك يجب أن نعين خططنا واستراتيجيتنا الشخصية بهذه الاستقامة. والحقيقة أن بديع الزمان قد فهم قيمة وأهمية الحادثة في بدايات هذا القرن واقترح للأمة استراتيجية حول ذلك:

''هو سلوكنا في المعيشة مسلكاً غير طبيعي، مسلكاً يوافق الكسل ويلائمه، ويداعب الغرور ويربت عليه، وهو المعيشة على الوظيفة الحكومية.. لذا لقينا جزاء ما كسبت أيدينا.''[35] ويتضح من ذلك أن بديع الزمان يقيم جميع أشغال الدولة لتجميع الثروة والتطور الاقتصادي بأنها طرق غير طبيعية وأنها تؤدي إلى الكسل والغرور. والحقيقة لا يمكن أن نشاهد تعريفاً من الزاوية البيروقراطية الاجتماعية والإقتصادية والثقافية على هذا الشكل الوجيز إلا عند بديع الزمان. إن البناء الاجتماعي الاقتصادي ''المثقل بالموظفين'' والذي سماه ماكس ويبر البناء الإرثي هو هذا البناء. إن الضغوط الاجتماعية والسياسية زمن عصور إمبراطوريتنا زرقت في أعماق روح إنساننا ''الآمريه'' و''الآغاوية'' و''الباكواتية''، و''الباشاوية''، وأهملت بشكل اضطراري

وبشكل واسع أساليب وطرق الربح الطبيعي وصاحب المردود، وسيضطرهم للبحث عن الإقبال والاستقبال في أبواب الدولة. وهذا البناء غير الطبيعي أدى إلى نتائج مفجعة وغير متوقعة في المجال الاجتماعي والثقافي. ولنستمع من بديع الزمان شكل النهاية المحزنة:

''إن الطريق المشروع للمعيشة والسبيل الطبيعي والحيوي إليها هو ''الصناعة، الزراعة، التجارة''. أما الطريق غير الطبيعي فهو الوظيفة الحكومية والأمارة بأنواعها. وعندي أن الذين جعلوا مدار معيشتهم ''الأمارة'' -وإن تسمّت بأي اسم كان- فهم في زمرة الشحاذين العاجزين المتسولين ومن زمرة المخادعين الحيالين... وفي نظري أن الذي ينخرط في سلك الوظيفة أو الأمارة، فليدخل إليها لأجل الحمية والخدمة للأمة وإلا لو دخلها للمعيشة والمنفعة فحسب، فلا يقوم إلا بضرب من التسوّل، إذ ثبت أن حصر كل الوظائف فينا، أضاع علينا ثرواتنا بتسليمها ليد الاسراف، وإن حصر العسكرية فينا شتت ذرارينا في الآفاق. فلو كان الأمر يستمر على هذا المنوال لكنا ضائعين منقرضين.''[36]

عند قيامنا بإنشاء مستقبلنا باستقامة إعلاء كلمة الله وبوضع هذا الرأى بعين الاعتبار، يجب أن نضع ''باب الدولة'' في الخطة الخلفية، وأن نعدّ الشباب الفعال الذي يستطيع إنشاء المؤسسات على المستوى العالمي يا مكانياتنا الشخصية.

إن جانب الحكمة الآخر في ''أخلاق المنهج العوفي'' هي قبولها لقالب استهلاك ''رياضى''. إن إسلام الحرفي وإسلام المجتهد مضطر للوقوف بعيداً عن جميع أشكال الاسراف والتبذير في مجال الإستهلاك والمصاريف. الاستهلاك الزائد، والجشع، وحياة الكماليات والتبذير لا تدخل في أخلاق المذهب العوفي. وإن بديع الزمان أوصى الأمة بحياة رياضية ذات فعالية وإرادة وذلك بالحياة التي عاشها والكتب التي ألفها، وأصر على القول أن التبذير والصرعات الاستهلاكية هي من الانحرافات الأخلاقية للرأسمالية حتى أنه ألف كتاباً حول ذلك وسماه ''رسالة الاقتصاد''. وقد طالب الأمة في هذا الكتاب بإصرار على الابتعاد عن الاسراف وقبول نموذج حياة بسيطة:

''إن الإسراف منافٍ للشكر واستخفاف خاسر وخيم تجاه النعمة، بينما الاقتصاد توقيرٌ مربح إزاء النعمة.

أجل! إن الاقتصاد كما هو شكر معنوي، فهو توقير للرحمة الإلهية الكامنة في النعم والاحسان... وهو سبب حاسم للبركة والاستكثار... وهو مدار صحة الجسد

كالحِمية... وهو سبيل إلى العزة بالابتعاد عن ذلّ الاستجداء المعنوي... وهو وسيلة قوية لإحساس ما في النعم والآلاء من لذة... وهو سبب متين لتذوق اللذائذ المخبأة في ثنايا نعمٍ تبدو غير لذيذة... ولكون الإسراف يخالف الحِكَم المذكورة آنفاً باتت عواقبه وخيمة."[37]

يتضح من هذا أن بديع الزمان يسعى لتوضيح أهمية شكل السلوك والحياة الاقتصادية، والرياضية، والحسابية من أجل إبعاد الناس عن جميع أشكال الجشع والاسراف، في المنظور النفسي والصحي والاجتماعي والاقتصادي.

النتيجة:

يمكننا أن نتوصل إلى نظام حضارة باتخاذ المفاهيم العامة لبديع الزمان. ونستطيع تلخيص النتيجة التي توصلنا إليه بهذا الموضوع على الشكل التالي: بالنسبة لبديع الزمان أن صفحة إعلاء كلمة الله هي صفحة يجب أن تتوصل إليها الأمة مطلقاً. وذلك لأن الأمة لا تستطيع المحافظة على عزة الإسلام إلا بالوصول إلى هذا المستوى. ومن أجل التوصل إلى هذا المستوى هناك حاجة للبناء العلمي والتقني، والصناعة التخصصية والمنتشرة، وللقطاع الزراعي. وإن العلم والتقنية التي نحتاج إليها سوف يستنبطها "إسلام المجتهد" من القرآن. ومن طرف آخر إن مؤهلات كادر إسلام الحرفي وإسلام المجتهد الذي سيوصل الأمة الي صفحة إعلاء كلمة الله تتشكل من طرف الإسلام والمؤسسات والتقاليد الإسلامية، وسيتم تشكيل أخلاق مسلك "منهج" هذا الكادر من طرف أخلاق المنهج العوفي.

* * *

المصادر المستفاد منها

- Amold Toynbee، معرفة التاريخ، مج ١، "ترجمة مراد بلكه"، منشورات بتاش، استانبول ١٩٧٨م.
- بديع الزمان سعيد النورسي، ديوان الحرب العرفي، استانبول ١٩٦٠م.
- بديع الزمان سعيد النورسي، الكلمات "دون تاريخ".
- بديع الزمان سعيد النورسي، المناظرات، نشريات ينى آسيا، ١٩٩١.
- بديع الزمان سعيد النورسي، اللمعات "دون تاريخ".
- بديع الزمان سعيد النورسي، المكتوبات، استانبول ١٩٥٨.
- بديع الزمان سعيد النورسي، المحاكمات العقلية، الناشر دار سوزلر للنشر، استانبول ١٩٦٠.

- بنيامين دوران، الاطروحات الموجبة للتغيير الاجتماعي-الاقتصادي في المجتمعات المسلمة، استانبول ١٩٩٥م.
- بنيامين دوران، من صفحة الإيمان إلى صفحة الشريعة: مجلة كوبرو، عدد الشتاء ١٩٩٥م.
- بنيامين دوران أوغلو، من إسلام الحرفيين الي إسلام النخبة، مجلة ينى دركى، العدد ٦٠٥ انقره ١٩٩٥م.
- Beryan S.Turner الاستشراف والرأسمالية والإسلام، ''ترجمة'' أحمد دميرخان، استانبول ١٩٩١م.
- Beryan S.Turner لله ماكس ويبر والإسلام، ''ترجمة: ياسين أكتاي'' انقره ١٩٩١.
- طبقات ابن سعد، مج١.
- إبراهيم حقي، معرفة نامه، ''تحقيق بالتركية،. فؤاد باشار''، ١٩٩٢م.
- الإمام الغزالي، احياء علوم الدين، مج٤، ١ترجمة علي ارسلان، استانبول، ١٩٩٣م.
- ماكسيم رود ينسون، الإسلام والرأسمالية، ''ترجمة اورخان سودا'' استانبول ١٩٧٦م.
- Pavl Feyerabend، العلم في المجتمع الحسر،''ترجمة احمد كاردام،١٩٩١م.
- صبري اولكن ار، الدين والذنية، استانبول ١٩٨١م.

* * *

الهوامش:

[1] د. بنيامين دوران: ولد سنة ١٩٥٥م بقرية بيناركوي التابعة لقضاء ارغلي في ولاية قونيا. اكمل دراسته الابتدائية في نفس القرية. ودرس المتوسطة والثانوية في قضاء آق حصار بولاية مانيسا. تخرج في كلية الالهيات وفي كلية العلوم الاقتصادية والادارية بجامعة ٩ أيلول. درس الماجستير والدكتوراه في الاقتصاد بمعهد العلوم الاجتماعية بجامعة ٩ ايلول. وعين معيداً في كلية العلوم الاقتصادية والادارية بجامعة اينونو سنة ١٩٨٥م. وفي سنة ١٩٩٠م عين استاذاً مساعد في الكلية نفسها وفي سنة ١٩٩٣ اسس كلية العلوم الاقتصادية والادارية بمدينة بيله جيك بجامعة دوملوبينار. ولا يزال يعمل مساعد العميد في نفس الكلية. نشر كتابين وعدة مقالات في النشرات المحلية والاجنبية. وهو عضو في اربعة معاهد محلية واجنبية. متزوج وأب لولدين.

[2] صيقل الاسلام- المناظرات/ ٤٠٣

[3] صيقل الاسلام/ الخطبة / ٥٢٧

[4] صيقل الاسلام-الخطبة الشامية/ ٥٢٧

[5] انظر بنيامين دوران، اجتماعي-اقتصادي، / ٩٠ وغيرها

[6] A. Toynbee، مج١، / ١٨٤

[7] ص ١٨٤- ١٨٥ B. Turner'Max Weber

[8] صيقل الاسلام-محاكمات عقلية / ٤٣

[9] ماكس ويبر والاسلام، / ١٣٥ وغيرها B. Turner

[10] NPQ، خريف ١٩٩١

[11] ابن سعد، الطبقات مج ٣، / ١٣٢

[12] البداية، مج ٣، / ٢٢٨

[13] التمثيل الثاني من الكلمة التاسعة والعشرين من كتاب الكلمات

[14] المكتوبات / ٦١٣

[15] صيقل الاسلام-المناظرات ٤٠٢-٤٠٣

[16] احياء علوم الدين، مج ٤، / ٤٨١ وغيرها
[17] معرفة تأمة / ٣٦٢
[18] ابراهيم حقي معرفة نامه، حققها بالتركية الحديثة فؤاد بشر، كيتان، استانبول ١٩٩٢م/ ٣٧٥
[19] المكتوبات / ٦١١
[20] الكلمات / ٣٥٣
[21] صيقل الاسلام / ٦٦
[22] معرفة نأمة / ٧٤٤-٧٤٥
[23] رواه الترمذى (٥ / ٥١) و ابن ماجه (٢ / ١٣٩٥) و القضاعى فى مسند الشهاب (١ / ٦٥) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، واللفظ للترمذى.
[24] من أجل معلومات اكثر انظر المالیلي حمدي يازير، مج ٢، / ٩١٣-٩٢٩
[25] اللمعات، / ٥٣٦
[26] Turner، 201 /
[27] Turner، 203 /
[28] الكلمات، / ٢٤٦
[29] م.رودينسون، / ١٠١ وغيرها
[30] صيقل الاسلام / ٤٩٥
[31] بنيامين دوران، الحرفي، ١٩٩٥م بنيامين دوران، الحرفي، ١٩٩٥م
[32] من أجل المزيد من المعلومات انظر: صبري اولكن أر
[33] المناظرات / ٣٥
[34] صيقل الاسلام-المناظرات / ٣٩٠
[35] صيقل الاسلام-المناظرات / ٤٠٣
[36] صيقل الاسلام-المناظرات / ٤٠٣
[37] اللمعات ص ٢١٢

التبليغ والارشاد في رسائل النور

د. داود آى دوز[1]

''لقد ضحيت حتى بآخرتي في سبيل تحقيق سلامة إيمان المجتمع، فليس في قلبي رغب في الجنة ولا رهب من جهنم، فليكن سعيد بل ألف سعيد قرباناً ليس في سبيل إيمان المجتمع التركي البالغ عشرون مليونا فقط بل في سبيل إيمان المجتمع الإسلامي البالغ مئات الملايين. ولئن ظل قرآننا دون جماعة تحمل رايته على سطح الأرض فلا أرغب حتى في الجنة إذ ستكون هي أيضاً سجناً لى، وإن رأيت إيمان أمتنا في خير وسلام فإنني أرضى أن أُحرق في لهيب جهنم إذ بينما يحترق جسدي يرفل قلبي في سعادة وسرور..''[2]

''لى غاية واحدة وهي واحدة

إنني في هذا الوقت الذي أتقرب فيه إلى القبر... وفي هذا الوطن الذي هو بلاد إسلامية، نسمع نعيق أبوام البلاشفة... هذا النعيق يهدد أسس الإيمان في العالم الإسلامي، ويشدّ الشعب ولا سيما الشباب إليه، بعد سلب الإيمان منهم،

إنني بكل ما أملك من وجود، أُجاهد هؤلاء، وأدعو المسلمين وبخاصة الشباب إلى الإيمان، فأنا في جهاد دائم مع هذه المجموعة الملحدة. وسأمثلُ إن شاء الله في ديوان حضوره سبحانه وأنا رافع راية هذا الجهاد. وكل عملي ينحصر في هذا. وأخشى ما أخشاه أن يكون الذين يحولون بيني وبين غايتي هذه هم بلاشفة أيضاً.

فغايتي المقدسة هي التكاتف والتساند والترابط مع كل من يجاهد أعداء الإيمان هؤلاء. اعطوني حريتي واطلقوا يديّ كي أعمل بالتكاتف مع القوى المجاهدة في سبيل إعلان التوحيد وترسيخ الإيمان في هذه البلاد وإصلاح الشباب المتسمم بالشيوعية.''[3]

قبل الانتقال إلى الموضوع الأساسي لنلقي نظرة قصيرة على مكانة التبليغ والإرشاد في الإسلام.

التبليغ يعنى إيصال الخبر. ومعناه الاصطلاحي: ''الإخبار بكل شيء يعدّ جيداً، وإيصال كل شيء حسن ونظيف وخير إلى البلاد والأمم الأخرى، لقبوله''[4] وباختصار التبليغ هو؛ ''شرح حقيقة الإسلام'' أو ''الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر''.

التبليغ هو غاية وجود كل نبي. ولولا التبليغ لما كان لإرسال الأنبياء أي معنى ولكان ذلك عبثاً. وإن من لطف الله وكرمه للبشرية هو تجلي الرحمانية والمرحمة الإلهية وإحياءها في حياة أنبيائه. وانعكاس ذلك على البشرية لا يتم إلا بالتبليغ...

وإن كثيراً من الآيات القرآنية تصرح بذلك لفظاً ومعنى، وتكرر أن وظيفة الأنبياء هي التبليغ.[5]

الأمة، وخاصة العلماء هم ورثة الأنبياء في هذا الموضوع. تغيرالزمن والشروط، واختلاف الجغرافيا لا تشكل عائقاً للتبليغ الديني. لكن توضع الشروط الخاصة بكل زمان ومكان في التبليغ بعين الاعتبار. لأن جميع الأنبياء تحركوا على هذا الشكل. جميع الشعوب والأمم متساوية في التبليغ الإسلامي وصاحبة لنفس الحقوق. وإن تبليغ الإسلام لجميع الناس فرض على كل مسلم دون تفريق في العرق، واللون، والجنس، والجغرافيا، والزمان، والمكان.

وذلك لأن وظيفة الدعوة للإسلام وتبليغه ليست خاصة بمحمد ﷺ وأصحابه. كما أن الرسول محمد ﷺ آخر الأنبياء ولن يأتي نبياً بعده. إذاً فما هي الوظيفة التي تقع على عاتق منتسبي الدين الذي سيبقي إلى يوم القيامة؟ وأقصر جواب لذلك هو: ''السير على طريق رسول الله وأصحابه. والقيام بوظائف تعادل الوظائف التي قاموا بها في العصر الذي عاشوا فيه حسب إمكاناتهم، وذلك حسب متطلبات يومنا''. يقول الله تعالى في محكم كتابه: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إلى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾[آل عمران:١٠٤] وبذلك يأمر بوجود جماعة تقوم بهذه الوظيفة. وقد أجاب بديع الزمان هذا الأمر الإلهي وقام بوظيفة الإرشاد والتبليغ.

إن أهم خواص الإرشاد والتبليغ عند بديع الزمان، والتي تميزه عن الآخرين وتظهره في الأمام هي:

١- نذر نفسه كاملة لهذا العمل:

نعم لقد أجاب بديع الزمان أوامر الله وقام بالتبليغ والإرشاد. لكن هذه الإجابة لم تكن على شكل تخصيص قسم من وقته لذلك، بل كانت على شكل جعل عمره كاملاً لذلك. لأن بعض الناس يقومون بذلك إلى جانب أعمالهم الأخرى بعد زواجهم وإنجابهم للاولاد أو يقومون به مقابل أجرة "كأئمة الجوامع، والمؤذنين، والوعاظ، والمفتين وغيرهم؛" بينما قال بديع الزمان كما فعل الأنبياء ﴿إِنْ أَجْرِيَ إِلاَّ عَلَى اللهِ﴾،يونس:٧٢ ولم يطلب أي أجر ووقف كل عمره لوظيفة الإرشاد والتبليغ.

لم يخش الأستاذ الذي جعل غاية حياته هي التبليغ والإرشاد شيئاً أو يخاف من أحد في هذا السبيل ووضع أمام عينية جميع المخاطر. وقد بين أنه مستعد للتضحية بآخرته إلى جانب تضحيته بدنياه بشرط سلامة إيمان الأمة نتيجة التبليغ والإرشاد.

"لقد ضحيت حتى بآخرتي في سبيل تحقيق سلامة إيمان المجتمع، فليس في قلبي رغب في الجنة ولا رهب من جهنم، فليكن سعيد بل ألف سعيد قرباناً ليس في سبيل إيمان المجتمع التركي البالغ عشرون مليونا فقط بل في سبيل إيمان المجتمع الإسلامي البالغ مئات الملايين. ولئن ظل قرآننا دون جماعة تحمل رايته على سطح الأرض فلا أرغب حتى في الجنة إذ ستكون هي أيضاً سجناً لى، وإن رأيت إيمان أمتنا في خير وسلام فإنني أرضى أن أُحرق في لهيب جهنم إذ بينما يحترق جسدي يرفل قلبي في سعادة وسرور..."

٢- المرحلة التي عاشها:

مرحلة اعتبرت فيها كل حملة دينية "حركة رجعية" وأسيء فيها حتى للمتدينين الذين يؤدون العبادات بانفراد، ومنعت فيها قراءة القرآن وتعليمه، وأرسل فيها العلماء الأبرياء لمنصة الإعدام لمجرد بعض الأوهام، وعوقب فيها كل تعليم ديني بشدة ودونما رحمة. نعم، هي مرحلة أغلقت فيها المدارس والزوايا التي حرست مقدسات ومعنويات وحيثية الأمة على مئات السنين، وأطفئت فيها جميع منابع العرفان، تركت التدريسات الدينية، وأرعب بعض المشايخ وعلماء الدين بشتى الأساليب، وبإعطاء بعضهم مناصب، في مثل هذه المرحلة المشئومة كانت غاية حياة مؤلف رسائل النور بديع الزمان هي الإرشاد والتبليغ. هذه الشخصية العظيمة اندفعت دون وجل وعاشت من أجل ذلك فقط، في هذا الوسط الذي يعد فيه التدين جسارة فضلاً عن القيام بخدمة الدين. وسيشاهد هذه الحقيقة كل من يدرس حياته وآثاره بشكل واضح.

٣- سعة مجال الخدمة وتنوعها

إن نشاطات الإرشاد والتبليغ التي قام بها بديع الزمان ليس لها زمان ولا مكان. فقد كان يدرس الطلاب، ويعظ وينصح، ويتقدم الصفوف الأولى للمجاهدين في الحرب، ويصارع الأعداء بالسيف وجها لوجه، ويجابه قائد الأعداء عندما يقع في الأسر حتى يدفعه للتفكير وهو على منصة الإعدام، مما يجعله ينصفه، ويفعل ذلك كله باسم الإرشاد والتبليغ. ومن طرف فقد كان يعطي العشائر دروساً ونصائحاً في الأخلاق والإيمان خلال رحلاته في شرقي الأناضول، ومن طرف آخر كان ينقل آراءه وتشخيصاته المصيبة في السياسة الإسلامية للعلماء في الشام. كما كان يعرض الحقائق القدسية للقرآن في خطبته ومقالاته لمجلس المبعوثان -النواب في عهد المشروطية- وكان يعرض أفكاره هذه في مؤلفه ''المحكمة العرفية السكرية'' دون خوف. وقد أقنع السلطان، كما أقنع الحكومة في أنقرة بفتح جامعة في الشرق. ويشتغل بالسياسة في مرحلة معينة ولو بشكل قليل من أجل خدمة الدين، ويوصي النواب في المجلس باتباع الحق دون خوف، ويحوّل السجن إلى مدرسة يوسفية ويكتب الرسائل لتلاميذه يوضح لهم فيها الطريق. والأهم من ذلك كله يقوم بتأليف رسائل النور تحت أقسى الشروط، ويرسل الرسائل التي كتبها إلى مختلف بقاع العالم وهو على قيد الحياة... وخلاصة القول إن الإرشاد والتبليغ قد ملآ حياة بديع الزمان ولم يتركا له فراغاً.

لقد استمر بديع الزمان في إرشاده بين الكتل الشعبية وداخل طبقة المثقفين، وخاطب كل الجماعات دون تفريق في المستويات التي تفهمها كل جماعة. لذلك لم يهمل أحداً من مخاطبيه في آثاره التي كتبها. وكل من يقرأ آثاره من العوام، والخواص، وخواص الخواص يستفيد منها حسب مستواه. فمثلاً ألف رسالة ''محاكمات عقلية'' لخواص الخواص. كما ألف لمعات للمرضي والشيوخ، ورسائل للشبا، ولأخوات الآخرة.

٤- توحد لسان الحال والقال

إن أهم خاصية للأستاذ في الإرشاد والتبليغ هي شرحه للحقائق داخل وحدة الحال والقال... واهتم كثيراً بالإخلاص، والزهد، والتقوى... وطلبه أجر التبليغ والإرشاد من الله عز وجل فقط وذلك وفق الدستور القرآني والنبوي... واستغناءه عن الناس.

٥- تبليغه وإرشاده كان قرآنياً ونبوياً

إلى جانب كون بديع الزمان صاحب حس إنساني مرهف، فقد عاش كل عمره في ظلال القرآن والسنة، وتحرك حسب موجبات الكتاب والسنة في القضايا التي تتعلق بدعوته. نعم، إن من أهم خواص التبليغ والإرشاد عنده، هي موافقته لشروط العصر الذي يعيشه، وموافقة التبليغ والإرشاد لمنهج الدعوة القرآنية والنبوية. يعني أنه عمل وفق الأوامر القرآنية الموجهة للأنبياء والعالمين في التبليغ، واتبع منهجاً في الدعوة للإسلام يوافق منهج النبي ﷺ.

٦- تشخيصه ومعالجته لأمراض العصر بشكل جيد

لقد ضرب بديع الزمان بمشرطه على أمراضنا العصرية، ومن أجل تشريح وتشخيص هذه الجروح التي سببت لنا مصائب كبيرة، وكي يخلص المسلمين من الانهيار، قال كل شيء من صميم قلبه منذ بداية حياته وحتى لقاءه لمولاه، وتابع مشكلاتنا بنفس المقياس، وقدّم نفس الشيء من أجل معالجة هذه الأمراض.

بالنسبة لبديع الزمان إن منبع جميع المساوئ في عهده كما هي اليوم هو الجهل، وفقر الضرورة الاختلاف. وكمفكر أدرك عصره بشكل جيد أراد أن يلقح الجماعات التعيسة في تلك الأيام روح العلم. واهتم كثيراً بقضايا فقر الضرورة والمشكلات الاقتصادية. وبحث عن الحلول لاختلافنا، وأصر على الوحدة والاتحاد.

نعم إن أول سبب لأزماتنا الاجتماعية هو الجهل الذي يعد أول سبب لسفالتنا القومية. ولا شك إن الجهل الذي يعني عدم معرفة الله والرسول وإهمال الدين وعدم مشاهدة فعاليتنا المادية والمعنوية التاريخية، هي بدون شك أكبر بلاء ينزل فوق رؤسنا منذ ذلك اليوم وحتى يومنا.. وقد وقف بديع الزمان حياته لمحاربة هذا الميكروب. وبالنسبة له إنه من العبث التفاؤل بنجاة الأمة دون تنوير المجتمع بالعلم والعرفان، وتعويد المجتمع على التفكير المنظم، وقطع الطريق أمام الأفكار المنحرفة.

لقد نجح بديع الزمان في تأسيس حركة تجديد كبيرة في كليات رسائل النور، وأسس مدرسة إسلامية على العلم والحكمة. وقد بدأ بديع الزمان حركة إرشاد وتبليغ جديدة في العالم الإسلامي في العصر الذي انكسفت فيه الأفكار والضمائر. وهو حقاً مجدد في عالم الإرشاد.

ونحن نريد أن نقدم في هذه المقالة المنهج الذي اتبعه بديع الزمان في وظيفة

الإرشاد والتبليغ طيلة حياته، والتي أوصى بها تلاميذه، ومن المناسب أن يتبعها الوعاظ والمرشدون المسلمون الذين يعيشون في هذا العصر وذلك على شكل مواد.

١- على المرشد أن يعيش ما يقوله أولاً:

إن أهم سر لإجراء الإيضاحات الخارقة التي يقوم بها الأستاذ بديع الزمان في آثاره تأثيراً كبيراً على الأفكار والقلوب، هو عيشه لهذه الحقائق بنفسه بشكل كامل. أي لئلا يكون ممن تتعرض له الآيات الكريمة مثل: ﴿تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾[الصف:٢] و ﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ﴾[البقرة:٤٤] لم يقل ما لا يفعل. بل العكس فقد خاطب نفسه أولاً وعاش ذلك بنفسه ثم قاله للآخرين.

وقد خاطب نفسه كثيراً في رسائل النور، وأرجع كثيراً من الأخطاء لنفسه بهدف إعطاء الدروس للآخرين، ورجح هذا الأسلوب في التبليغ لإيقاظ الآخرين بموجب التواضع الخاص بالناس العظام ودون الإساءة إلى مخاطبيه. وكان يخاطب نفسه بالعبارات التالية ''يا نفسي الشرهة''، و ''يا نفسي المغرورة''، ''يا نفسي المسكينة''، وخاطب نفسه أكثر من مخاطبته للآخرين.

*** يجب أن نعيش نحن أولاً:**

''ولو أننا أظهرنا بأفعالنا وسلوكنا مكارم أخلاق الإسلام وكمال حقائق الإيمان، لدخل أتباع الأديان الأخرى في الإسلام جماعات وأفواجاً. بل لربما رضخت دول العالم وقاراته للإسلام.''[6]

*** رسائل النور تسعى لاقناع نفس مؤلفها أولاً:**

''ثم إن رسائل النور تحاول أولاً إقناع نفس مؤلفها ثم تخاطب الآخرين؛ لذا فالدرس الذي أقنع نفس المؤلف الأمارة بالسوء إقناعاً كافياً وتمكّن من إزالة وساوسها وشبهاتها إزالة تامة لهو درس قوي بلا شك، وخالص أيضا بحيث يتمكن وحده من أن يصدّ تيار الضلالة الحاضرة التي اتخذت شخصية معنوية رهيبة -بتشكيلاتها الجماعية المنظمة- بل أن يجابهها ويتغلب عليها.''[7]

٢- الإخلاص في التبليغ والإرشاد

إن الأشخاص الذين يخدمون الدين يجب أن يكونوا مثالاً في الصدق من المنظور العقيدي، والفكري والقولي، والسلوكي. يعني يجب أن يكونوا مخلصين. ويجب أن يقوموا بالإرشاد والتبليغ لأجل اكتساب مرضاة الحق تعالى. ويجب أن لا تكون نيته

بقصد تحقيق المنفعة، والرياء، والمظاهر، والحسد، والحرص، والطمع أو اكتساب مدح وثناء الناس. الرياء والسمعة ضد الإخلاص. والرياء كما جاء في الحديث هو شرك.[8]

طريق رسائل النور هو طريق الإخلاص. والنجاة لا تكون إلا بالإخلاص. والإخلاص هو الشفرة المعنوية لقبول ومقبولية التوفيق في خدمة القرآن. ويبين بديع الزمان إن أكبر قوة لرسائل النور هي الإخلاص. وقد ألف رسالة بهذا المقصد. ووضع عبارة ''يجب أن تقرأ مرة كل ١٥ يوماً على الأقل'' في مستهل هذه الرسالة مما يدل على درجة الأهمية التي أولاها للإخلاص.

*** يجب أن يرى الإرشاد والتبليغ فوق كل شيء:**

''إن طلاب رسائل النور الحقيقيين يرون خدمة الإيمان فوق كل شيء فحتى لو منحوا مرتبة القطبية يفضلون عليها خدمة الإيمان، حفاظاً على الإخلاص.''[9]

*** غايتنا الإخلاص واجتناب الرياء**

''أخي العزيز الفطن!

نحن نهرب هروباً من احترام الناس إيانا وتوقيرهم لنا وحسن ظنهم بنا وإكرامهم لنا وإعجابهم بنا، وذلك بمقتضى مسلكنا.

فاللهاث وراء الشهرة التي هي رياء وعُجب، ودخول التاريخ بفخر وبهاء، وهو عُجب ذو فتنة وحب الظهور وكسب إعجاب الناس. كل ذلك مناف ومخالف للإخلاص الذي هو أساس من أسس مسلك النور وطريقه.

فنحن نجفل ونهرب مذعورين من هذه الأمور باعتبارنا الشخصي؛ ناهيك عن الرغبة فيها.

ولكننا نرجو من رحمة الله الواسعة إظهار رسائل النور النابعة من فيض القرآن الكريم، والتي هي لمعات إعجازه المعنوي، ومفسرة حقائقه وكشافة أسراره... فنرجو من رحمته تعالى الإعلان عن هذه الرسائل والرواج لها وشعور الناس بحاجتهم إليها وإظهار قيمتها الرفيعة جداً، وتقدير الناس لها وإعجابهم بها، وتبيان كراماتها المعنوية الظاهرة جداً وإظهار غلبتها على الزندقة بجميع أنواعها بسر الإيمان، فنحن نريد إعلام هذه الأمور وإفهام الناس بها وإظهار تلك المزايا، ونرجو ذلك من رحمته تعالى.''[10]

*** عدم جعل الإخلاص في الإرشاد والتبليغ آلة لأى شيء**

''بل قد جرحت أكثر من مائة مرة مشاعر طلاب النور الذين يحملون حسن ظن مفرط بشخصي، يشهد على هذا ما كتبته في ''رسائل النور'' وحقائقها المتعلقة بشخصي، والمنصفون ممن يختلفون إليَّ بجد، والأصدقاء جميعاً. فأنا لست المالك لبضاعة النور، بل لست إلا دلالاً ضعيفاً بسيطاً في حانوت مجوهرات القرآن.

كما إنني بتصديق من إخواني المقربين، وبما شاهدوا من أماراتها العديدة، عازم على أَلاّ أضحي بالمناصب الدنيوية وأمجادها الزائفة وحدها، بل لو أسند إليّ -فرضاً- مقامات معنوية عظمى، فإنني أضحى بها أيضاً لخدمتي للإيمان والقرآن خشية اختلاط حظوظ نفسي بإخلاصي في الخدمة. وقد قمت بهذا فعلاً...''[11]

٣- وظيفة المبلغ هي التفهيم، وجعل الآخرين يقبلون التبليغ موكول إلى الله

يبين الله تعالى أن الوظيفة التي تقع على عاتق الأنبياء هي التبليغ فقط، أما قبول التبليغ أو عدم قبوله فهذا موكول إلى الله عز وجل حيث يقول: ﴿مَا عَلَى الرَّسُولِ إِلا الْبَلاَغُ﴾المائدة:٩٩ كما خاطب الرسول ﷺ ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللهَ يَهْدِي مَن يَشَاء...﴾القصص:٥٦ ﴿فَذَكِّرْ إنما أَنتَ مُذَكِّرٌ. لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ.﴾الغاشية:٢١-٢٢ إن وظيفة من يقوم بالتبليغ والإرشاد هي الدعوة الحسنة وإيصال الأحكام الإلهية لمخاطبيه. أما الهداية فهي من أمور الله تعالى. وذلك لأن الداعية لا يملك القوة التي تجبر الناس على الإيمان وهو ليس مسؤولاً عن ذلك.

*** لا يتدخل بأمور تخص الله؛**

''أَما مسلك رسائل النور فإنه يؤدي مهمته ولا يتدخل بأمور تخص الله سبحانه، فوظيفة طالب النور التبليغ، أما قبول الآخرين لتبليغه فموكول إلى الله سبحانه...''[12]

٤- التطوع

التطوع هو، القيام بالخدمة دون غرض أو عوض، يعني دون انتظار المنفعة والأجر. التطوع يختلف عن الإخلاص والصميمية. الرياء هو ضد الإخلاص، والمنفعة والأجر ضد التطوع. وكي يبين أن الإرشاد والدعوة يجب أن تتم بلا أجر نرى أن معظم الأنبياء قالوا: ﴿وَيَا قَوْمِ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مَالاً إِنْ أَجْرِيَ إِلاَّ عَلَى اللهِ﴾،هود:٢٩ ﴿يَا قَوْمِ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ أَجْرِيَ إِلاَّ عَلَى الَّذِي فَطَرَنِي...﴾هود:٥١ ويتضح من ذلك أنه لا يمكن انتظار المنفعة المادية والمعنوية من الناس في الإرشاد والتبليغ. وأساسها مرضاة الله. وبديع

الزمان يتبع الأنبياء في نشر الحق، ولا يطلب الأجر والأجرة مقابل خدماته. وبالنسبة له إن هذه الدنيا هي دار الخدمة، وليست دار الأجر.

*** عدم أخذ الأجرة مقابل التبليغ والإرشاد**

''وعدم قبول شئ مقابل ما يقوم به المرء من خدمات في سبيل الدين، بل لا يطلبه قلبا. وإذا حصل شيء من هذا القبيل فليعده إحساناً إلهياً محضاً، من دون البقاء تحت منة الناس. إذ ما ينبغي أن يسأل شيء في الدنيا لقاء خدمات في سبيل الدين، لئلا يضيع الإخلاص. فالأمة وإن كان عليها أن تضمن معاش هؤلاء، كما أنهم يستحقون الزكاة، إلا أن هؤلاء العاملين لا يسألون الناس شيئاً وربما يوهب لهم، حتى لو وهب لهم شيء فلا يأخذونه لقيامهم في خدمة الدين فالأفضل إيثار من هم أهل لها على النفس، والرضى بما قسم الله من رزق والقناعة به.''[13]

*** الانتساب للدولة من أجل الخدمة، وليس من أجل الحصول على مرتب**

''إن خدمة رجل مثلي للدولة لا تكون إلا بإسداء النصائح. وهذه لا تتم إلا بحسن تأثيرها، وهذا لا يتم إلا بترك المصالح الشخصية، فإنى معذور إذن عندما أرفض المرتّب.''[14]

٥- المحافظة على الأخوة، والوحدة، والإتحاد في التبليغ والإرشاد

إن الله يأمر المؤمنين بالإتحاد والتعاون على فعل الخير. ﴿وَاعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ اللّهِ جَمِيعًا وَلاَ تَفَرَّقُواْ﴾آل عمران:١٠٣ ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى الْبرِّ وَالتَّقْوَى﴾المائدة:٢ ويطلب بديع الزمان من الجماعات والأشخاص الذين يقومون بالإرشاد والتبليغ أن يتحدوا ويتعاونوا، وأن لا ينتقدوا ولا يغتابوا الأشخاص والجماعات الذين يقومون بالخدمات الأخرى.

أ- المحافظة على الوحدة والاتحاد بين الأخوة في التبليغ والإرشاد

العلاقة في رسائل النور هي علاقة حسبية، صميمية، وأخوة حقيقية. طلبة النور هم أخوة وأصدقاء في درس القرآن. معينين ومظاهرين لبعضهم. ويعبر عن هذه الحالة في رسائل النور بتعبير ''الفناء في الإخوان'' يعني أنهم يفنون في بعضهم، ويعيشون مزية وشعور الأخ فكرياً. والإيمان يقتضي أخوة المحبة الإسلامية. والروابط التي تؤسس الوحدة، والاتفاق والامتزاج هي بقدر الأسماء الآلهية.

''ينبغي للقريبين من دائرة رسائل النور من أرباب العلم وأهل الطريقة وأصحاب

المشارب الصوفية الانضمام إلى تيار النور، ليمدّوه بما لديهم من رأسمال سابق، والسعي لتوسيع دائرته وحث طلابه وبث الشوق في نفوسهم، وإذابة الأنانية وإلقائها كقطعة ثلج في حوض الماء السلبيل للجماعة ليغنم ذلك الحوض الكوثري كاملاً. وإلا فمن يفتح نهجاً جديداً ويسلك طريقاً آخر، يضرّ هذه الجادة القرآنية المستقيمة القويمة من دون أن يشعر، ويتضرر هو بنفسه أيضاً، بل قد يكون عمله نوعاً من العون للزندقة دون شعور منه.''[15]

*** وفي مثل هذا الوقت إن أكبر قوتنا هي إمداد بعضنا بعضاً.**

''إن الجهاد المعنوي لطلاب النور ضد هذا التيار الجارف يعدّ -بإذن الله- جهاداً عظيم الثواب، إذ فيه قبس من جهاد الصحابة الكرام رضوان الله عليهم الذين يثابون بعمل قليل ثواباً عظيماً.

فيا إخوتي الأعزاء:

في مثل هذه الأوقات العصيبة، وأمام هذه الأحداث الجسام، فإن أعظم قوة لدينا -بعد قوة الإخلاص- هي قوة ''الإشتراك في الأعمال الأخروية'' إذ يكتب كل منكم في دفتر أعمال إخوته حسنات كثيرة مثلما يرسل بلسانه الإمداد والعون إلى قلعة التقوى وخنادقها.''[16]

ب- السلوك الذي يجب اتباعه تجاه المشارب والمناهج الأخرى التي تقوم بالتبليغ والإرشاد

وقد عرض بديع الزمان حلولاً سليمة حتى ليومنا هذا -حسب قناعتنا- في هذه القضية.

فقبل كل شيء يرى أن وجود الجماعات المختلفة ضروري ومفيد. ويبحث عن وحدة الغاية بين الجماعات. ولا شك أنه يجب أن تكون هذه الغاية إيجابية وبناءة. ويجب أن تكون في خدمة الدين والأمة. وإذا وجدت هذه لا يُسأل عن الوحدة في المنهج والمشرب. ويقول إن الاتحاد في هذه الحالة يجلب الضرر وليس النفع، وسيدفع الناس للقول ''هذا لا يهمني ليفكر به الآخرون'' ويصر على وجوب عدم انتقاد الطلبة والقائمين بوظيفة التبليغ لبعضهم.

*** التحرك بشكل إيجابي:**

١- العمل الإيجابي البنّاء، وهو عمل المرء بمقتضى محبته لمسلكه فحسب، من

دون أن يرد إلى تفكيره، أو يتدخل في علمه عداء الآخرين أو التهوين من شأنهم، أي لا ينشغل بهم أصلاً.

٢- بل عليه أن يتحرى روابط الوحدة الكثيرة التي تربط المشارب المعروضة في ساحة الإسلام -مهما كان نوعها- والتي ستكون منابع محبة ووسائل أخوة واتفاق فيما بينها فيتفق معها.

٣- واتخاذ دستور الإنصاف دليلاً ومرشداً، وهو أن صاحب كل مسلك حق يستطيع القول: ''إن مسلكي حق وهو أفضل وأجمل'' من دون أن يتدخل في أمر مسالك الآخرين، ولكن لا يجوز له أن يقول: ''الحق هو مسلكي فحسب'' أو ''إن الحسن والجمال في مسلكي وحده'' الذي يقضي على بطلان المسالك الأخرى وفسادها.

٤- العلم بأن الإتفاق مع أهل الحق هو أحد وسائل التوفيق الإلهي وأحد منابع العزة الإسلامية.

٥- الحفاظ على الحق والعدل بإيجاد شخص معنوي، وذلك بالاتفاق مع أهل الحق للوقوف تجاه أهل الضلالة والباطل الذين أخذوا يغيرون بدهاء شخص معنوي قوي في صورة جماعة على أهل الحق -بما يتمتعون به من تساند واتفاق- ثم الإدراك بأن أية مقاومة فردية -مهما كانت قوية- مغلوبة على أمرها تجاه ذلك الشخص المعنوي للضلالة.

٦- ولأجل إنقاذ الحق من صولة الباطل:

٧- ترك غرور النفس وحظوظها.

٨- وترك ما يُتصور خطأً أنه من العزة والكرامة.

٩- وترك دواعي الحسد والمنافسة والأحاسيس النفسانية التافهة.''[17]

جـ- طراز السلوك تجاه المشايخ والأساتذة والعلماء:

*** يجب عدم مناقشة الأساتذة والمشايخ**

''من المحتمل جداً أن يُحرِّكَ ضدنا مشايخ أو علماء متظاهرون بالتقوى، مخدوعون بأنفسهم أو بتحريض غيرهم لهم.. وتجاه موقف كهذا، لابد لنا من المحافظة على وحدتنا وتساندنا، وعدم تضييع الوقت معهم في الجدل والنقاش الفارغ.''[18]

*** بلغوا سلامي لذلك الواعظ والعالم**

''بلّغوا ذلك العالم الواعظ عني السلام. فإنني أقبل انتقاده لشخصي واعتراضه عليّ بتقدير وبرحابة صدر. وأنتم بدوركم لا تسوقوا ذلك العالم الفاضل ولا أمثاله من العلماء إلى المناقشة والمناظرة. ولو حدث تعدّ وتجاوز علينا، فلا تقابلوه حتى بالدعاء عليهم. إذ إن ذلك المتجاوز أو المعترض أيا كان، هو أخونا من حيث الإيمان لأنه مؤمن. حتى لو عادانا، فلا نستطيع أن نعاديه بمثل عدائه، حسب ما يرشدنا إليه مسلكنا. لأن هناك أعداء شرسين وحيّات لاذعة ونحن لا نملك سوى النور، لا الصولجان. النور لا يؤلم، بل يلاطف بضيائه، ولا سيما الذين هم ذوو علم فلا تثيروا غرورهم العلمي إن كانوا على غرور وأنانية، بل استرشدوا ما استطعتم بدستور الآية الكريمة: ﴿وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا﴾. الفرقان:٧٢

ثم إن ذلك الشخص المحترم، إن كان داخلاً في دائرة رسائل النور، واشترك في استنساخ الرسائل، فهو إذن ضمن تلك الدائرة فاصفحوا عنه حتى لو كان يحمل خطأ فكرياً.

فليس مثل هذا الشخص الفاضل من ذوي الدين والتقوى المنسوبين إلى الطرق الصوفية بل حتى من المؤمنين المنسوبين إلى فرق ضالة، لا ينبغي أن نثير معهم نزاعاً وخصاماً في هذا العصر العجيب، بل لا نجعل نقاط اختلاف ونزاع موضع نقاش مع المؤمنين بالله واليوم الآخر حتى لو كانوا من النصارى.''[19]

٦- البدء بالعمل من الأساس

المبدأ الأساسي للدعوة الإسلامية هو ''البدء بالعمل من الأصول والنزول إلى الفروع بالتدريج.'' لذلك على الدعاة المسلمين أولاً أن يزيلوا التشوش الإيماني الذي وقع فيه المسلمون والناس وأن يقيموا أسس التوحيد. والإسلام لا يقوم إلا على عقيدة سليمة. وإن الإشتغال بالفرعيات دون تحقيق ذلك لا يجلب للدعوة أية فائدة. وإن كون الآيات المكية التي هي أول ما نزلت من القرآن تتعلق بالإيمان يدل على أهمية هذه المسألة. وبديع الزمان مثل جميع المفكرين المسلمين يرى أن أكبر حقيقة في الدنيا هي حقيقة الإيمان والتوحيد. لذلك أعطى الأولوية للقضايا الإيمانية في وظيفة التبليغ والإرشاد، وبيّن باستمرار أن هذه هي الوظيفة الأولى والأساسية لرسائل النور. وبالنسبة له إن أكبر مشكلة لهذا العصر هي عدم الإيمان. وقد كافح طيلة حياته ضد جميع العوائق التي تمنع انكشاف أنوار الحقيقة.

*** رسائل النور تعطي درساً في الحقائق القدسية الإيمانية للإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله وباليوم الآخر.**

''فلئن رُجّحت المسائل البسيطة للنحو والصرف التى يقرأها الطلاب مثل: نصر نصرا ونصروا... على الأوراد التى تُذكر في الزوايا، فكيف برسائل النور الحاوية على الحقائق الإيمانية المقدسة في ''آمنت بالله وملائكته وكتبه ورسله وباليوم الآخر.'' ففي الوقت الذى ترشد رسائل النور إلى تلك الحقائق بأوضح صورة وأكثرها قطعية وثبوتاً حتى لأعتى المعاندين المكابرين من الزنادقة وأشد الفلاسفة تمرداً، وتلزمهم الحجة، كم يكون على خطأ من يترك هذه السبيل أو يعطلها أو لا يقنع بها ويدخل الزوايا المغلقة دون استئذان من رسائل تبعاً لهواه! ويبين في الوقت نفسه مدى كوننا مستحقين لهذه الصفعة، صفعة الرحمة والتأديب.''[20]

*** وظيفتنا إنقاذ المسلمين من الإعدام الأبدي للموت**

''نعم! لو كنت على دأبي السابق في أن أردّ كل إهانة وتحقير حفاظاً على عزة العلم... ولو لم تكن وظيفتي الحقيقية منحصرة في أمور الآخرة وحدها وموجهة لإنقاذ المسلمين من الإعدام الأبدي للموت... لو كان سعيي هو لأجل الحصول على حطام الدنيا واللّهاث وراء شؤون السياسة السلبية، كما هو الشغل الشاغل للمعترضين عليّ... لكان هؤلاء المنافقون الذين يعملون في سبيل الفوضوية والإرهاب سبباً في حدوث عشرات الحوادث من أمثال 'منمن' وحادثة 'الشيخ سعيد'.''[21]

٧- الخواص التي يجب الانتباه إليها لدى أداء الإرشاد والتبليغ

لقد رفض القرآن المجادلة التي تتم بجهل وبإدّعاءات فارغة دون طرح الأدلة المعقولة. وأمر بالدعوة على أساس الحكمة والموعظة الحسنة، ومجادلة قساة القلوب بأفضل الأساليب وأجملها وليونة اللسان ﴿وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾،[النحل:١٢٥] ﴿وَلَا تُجَادِلُوا أهل الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ...﴾[العنكبوت:٤٦] ﴿فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى﴾.طه:[٤٤]

إنه من الصعب جداً الحصول على نتيجة إيجابية بالمناقشات. ولا يمكن فرض الأفكار على الطرف الآخر مهما كانت حسنة ومقبولة إلا إذا عرضت بشكل حسن ولين. لذك طلب بديع الزمان أن يبقى التبليغ والإرشاد بعيداً عن النقاشات وأوصى باستخدام اللسان الجميل. لأنه لا مكان للحدة، والغوغاء، والنقاش، والغضب في التبليغ. ومن هذا المنظور لم يبدأ بديع الزمان النقاش، ولم يدخل في أية غوغاء، لكنه وجد نفسه في بعض الأحيان وسط الغوغاء والنقاشات. وأحياناً صار نفسه مركزاً

للغوغاء والمناقشة دون إرادته. وفي تلك الحالة تحمل مسؤلية إخماد الغوغاء والنقاش.[22]

*** أهمية القول الحسن في الإرشاد والتبليغ**

''لما كان القرآن الكريم يسوق جزالة البيان وبلاغة الكلام مقدماً ويكررهما كثيراً، فكأنه يرمز إلى أن البلاغة والجزالة في الكلام -وهما من أسطع العلوم والفنون- سيلبسان أزهى حللهما وأروع صورهما في آخر الزمان، حتى يغدو الناس يستلهمون أمضى سلاحهم من جزالة البيان وسحره، ويستلمون أرهب قوتهم من بلاغة الأداء، وذلك عند بيان أفكارهم ومعتقداتهم لإقناع الآخرين بها، أو عند تنفيذ آرائهم وقراراتهم...''[23]

*** غلبة المتحضرين من حيث الأمور الدينية تتم بالاقناع**

''إن الظهور على المدنيين من منظور الدين إنما هو بالإقناع وليس بالإكراه. وبإظهار الإسلام محبوباً وسامياً لديهم وذلك بالامتثال الجميل لأوامره وإظهار الأخلاق الفاضلة.''[24]

*** إن سبب عدم تأثير نصائح الناصحين هو:**

''ومن هنا فإني أخال أن سبباً من أسباب عدم تأثير نصيحة الناصحين في هذا الزمان هو: أنهم يقولون لسيئي الخلق: لا تحسدوا. لا تحرصوا. لا تعادوا. لا تعاندوا. لا تحبوا الدنيا. بمعنى أنهم يقولون لهم غيّروا فطرتكم. وهو تكليف لا يطيقونه في الظاهر. ولكن لو يقولون لهم: اصرفوا وجوه هذه الصفات إلى أمور الخير، غيّروا مجراها، فعندئذ تجدي النصيحة وتؤثر في النفوس، وتكون ضمن نطاق إرادة الإنسان واختياره.''[25]

٨- عدم الفتور في الوظيفة الباقية وترك الملعنة

على الذين يقومون بخدمة الدين أن يكونوا مثل الأنبياء وصحابتهم دون فتور أو كلل أو ضعف ﴿وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُواْ لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللهِ وَمَا ضَعُفُواْ وَمَا اسْتَكَانُواْ...﴾ آل عمران:١٤٦ كما يجب عليهم أثناء قيامهم بوظيفة التبليغ أن لا يتركوا التبليغ ويهتموا بما لا يعنيهم. وقد قال الرسول ﷺ: ''**من حُسن إسلام المرء تركُه ما لا يَعنيه.**''[26] ويقول الأستاذ سعيد النورسي في هذا الموضوع.

*** ''إخوتي الأعزاء!**

اعلموا يقيناً أن الوظيفة التي ينشغل بها طلاب رسائل النور مسألة أجلّ وأعظم من

أعظم مسائل الكرة الأرضية قاطبة، فلا تفتروا في مهمتكم الباقية، ملتفتين إلى مسائل دنيوية مثيرة للاهتمام، اقرأوا كثيراً 'المسألة الرابعة' من رسالة ''الثمرة'' كيلا تخور عزائمكم وتضعف قوتكم المعنوية.''[27]

*** يجب أن نحصر كل قوتنا وفكرنا ووقتنا بالوظيفة القدسية.**

''لابد أن نحصر أوقاتنا وجميع قوتنا واهتمامنا في وظيفتنا المقدسة. ولابد أن نعد كل ما هو خارج عنها أموراً لا تعنينا بشئ، فلا نضيّع وقتنا بها. لأننا نملك النور وحده، لا المطرقة والصولجان، فلا يبدر منا تعدٍ على حقوق أحد قطعاً، ولكن إذا ما اعتدي علينا، نظهر النور ونبينه. فنحن في حالة نوع من دفاع نوراني.''[28]

*** عندما يصيب المخلصين في العمل فتوراً يتعرضون لصفعة مشفقة.**

''إن العاملين المخلصين في هذه الخدمة القرآنية لما يعتريهم الفتور والإهمال في العمل يأتيهم التحذير والتنبيه فيتلقون لطمة ذات رأفة وعطف.''[29]

٩- الإيثار

الإيثار يعني التفكير بالآخرين، وترجيح حقوق الآخرين ومنفتهم على حقوق ومنفعة النفس. والإيثار هو من أهم مميزات المرشد. والداعية لا يتحدث عن نفسه وإنما يتحدث دوماً وبكل فرصة عن دعوته. وفي الأصل يوجد معنى التفكير بمنفعة الآخرين ونجاتهم في مفهوم الإرشاد والتبليغ والدعوة. وعلى العاملين في الإرشاد والتبليغ أن يقدموا التضحيات المادية والمعنوية. وقد جاء في القرآن الكريم حول المؤمنين المؤثرين ﴿...وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾.الحشر:٩

*** التضحية بالراحة، والشرف، والحيثية وحتى بالحياة عند الضرورة...٣٠**

*** ترك الأنانية في الإرشاد والتبليغ**

''إن مسلكنا ينحصر في هذا الوقت في خدمة الحق وحده وترك الأنانية كلياً ولا يحصل بغير ذلك قطعاً. وقد اقتنعنا بهذا قناعة تامة، كما أن نفسي الأمارة منذ عشرين سنة اضطرت إلى الرضوخ لهذا المسلك.''[31]

١٠- الصبر على المصاعب التي تواجه خلال الإرشاد والتبليغ

إن أكبر معيار للقوة والقدرة في سجية أي مرشد هو الصبر ومقاومة المنة وتحمل المشقات والمصائب. إن أصالة ونجابة المرشد تتجلى في المحنة ومشقاتها.

إن المرشد الذي يوصي بالصبر والتحمل، يجب أن يكون قد تعرض للمشقات

والمحنة، وأن يكون قد تعرض لأذى وصبر. وذلك كي يصير دليلاً حقيقياً للبشرية. مهما كان الاضطراب والمشقات شديدة فإن المرشد يستمر في إرشاده وخدماته يأخذ الحذر والتحمل.

والصبر من الوظائف الدينية للمسلمين. وتوجد أكثر من تسعين آية في القرآن تتحدث عن الصبر. وبديع الزمان هو مرشد أكبر عاش هذه الحقيقة بكمالها، وأوصاها لتلاميذه وللعاملين في التبليغ والإرشاد.

*** الصبر على المشقات**

"وما دمنا نعمل من أجل حقيقة هي من أهم الحقائق وأجلّها، وأشدها ثبوتاً ورسوخاً؛ ولا يمكن تقييمها أو تقديرها بأي قيمة مادية مهما كانت، ويهون بذل النفس والروح والصديق والحبيب، بل الدنيا بأسرها في سبيل تحققها، فلابد إذاً من أن نصمد بكمال المتانة والصبر تجاه جميع الويلات والمحن التي قد تنزل بنا، وأن نواجه بصدر رحب جميع مضايقات الأعداء."[32]

*** إننا مكلفون بالصبر والشكر تجاه كل مشقة داخل خدمة الإيمان**

"إن وظيفتنا هي الحركة الإيجابية البناءة وليست الحركة التخريبية الهدامة. بل تنحصر وظيفتنا في الخدمة الإيمانية وفق رضى الله سبحانه من دون التدخل فيما هو موكول أمره إلى الله. ونحن مكلفون بالتحمل والصبر في أثناء أداء خدمتنا الإيمانية التي تنتج الحفاظ على الأمن والنظام."[33]

١١- الإرشاد والتبليغ يتم بوجود السكينة والأمن واستمرارهما

إن الأستاذ بديع الزمان، بتضحيته، وشجاعته، ومرحمته، وشفقته، وكفاحه المعنوي ما يقارب القرن من الزمان أبعد تلاميذه عن جميع الحركات التي تؤدي إلى الفتنة والفساد، والنفاق والشقاق، وتفسد الأمن، كما أبعدهم عن السلوك الذي يوقع المسلمين ببعضهم. كما أنه لم يتأخر عن إيقاظ المسؤولين في الإدارة يومها في المواضيع التي تحمل أهمية حياتية.

إننا نشاهد هذا المنهج في الإرشاد عند الأقطاب، والمجددين، والمجتهدين القدماء. فمثلاً رغم السجن والمشقات التي تعرض لها الإمام الرباني، والإمام الأعظم أبو حنيفة، وأحمد بن حنبل لم يتركوا حركاتهم الإيجابية. ﴿وَلاَ تُفْسِدُواْ فِي الأَرْضِ بَعْدَ إِصْلاَحِهَا...﴾ الأعراف:٥٦

﴿وَاللهُ لاَ يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾، المائدة:٦٤ ﴿... وَأَصْلِحْ وَلاَ تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ﴾ الأعراف:١٤٢

إن بديع الزمان اعتقد أن الأمة التي تتمزق بوقوعها في النفاق والتفرقة لن تفلح أبداً لذلك فقد أعطى للمحافظة على الأمن أهمية كبيرة. وقد عرض ذلك على الأنظار مراراً في رسائل النور.

وهذه بعض الأمثلة.

*** الإيمان، لا يفسد الأمن وإنما يحققه**

''ن أجزاء رسائل النور التي ليست سوى علوم إيمانية، تؤسس الأمن والنظام، ذلك لأن الإيمان الذي هو منبع الخُلُق الحسن والخصال الحميدة ومنشؤها، لن يخلّ بالأمن بل يحققه ويضمنه. أما ما يخل بالأمن فهو عدم الإيمان بسوء خُلُقه وسجيته...''[34]

*** إيقاف الفوضى والمحافظة على الأمن في خدمة الإيمان[35]**

١٢- إجتناب السياسة في التبليغ والإرشاد

لقد اشتغل بديع الزمان في المرحلة التي سماها مرحلة سعيد القديم قبل تأليف رسائل النور بالسياسة لدرجة ما بقصد خدمة الدين والمقدسات، لكنه عندما شاهد أن السياسة بدأت تنحرف عن غايتها، وانقلبت نحو الصراع من أجل المنفعة، وفتحت الطريق للتطرف والتفرقة، قرر أنه لا يمكن أن يخدم الإيمان والقرآن بهذا الطريق، وصرف نظره عن عالم السياسة.

إن أحد الأسباب المهمة لمنع بديع الزمان تلاميذة من السياسة هو أن السياسة تفتح طريق الخلاف وتفسد الأخوة الإسلامية. ويعبر عن قلقه في هذه الخصوص على الشكل التالي:

''حذار... حذار... أيها الإخوة من أن تقذفكم التيارات الدنيوية ولاسيما السياسية منها ولاسيما التيارات التي تلفت الأنظار نحو الخارج، إلى التفرقة، إذ تجعلكم بعد ذلك الدستور الشيطاني والعياذ بالله: ''الحب في السياسة والبغض في السياسة'' بدلاً من الدستور الرحماني ''الحب في الله والبغض في الله'' إذ عندها تعادون أخاً لكم هو في الحقيقة كالملاك وتولون الحب لرفيق في السياسة وهو كالخناس وتبدون الرضا لظلمه، وتشاركونه في جنايته ضمناً. فحذار حذار من هذا!''[36]

وقد جرت حادثة بهذا المعنى أدت إلى ابتعاده تماماً عن السياسة، وننقلها على الشكل التالي:

''رأيت ذات يوم رجلاً عليه سيماء العلم يقدح بعالم فاضل، بانحياز مغرض حتى بلغ به الأمر إلى حد تكفيره، وذلك لخلاف بينهما حول أمور سياسية، بينما رأيته قد أثنى -في الوقت نفسه- على منافق يوافقه في الرأي السياسي!. فأصابتني من هذه الحادثة رعدة شديدة، واستعذت بالله مما آلت إليه السياسة وقلت: ''أعوذ بالله من الشيطان والسياسة.''[37]

*** لا توجد لنا أية علاقة مع أهل السياسة**

''إن الذين يتعرضون لنا إنما يتعرضون للإيمان مباشرة ويتعدون عليه. فنحن نحيلهم إلى العلي القدير ورغم أنه لا علاقة لنا بأهل السياسة قطعاً، فليعلموا جيداً أنه ليست إلا أسس رسائل النور التي تحافظ على هذه الأمة من التردي والسقوط في الهاوية والفوضى والإرهاب.''[38]

*** السياسة طريق خطير ويمنع أهم الخدمات اللازمة**

''لقد خاض سعيد القديم غمار السياسة ما يقارب العشر سنوات علّه يخدم الدين والعلم عن طريقها. فذهبت محاولته أدراج الرياح، إذ رأى أن تلك الطريق ذات مشاكل، ومشكوك فيها. وأن التدخل فيها فضول -بالنسبة إليّ- فهي تحول بيني وبين القيام بأهم واجب. وهي ذات خطورة. وأن أغلبها خداع وأكاذيب. وهناك احتمال أن يكون الشخص آلة بيد الأجنبي دون أن يشعر.''[39]

١٣- الاستفادة من مختلف الوسائط في التبليغ والإرشاد

إن للوسائط دور مهم في تأثير الدعوة إلى جانب قابلية الداعية ومزياته ونشاطاته. لذلك يجب على الداعية أن يراجع جميع الوسائط التي تسهل عمله وتؤثر على النتيجة. وقد استفاد بديع الزمان في حياته من جميع الوسائط في الإرشاد والتبليغ، وطالب باستخدام الصحف في ذلك.

*** على الصحف أن تجعل إعلاء كلمة الله أساساً لها.**

''إن اساس هذا الإتحاد يمتد من الشرق إلى الغرب ومن الجنوب إلى الشمال.. ومركزه: الحَرمان الشريفان... وجهة وحدته: التوحيد الإلهي... عهده وقَسَمَه: الإيمان... نظامه الداخلي: السنة النبوية الشريفة... قوانينه: الأوامر والنواهي الشرعية... مقر اجتماعاته: جميع المدارس والمساجد والزوايا... ناشرُ أفكار تلك الجماعة نشراً

خالداً إلى الأبد: جميع الكتب الإسلامية وفي المقدمة القرآن الكريم وتفاسيره 'ورسائل النور أحد تلك التفاسير في زماننا هذا' وجميع الصحف الدينية والجرائد النزيهة التي تهدف إلى إعلاء كلمة الله... ومنتسبوه: جميع المؤمنين... رئيسه: فخر العالمين ﷺ.''[40]

١٤- إن الله ينصر من يخدم دينه

يقول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾.محمد:٧

﴿وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ...﴾الحج:٤٠ لذلك نجد بديع الزمان يشجع المتكاسيلن في خدمة الدين إستناداً على هذه الآيات ويبين أن الله ينصر من يخدم دينه.

''يبرر أحد طلاب النور، عدم سعيه لرسائل النور لازدياد هموم العيش.

فقلنا له: لأنك لا تسعى ''لرسائل النور ازدادت عليك هموم العيش. لأن كل طالب في هذه المناطق يعترف -وأنا كذلك أعترف- أنه كلما سعينا لرسائل النور وجدنا السهولة في الحياة والانشراح في القلب واليسر في المعيشة.''[41]

١٥- المشورة

للشورى مكانة مهمة في الدين الإسلامي. ويدل على ذلك وجود سورة في القرآن بهذا الإسم، ووجود آيات كثيرة حول ذلك. ﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ﴾الشورى:٣٨ كما جاء في القرآن مخاطباً الرسول ﷺ ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ﴾.آل عمران:١٥٩ وقد امتثل بديع الزمان لهذه الأوامر الإلهية واستشار من حوله وأمر أهل الخدمة بالاستشارة.

*** حافظوا على أصواتكم من التشتت بالمشورة الشرعية**

''حذار حذار... لا تفسحوا المجال لانتقاد بعضكم البعض الآخر فيستغل أهل الضلالة اختلاف مشاربكم وعروقكم الضعيفة وحاجاتهم المعايشة. صونوا آراءكم من التشتت بإقامة الشورى الشرعية بينكم، إجعلوا دساتير رسالة الإخلاص نصب أعينكم دائماً. وبخلاف هذا فإن اختلافاً طفيفاً في هذا الوقت يمكن أن يلحق أضراراً بليغة برسائل النور.''[42]

*** يجب أن تكون مع المشورة الحذر والسكون وعدم البلبلة**

''أنجزوا أعمالكم بالشورى مع الأخذ بالحذر وبعيداً عن القلق والاضطراب ودون إحداث الضجيج.''[43]

١٦- إصلاح الوعاظ، ورجال العلم، والمشايخ الذين لهم مكانة مهمة في التبليغ والإرشاد

الوعاظ ورجال العلم والمشايخ لهم أهمية كبيرة في نظام بديع الزمان. ويصف الواعظ بـ ''المدرس العمومي''. ويجب إصلاح المؤسسات التي تلعب دوراً مهماً في تخلفنا والتي شرحت بعض القضايا بشكل خاطئ للشعب وعلى رأسها مفهوم التوكل. وبهذا يتم نقل الرسالة الإسلامية إلى الشعب بشكل أسلم. وحسب رأي بديع الزمان، إن أكبر خدمة لجعل العلم ملك الشعب، وتنبيه المشاعر الدينية والعقدة الحياتية للكتل الشعبية الكبيرة، وتنوير الأفكار والضمائر، تقع على عاتق الوعاظ ورجال العلم والمشايخ.

أ- كيف يجب أن يكون الواعظ

''لابد أن يكون الواعظ حكيماً، وذا دراية بالمحاكمات العقلية.

نعم! إن الوعاظ الذين لا يملكون موازين، ويطلقون كلامهم جزافاً، قد سببوا حجب كثير من حقائق الدين النيّرة. فمثلاً: الزيادة التي زيدت في معجزة انشقاق القمر الباهرة بالمبالغة في الكلام، وهي أن القمر قد نزل من السماء ودخل تحت إبط الرسول ﷺ ثم رجع إلى السماء. هذه الزيادة، جعلت تلك المعجزة الباهرة كالشمس، مخفيةً كنجم السهي، وجعلت ذلك البرهان للنبوة الذي هو كالقمر، مخسوفاً، وفتحت أبواب حجج تافهة للمنكرين.

حاصل الكلام:

يجب على كل محبّ للدين وعاشق للحقيقة: الاطمئنان بقيمة كل شيء وعدم إطلاق الكلام جزافاً وعدم التجاوز. إذ المبالغة افتراء على القدرة الإلهية. وهي فقدان الثقة بالكمال والحسن في العالم واستخفاف بهما واللذين ألجآ الإمام الغزالي إلى القول: ''ليس في الإمكان أبدع مما كان.''[44]

ب- وضع رجال العلم في التبليغ والإرشاد

*** التشويق، والإرشاد، والنصيحة هي من شأن العلم**

''إن كثيراً جداً من الناس يمضي بميل السيادة والآمرية والتفوق على الآخرين، فيجعل العلم المشوّق الناصح اللطيف، وسيلة قسر وإكراه لاستبداده وتفوقه، فبدلاً من أن يخدم العلم يستخدمه. وعلى هذا فقد دخلت الوظائف بيد من ليسوا لهاً أهلاً، ولاسيما الوظائف في المدارس الدينية، فآلت إلى الاندراس نتيجة هذا الأمر.''[45]

جـ - آراءه حول المشايخ في الإرشاد والتبليغ

*** شأن المشيخة التواضع والمحوية**

''إن شأن الولاية والمشيخة والعظمة: التواضع والتجرد، وهما من لوازم الفضيلة وخصائص الكمال ورفعة الشأن، لا التكبر والتحكم.. فمن تكبّر فهو صبي متشيّخ وطفل متكهّل، فلا تعظّموه...''[46]

*** الوظيفة الأصلية للمشايخ هي خدمة الإتحاد الإسلامي والإرشاد إليه:**

''لقد كنتَ -سابقاً- تودّ الشيوخ جميعاً وتحبهم بل تحسن الظن حتى بالمتشيخين، فما هذا الهجوم على قسم من المتشيخين الذين ابتلوا بالبدع؟

ج: قد يرد العداء من فرط المحبة وشدتها! نعم، فكما كنت أحبّهم لأجل نفسي، فقد عشقتهم لنفس الإسلام أضعاف أضعافها، [لقد انتقش في سويداء قلوبهم الطارة الصبغة الربّانية وفي خلدهم ضياء الحقيقة[47]].[48]

إلا أن أس أساس مسلكهم: تنوير القلوب وربطها بالفضيلة الإسلامية والسير عليها، أي: الإنطباع بالحمية الإسلامية، أي: ترك المنافع الشخصية لأجل الإخلاص، أي: التوجه إلى تأسيس المحبة العامة، أي: خدمة الإتحاد الإسلامي والدعوة إليه.

١٧- مقصد الدين

هناك أحاديث شريفة تعد الدين نصيحة. وقد روي الحديث التالي في أوثق المصادر: ''**الدينُ النصيحة، الدينُ النصيحة، الدينُ النصيحة. قلنا لمَن؟ قال لله، لكتابه، ولرسوله، ولأئمة المسلمين وعامّتهم.**''[49]

*** الدين النصيحة**

''الدين النصيحة، والتأثير ضروري فيها. ولا يحصل إلا بإثارة الحمية الإسلامية والمشاعر الوجدانية.''[50]

*** المقصد الحقيقي للشريعة هو الإرشاد والتعليم[51].**

١٨- يجب أن يكون التبليغ لائقاً لعمله

يجب على الأشخاص الذين يقومون بالإرشاد والتبليغ معرفة بعض الخواص بشكل جيد قبل البدأ بالدعوة. وقبل الحصول على هذه المعلومات، يعني قبل الإستعداد للدعوة علمياً فلن يتم الحصول على نتيجة. فقبل كل شيء على الداعية، معرفة الأسس والمبادئ التي يدعو إليها بشكل جيد، وأن يتعلم الإسلام جيداً بجميع

وجهاته. لذلك يجب أن يضع الكتاب والسنة فوق كل شيء، ويفهمهما بشكل جيد. والمرشد والمبلغ صاحب الثقافة الإسلامية، يحتاج لمعرفة الأوضاع والشروط للزمان، والمكان، والمحيط، والبيئة، وأوضاع وشروط مخاطبيه. لذلك يطلب بديع الزمان من الداعية أن يكون لائقاً لعمله.

*** أهمية لياقة الداعية**

"نعم ينبغي الاعتراف بهذه الحقيقة:

إن خزينة المجوهرات مهما كانت مليئة وغنية ونفيسة، لابد أن يكون دلاّلها والبائع لها، على معرفة بأصول البيع والشراء. إذ لو لم تكن له تلك القابلية أو المعرفة فإن ما يملكه من الخزائن الثمينة وما فيها من الأمتعة القيمة تحجب عن أنظار الناس، أي لا يكون قد أدّى ما يستحقها من قدر.

وبناء علي هذا، فإن الذي يقوم بعرض الحقائق القرآنية للناس كافة عرضاً خالصاً لله، ويدعو إليها منذ أربعين سنة -وليس منذ ست سنوات- وفي خضم هذه الظروف المضطربة وهو يقرأ على أهل الإسلام الأمر الرباني الجليل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾الصف:١٠ وينادي منذ ذلك الوقت بهذا النداء العلوي، قد جعل الأمة المحمدية في موضع شكران عظيم لله، بما قدم من أنوار إيمانية إلى المحتاجين إليها."[52]

١٩- الحذر

عندما أرسل يعقوب عليه السلام أبناءه إلى مصر أوصاهم أن يتصرفوا بحذر ويدخلوا المدينة من أبواب متفرقة: ﴿وَقَالَ يَا بَنِيَّ لاَ تَدْخُلُواْ مِن بَابٍ وَاحِدٍ وَادْخُلُواْ مِنْ أَبْوَابٍ مُّتَفَرِّقَةٍ...﴾يوسف:٦٧ وقد أوصى بديع الزمان تلاميذه بالتصرف بحذر تجاه أعداء الدين.

*** الحذر ألزم والمحافظة على الإعتدال واجب**

"فلابد من العمل وفق الحديث الشريف "**سيروا على سَير أضعفكم**"[53] ويلزم عدم الخوض في مسائل النزاع، وعدم طرق مسائل القبعة والأذان واستعمال عناوين الدجال والسفياني مع الغرباء حيث يسبب هذا اتخاذ العلماء وأهل السياسة تجاه رسائل النور موقف المجابهة والتعدي عليها. فالحذر هو الألزم... والواجب ضبط النفس، حتى أن عدم الأخذ بالحذر ولو جزئياً يؤثر حتى هاهنا.

وإن رسائل النور ليست دائرة واحدة بل لها طبقات كالدوائر المتداخلة."[54]

٢٠- الكتمان

كما نشاهد أيضا أن يعقوب عليه السلام أمر إبنه يوسف عليه السلام أن لا يقصص رؤياه على إخوته: ﴿قَالَ يَا بُنَيَّ لاَ تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُواْ لَكَ كَيْدًا...﴾يوسف:٥ وإن بدء الدعوة في المرحلة الأولى بمكة بشكل سري يدل على أنه يجب أن يكتم المبلغين والمرشدين بعض الأمور في بعض الأحيان. ويقول الرسول ﷺ: ''**استعينوا على قضاء حوائجكم وبالكتمان**''.[55] ويوصي بديع الزمان الذين يقومون بالخدمات أن يكتموا بعض الأشياء ويتعلموا الكتمان.

*** يجب عدم إفشاء الأسرار والتدابير الدقيقة في أركان وخواص رسائل النور**

''فهناك طبقة الأركان والمالكين والخواص والناشرين والطلاب والموالين وأمثالها من الطبقات.

فمن لم يكن أهلاً للدخول في طبقة الأركان لا يطرد خارج الدائرة، بشرط عدم موالاته لتيار يخالف رسائل النور، والذي ليست له ميزات الخواص يمكن أن يكون طالباً بشرط عدم الدخول في مسلك مضاد، والذي يعمل بالبدعة يمكن أن يكون صديقاً بشرط عدم موالاته قلباً لها.

ولهذا لا تخرجوا أحداً من جراء خطأ طفيف خارج الدائرة لئلا يلتحق بصف الأعداء. ولكن لا يُشرَك هؤلاء في التدابير الدقيقة التي يتخذها أركان رسائل النور ومالكيها.''[56]

٢١- الخواص التي يجب الإنتباه إليها لجهة المخاطبين

*** يجب تعيين ماذا سيقال ولمن سيقال**

''لقد قلت يوماً -قبل نزول هذه المصيبة بنا- وأنا على جبل قسطموني. بل صرخت مراراً: يا إخواني ''لا تلقوا اللحم أمام الحصان ولا العشب أمام الاسد'' بمعنى لا تعطوا كل رسالة أياً كان حذراً من أن يتعرضوا لنا بسوء.''[57]

٢٢- من أسباب التوفيق في الإرشاد والتبليغ هو الترقي المادي.

*** الترقي المادي وإعلاء كلمة الله**

''فكل مؤمن مكلف بإعلاء كلمة الله وأعظم وسيلة لإعلاء كلمة الله في زماننا هذا هو الرقي المادي.

إذ الأجانب يسحقوننا تحت تحكمهم المعنوي بسلاح العلوم والصنائع ونحن

سنجاهد بسلاح العلم والتقنية الجهلَ والفقرَ والخلاف الذي هو ألد أعداء إعلاء كلمة الله.

أما الجهاد الخارجي فنحيله إلى السيوف الألماسية للبراهين القاطعة للشريعة الغراء لأن الغلبة على المدنيين إنما هي بالاقناع وليس بالإكراه كما هو شأن الجهلاء الذين لا يفقهون شيئاً."[58]

نتيجة

ونستطيع أن نقول باختصار أن منهج بديع الزمان لم يفقد اعتباره أبداً. ولا يزال مقبولاً حتى الآن وضرورياً لإنسان عصرنا. والذين يعدون أنفسهم مكلفين بالتبليغ عليهم أن يدرسوا هذا المنهج. وهذا المنهج هو بنفس الوقت تشريح لحركة كفاحية. فقد رسم الهدف أولاً، ورغم وضع الشروط بعين الاعتبار إلا أنه لم يتم التسليم لها، وتغيرت استراتيجية الكفاح حسب الزمان والمكان، لكن لم تتغيرالنقطة التي أريد التوصل إليها. ولم يتم التنازل عن الحقائق السامية، وأستفيد من جميع الوسائط في التبليغ كالصحف، والكتب وغيرها، واستمر السير نحو الهدف في كل زمان ومكان وذلك بنسج منظومة تفكر حول المبادئ الأساسية. ولا يمكن القول أنه لم يتم التوصل إلى النجاح. والميراث المعنوي الذي تركه، كليات رسائل النور، هي بين أيدي وعلى لسان ملايين الناس في تركيا والعالم. وقد تذوق ملايين الناس حلاوة الإيمان بواسطة هذا الميراث المعنوي.

* * *

الهوامش:

[1] د. داود آى دوز: ولد في قرية حاجيلر التابعة لقضاء حيان في محافظة جاناق قلعة ''الدردنيل'' سنة ١٩٦٢م. وبعد ان أكمل دراسته في ثانوية الأئمة والخطباء في مدينة بيكا بدأ دراسته في كلية العلوم الإسلامية بجامعة أتاتورك سنة ١٩٨١م وتخرج سنة ١٩٨٦م. وبدأ دراسة الدكتوراه في فرع التفسير بنفس الكلية سنة ١٩٨٧م. واكمل الدكتوراه في كلية الإلهيات بجامعة مرمرة سنة ١٩٩٢م. عمل واعظاً في قضاء الجزر بإستانبول خلال ١٩٩٠-١٩٩٣م. وعمل في كلية الإلهيات بجامعة مرمرة خلال آذار-تشرين أول ١٩٩٣م. ولا يزال يعمل مساعد أستاذ مساعد في كلية الإلهيات بجامعة صقاريا منذ تشرين أول ١٩٩٣م. متزوج وله ولدان. نشر كتاباً باسم ''التسعير في الإقتصاد الإسلامي''، كما نشر مقالات كثيرة في مجلة يني أوميد وجريدة زمان.

[2] السيرة الذاتية، إستانبول ١٩٧٦م. ص ٥٠٥

[3] الشعاعات، ص ٥٤٤

[4] سيد سليمان ندوي، التاريخ الإسلامي الكبير عصر السعادة ''ترجمة علي كنجلي''، إستانبول ١٩٦٧م، مج٢، / ٤٠٤

[5] انظر سورة آل عمران: ٢٠؛ المائدة: ٩٢،٩٩؛ الرعد: ٤٠؛ النحل: ٣٥، ٨٢؛ النور: ٥٤؛ العنكبوت: ١٨؛ يس: ١٧، الشورى: ٤٨؛ التغابن: ١٢

[6] صيقل الإسلام / الخطبة الشامية، ص ٤٩٤

[7] الملاحق/ قسطموني، ص ١٠٥

[8] الترمذي، النذر،. ابن ماجه، الفتن ١٦

[9] الملاحق / قسطموني، ص ٢١٨

[10] الملاحق / أميرداغ، ص ٢٨٩

[11] الشعاعات، ص ٤٦٨

[12] ملحق قسطمونن، إستانبول ١٩٦٠م، ص ١٩٦- ١٩٧

[13] اللمعات، ٢٢٧

[14] الوصفات الإجتماعية، مج ١، ص ٧٣

[15] رسالة مرشد أهل القرآن، ص ٢٣

[16] الملاحق / قسطموني، ص١٧٠

[17] اللمعات، ص ٢٢٨

[18] الشعاعات، ص ٣٧٢

[19] الملاحق / قسطموني، ص ٢١٤

[20] اللمعات، ص ٤٣١.

[21] الملاحق/ أميرداغ ١، ص ٢٣٩

[22] ياوز بهادير أوغلو، السيرة الذاتية، بديع الزمان سعيد النورسي، حياته، تفكره، كفاحه، دار يني آسيا، إستانبول ١٩٨٣م. ص ٨٩.

[23] الكلمات، ص ٢٩٢

[24] صيقل الإسلام / الخطبة الشامية، ص ٥٣٥

[25] المكتوبات، ص ٤١

[26] الترمذي، الزهد ١١. ابن ماجه، الفتن ١٢

[27] الملاحق / أميرداغ، ص ٢٤٧

[28] الملاحق / أميرداغ، ص ٢٤٨

[29] اللمعات، ص ٦٧

[30] ملحق أميرداغ، مج١، ص ١٩٩.

[31] رسالة الخدمة، ص ١٩.
[32] الشعاعات، ص ٣٧٢
[33] رسالة الخدمة، ص ٢٠٥
[34] السيرة الذاتية، ص ٢٥٨
[35] الشعاعات، ص ٢٠٠.
[36] الملاحق/ ملحق قسطموني، ص ١٥٢
[37] المكتوبات، المكتوب ٢٢، الوجه٤، الدستور ٤، ص ٢٤٧
[38] سكة التصديق، ص ١٤٩
[39] المكتوبات، ص ٧٦
[40] صيقل الإسلام / الخطبة الشامية، ص ٥٣٤
[41] الملاحق/ ملحق قسطمونو، ص ١٥٧
[42] الملاحق/ ملحق قسطموني، ص ٢١٢
[43] الملاحق / ملحق أميرداغ، مج١، ص ١٤١
[44] صيقل الإسلام / محاكمات عقلية، ص ٤٦
[45] صيقل الإسلام / محاكمات عقلية، ص ٦٧
[46] صيقل الإسلام / المناظرات، ص ٣٩٥
[47] بيت بالفارسية تعني: إن الندماء شربوا ما شربوا وتركوا الحانة خالية. المترجم.
[48] صيقل الإسلام / المناظرات، ص ١١١- ١١٢
[49] مسلم، الإيمان ٩٥. الترمذي البر، ١٧.
[50] الآثار البديعية، "تجمع آثاربديع الزمان المطبوعة بالاحرف العثمانية"، لم يعرف تاريخ ومكان طباعتها، ص ٣٩٣
[51] صيقل الإسلام / محاكمات عقلية، ص ١٤٢
[52] الملاحق/ ملحق بارلا، ٤٤
[53] قال في المقاصد: لا اعرفه بهذا اللفظ، ولكن معناه في قوله ﷺ: اقدر القوم بأضعفهم فإن فيهم الكبير والسقيم والبعيد وذا الحاجة. ورواه الشافعي في مسنده وكذا الترمذي وحسّنه، وابن ماجه والحاكم وقال: على شرط مسلم، وابن خزيمة وصححه "كشف الخفاء ١٥١٨ باختصار".
[54] الملاحق / قسطموني، ص ٢١٦
[55] العجلوني، كشف الخفا، القاهرة، مج ١، ص ١٣٥
[56] الملاحق / قسطموني، ص ٢١٦
[57] المعات، ٤٠٥
[58] صيقل الإسلام / الخطبة الشامية، ص ٥٢٧

العمل الإيجابي القاعدة الثابتة لعمر مديد

أ. د. علاء الدين باشار[1]

الإيجابية في الحركة قاعدة إرشادية من قواعد رسائل النور، ترتكز على العلم، والمعرفة، والتبليغ، والإقناع، والود، والشفقة. وعلى طريق هذا النهج يتلقي ويتشارك المجددون كافة. وقد تلقى هؤلاء جميعاً الموعظة نفسها من رسول الله ﷺ، وأبدوا حساسية كبيرةً للسير في هذا الطريق حسب شروط عصرهم. فالإمام الغزالي، والإمام الرباني، والشيخ عبد القادر الجيلاني، ومولانا جلال الدين الرومي وأمثالهم من العظام جميعاً قد سلكوا الطريق نفسها. وكانت غايتهم المشتركة جميعاً جذب الناس نحو حدود مرضاة رب العالمين، وأن يكونوا وسيلة لسعادتهم الأبدية.

وللأستاذ بديع الزمان سعيد النورسي مكانة خاصة بين هؤلاء العظام الكرام الذين أصبحوا مظهراً للحديث النبوي "**العلماءُ وَرَثَةُ الأنبياء**"[2] بكل معنى الكلمة. وميزته هذه تنبع من هول عصره، ونكبة زمانه.

وفي موضوع له تحت عنوان "حوار في رؤيا" يخبرنا عن مجلس مهيب وقد اجتمع فيه ممثلون من كل العصور فخاطبوه قائلين: "يا رجل القدر!.. ويا رجل عصر النكبة والفتنة والهلاك!.. بيّن رأيك في هذا الموضوع. فإن لك رأياً فيه."

لقد جاهد ممثلو كل عصر مَن حاول إبعاد الإسلام عن صراطه المستقيم العام، وتضليل المؤمنين وصرفهم عن اعتقاد أهل السنة، من شيع الغافلين والتعساء. أما عصر بديع الزمان فهو على فارق كبير من تلك العصور، ففي زمانه أُستهدف الأركان الإيمانية، وأُلقيت الشبهات في القلوب المؤمنة من خلال أسئلة "لأي شيء..؟ ولماذا..؟" وأصبحوا في ريب من أمرهم وعقيدتهم.

وبالإضافة لذلك فقد أصبح الكفر والضلالة والسفاهة في زمانه بهيئة شخص معنوي عارم سيطر على الأرض كافة واستهدف بشكل مخطط الإيمان والإسلام والأخلاق.

فهذا الأستاذ العظيم الذي حمل على عاتقه معنىً وظيفة التبليغ والإرشاد للوقوف حيال حركات الإفساد التي لم تشاهد لها مثيل في التاريخ ألقى دروساً قيمة لدفع الشبهات، ورفع إيمان المؤمنين من التقليد إلى مستوى التحقيق من ناحية ومن ناحية أخرى بيّن للمسلمين كيفية السير في دروب وعرة، مليئة بالألغام والأشواك والدواهي من خلال ما سطر من الرسائل والملاحق.

فالحركة الإيجابية البنّاءة أساس لهذا السبيل السامق وسيره المطرد.

فالأستاذ النورسي قد واجه بابتسامة مؤلمة لا غير كل ما لاقى من التعذيب والظلم، وكِيدَ له من المكائد الشيطانية لأجل دفعه إلى القيام بحركة سلبية. وقد استكمل مسيرته السامية لأجل إنقاذ إيمان البشرية جمعاء، وحتى الذين ظلموه، قابلهم بضبط النفس والأناة، دون أن يتزعزع ويتصرف بعداء وشحناء.

ويستهل الأستاذ النورسي آخر رسالة له بجمل تعتبر خلاصة لقواعد الإرشاد والتبليغ التي حاول تطبيقها طوال حياته، كالآتي:

"إن واجبنا القيام بأعمال إيجابية بناءة وليست تخريبية سلبية، بل القيام بوظيفة الإيمان إبتغاء مرضاة الله وحده لا غير ومن دون التدخل في أمور موكولة إليه تعالى. فنحن مكلفون أن نصمد صابرين على كل المضايقات لأجل إحلال النظام واستتباب الأمن في ربوع البلاد."[3]

وفي هذه الجمل تُقدم لأنظارنا أروع نماذج الحركة الإيجابية والسلبية.

فالعمل بمقتضى مرضاة الله هو الإيجابي، والعمل للنفع والرياء هو السلبي.

والعمل للخدمة الإيمانية هو الإيجابي، والعمل للكفر والضلالة هو السلبي.

والتوكل على الله هو الإيجابي، والمداخلة لتدبير الله وشؤونه هو السلبي.

والمحافظة على أمن المجتمع هو الإيجابي، وتوليد الخلاف والمشادة والإخلال بالأمن والسلام هو السلبي.

والصبر والشكر هو الإيجابي، والتمرد والإستعجال هو السلبي.

***

والإيجابية تعني الثبوت، والثبوت يعني ما تم إثباته وبرهنته، وما قدّم لإفادة الآخرين.

فالإيجابي هو الإيمان، والسلبي هو التخريب...

يقال لتشييد بناء على أرض كانت خالية قفراء بالأمس وتقديمه لاستفادة الآخرين إيجابية وإثباتاً، بينما لإزالة بناء كان بالأمس قائماً، وجعله في حالة لا يستفاد منها سلبية.

والسلبية تعني الدحض والنفي، والنفي يعني الإنتزاع والإبعاد والإزالة، وادعاء عدم وجود شيء ما. لذا يقال لمن وقع في الكفر لا إيمان له. فمثل هذا الرجل قد هدم قصر إيمانه، ويقال أيضا لمن قام بتخريب جنان أخلاقه؛ عديم الأخلاق، وهنا يكمن حركة سلبية...

والإنسان الصم هو جاهل بعالم الأصوات. فالأصوات بالنسبة إليه لا وجود لها، فيمد طبيب حاذق شفيق يده ويداويه ويشفي مرضه، ليتلاقى مع نعمة السماع. عندها يثبت عالم الأصوات لدى هذا الإنسان، وعمل الطبيب حركة إيجابية بنّاءة.

وإزالة نعمة الإستماع من هذا الإنسان وجعله صماً هي حركة سلبية...

وكذلك الأمر في ظاهرة الرؤية. فالذي لا يبصر لا يمتلك من علم الكون إلا بقدر ما تمتد إليه يديه، فعندما تقومون بمعالجة عين هذا الإنسان، يبدأ بصره يجول في النجوم، والشمس، والقمر، والجبال، والسهول، ويتسع عالمه الخاص إلى عالم يمكن الإطلاق عليه عالم بغير حدود.

فالإيجابيات والسلبيات كثيرة بحيث لا تحصى، ونجد بينها أعلى مرتبة من مراتب الإيجابيات في هذه العبارة:

''العمل للإيمان خالصاً لوجه الله وحده.''

فالخدمة الإيمانية تفيد أكبر معاونة ومساعدة لبني الإنسان، وهي رمز أكبر الإيجابيات، فبها ينتزع مِن القلبِ الكفرَ ويبتعد، ويقام بدلاً عنه صرح الإيمان الشامخ.

فالإنسان الذي يحظى نتيجة هذه الخدمة بنعمة الإيمان، تتسع دائرة علاقته المنحصرة بما يرى من المخلوقات، وتصبح موصولة برب العالمين، ويكون عقله الغارق في المادة قد وجد خالق العوالم والموجودات كافة. ويتخلص من اللامبالاة، ولا يكون سائباً عاطلاً مفلوت الزمام دون صاحب وحام، كما ينجو من ألم جهل ما بعد الموت، فيبدأ بالإنغمار بفرحة معرفة من هو بصير قد خلق الرؤية، وموجدٌ قد أوجد السمع، ومصورٌ قد صوّر جميع الصور، ومحي قد وهب الحياة لجميع الأحياء.

فمثل هذا المدد والعون لإيمان هذا الرجل لا يشبه إطلاقاً مداواة عين لا تبصر، ولا

معالجة أذن صماء، بل مثل هذه الخدمة الإيمانية إحسان أبدي له، وهي أكبر وأهم من جميع الإمدادات والمساعدات التي تقدم لأجل دنياه الفانية بما لا تحصى من المرات. فليس في الجنة عمىً ولا صماً ولا جوعاً ولا عطشاً... وليس هناك مكان لأي ألم، ولا يستطع أي من الحرمان والنقصان أن يطأ قدمه إلى تلك الدار المستقرة. وتقابل هذه النعمة التي يعجز العقل عن إدراكها، آلام وعذاب جهنم التي يعجز العقل أيضا عن الإحاطة بها. وأساس الخلاص من جهنم وعذابها، ونيل الجنة ونعيمها هو الإيمان، لذا تعتبر أكبر خدمة يمكن أن تقدم للإنسانية هي خدمة الإيمان...

وقد كثف المرشد الكبير الأستاذ النورسي كل جهده في إنقاذ الإيمان، وركزه عليه، فهو طبيب وحكيم معنوي ومجدد فريد لا نظير له.

حيث يقول:

"إنني في تيار الإيمان ويواجهني تيار الكفر، ولا علاقة لي بأي تيار آخر."[4]

وبقوله الوجيز هذا يفيد أن الحركة الإيجابية هي الخدمة الإيمانية، أما الحركة السلبية فهي الحركة الكفرية اللاإيمانية.

وكما أن الإيمان إيجابي وإثبات، والكفر سلبي، كذلك الخير جميعاً، والحسن كافة إيجابي، وما يضادها سلبي ونفي، فعند ذكر الحركة الإيجابية يتبادر إلى قلب الإنسان أولاً تحكيم الحقائق الإيمانية، ومن ثم إقامة الخير والصدق وجميع مجالات المفيد على أساس هذا الإيمان المتين وفي بدايته العبادة والأخلاق الحميدة.

نيل رضا القلوب إيجابي وكسرها تخريب، والشفقة إيجابي، والحِدّة سلبي، والصبر إيجابي، والتمرد سلبي، والعفو والمسامحة إيجابي، والإنتقام سلبي، والتوجه للآخرين بوجه طلق إيجابي، والحقارة إليهم سلبي، وحسن الظن إيجابي، وسوء الظن سلبي ونفي.

فالقلب الراسخ بالإيمان تترعرع فيه الأخلاق الحميدة والسجايا السامية بشعبها كافة، والطريق إلى هذا يمر من تثبيت الحقائق الإيمانية في القلب بصورة تحقيقية، وقد سار الأستاذ بديع الزمان سعيد النورسي في هذا الطريق ووفق فعلاً.

***

وفي حالة مراعاة طالب النور ما في رسائل النور من أسس الحركة الإيجابية كافة، وقيامه بخدمة إيمانية خالصة إن لم يتوصل إلى ما يتمنى من نتيجة في ساحة الإرشاد

والإصلاح لا يقع في اليأس حيث يختم الدستور المذكور بالنقطة الآتية:

''عدم التدخل في تدبير الله''

وحسبما تلقينا من دروس رسائل النور: أن خلقَ الأسبابِ من شؤون الله وتدبيره.

فكما أن الله هو الرزاق فهو الهادي أيضاً. وكما أننا نزرع الحبة، ونعتني بها، ونهيئ شروطها ولا نتدخل بما تنبت من الحبات وعددها سواءً كانت عشرة أو مئة حبة، وننتظر تلك النتيجة من قدرة الله ورحمته لا غير، يجب علينا أيضا أن لا نتدخل بتسنبل ما نزرع في القلوب من حبات الحقائق ونواها. فالقلوب في قبضة الله وهو الهادي. وما نقرأ ونتناقل من الحقائق لا تنبت ولا تتسنبل إلا بلطفه تعالى، وليس باختيارنا وإرادتنا...

فنحن نضغط على المفتاح والله يخلق الضوء، ونحن نقدح الزناد والله يخلق النار. فهو الذي يضئ نور الهداية في القلوب، وهو الذي يوقد نار الحب فيها.

فنحن نلوذ إلى كنف ربنا الرحيم ولطفه، ونلجأ إليه وندعوه.. وكما نحن عباده فالذين نقابلهم من الناس عباده أيضاً. ونحن ندعو عباده إلى سبيله بغية رضاه، وما عدا ذلك فهو خارجٌ عن إرادتنا وطوقنا ومسئوليتنا.

فالله تعالى يقول في القرآن الكريم ﴿وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ﴾.''النور:٥٤

ويتبادر إلى ذهن الإنسان سؤالٌ مهم: لماذا أصبحت هذه الحقيقة الربانية من أهم شروط الحركة الإيجابية؟ ومع هذا السؤال تتجسم في خيالنا مضاد الإيجابية وهي السلبية...

فإذن نقول: إن الذين ينشغلون بوظيفتهم الأساسية لا يجدون وقتاً للإنشغال بالأمور السلبية.

ونقول أيضاً: عندما لا يجد الذين يتركون وظيفتهم الأساسية مجالاً آخراً لينشغلوا به، يلهون أنفسهم بالحوادث الخارجية والنتائج الإجتماعية، فيدبّ في نفوسهم القلق أولاً، ثم يهووون في اليأس والقنوط، ويتحرون السلوان في الحركات السلبية، ويتركون التبليغ ويسعون في النميمة والقيل والقال. ويدعون الإصلاح وينزلقون في التخريب، وينفرون الناس ولا يؤلفون قلوبهم.

إنهم يريدون ملء مالا تُسدُّ من الفجوة والفراغ إلا عن طريق التبليغ والنشر بالقوة

والإكراه. بينما منهج القرآن الكريم يقول: ﴿لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾البقرة:٢٥٦ ويبين لنا علماء التفسير أن عدم جواز الإكراه ليس في المسائل الدينية فقط، بل في أي شأن آخر، ويوضحون آية ﴿لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾ أن الإكراه لا مكانة له في الشرع، وهو تصرف لا يلائم طبيعة هذا الدين.[5]

وذلك لأن الإكراه حركة غير إيجابية، ولا يتوصل الإنسان بالإكراه للمعرفة، ولا للعلم ولا للأخلاق الفاضلة... ولا تثمر شجرة الإكراه ثمرة الإرشاد مطلقاً.

فكيف يمكن إدخال الإيمان في قلب شخص بالإكراه في حين لا يمكن إكراه طفل على عمل معين؟ فالقلوب لا تخضع للإكراه ولا تقبل الإجبار. والإكراه لا يجري حكمه إلا على الأبدان، أما القلوب فلا يتمكن منها لا الحب ولا الإكراه عنوةً وإجباراً. بل على العكس من ذلك يسوق إجبار القلوب على الحب إلى العناد فيورث فيها نفوراً لما تحبونه، وحباً وإقبالاً لما تبغضونه.

وهناك مثل جميل يتضمن هذه الحقيقة ''ما هكذا 'بالقوة' تورد يا سعدُ الإبلُ''.

***

ومن شروط التبليغ بذر الحبة حسب أصول الزرع، وفي هذا الخصوص توجهنا وصية أستاذنا:

''إن مسلك رسائل النور القول اللين المشحون بالنزاهة واللطف''[6]

وإن لم يظهر تأثير كلامنا على الرغم من طرح دعوتنا بأحسن ما يمكن من الأسلوب والشكل وليّن القول، فيجب علينا أن لا نقع في اليأس والقنوط. وذلك لأجل استنبات البذرة وإيتاء ثمرتها ينبغي أن يكون المنبت صالحاً، والمناخ ملائماً، فلا تظهر الورد في الموسم القارس، ولا تُستثمر من الرمل والحصيات. فللعوالم الداخلية لمخاطبينا أهمية كبيرة في هذا الجانب.

﴿... وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اهْتَدَى﴾.النجم:٣٠

فهذه الآية الكريمة أكبر مصدر طمأنينة وتسلية للمؤمن الذي يقوم بوظيفة التبليغ حقاً.

***

وعبارة أساسية أخرى:

''نحن مكلفون بالتحلي بالصبر والتجمل بالشكر ضمن عملنا بخدمة الإيمان التي تثمر الحفاظ على أمن البلاد''

فالعبارة تتضمن في مستهلها إرشاداً للقائمين بشئون الدولة، ويؤكد على درس مهم أنه لا يمكن تحقيق راحة المجتمع إلا من خلال حركة إيمانية إيجابية، فناهيك عن إحداث طلاب النور المشاكل فإن كل طالب نور يصبح بمثابة ''حارس لتأمين سلامة المجتمع وراحته''[7].

والإرشاد الثاني موجه لجنود هذه الخدمة المقدسة:

''إحذروا أن تتوسلوا بأي عمل سلبي تخريبي تجاه مضايقات من لا يفهم دعوتكم التي تؤدونها بإخلاص أو يفهمها بشكل خاطئ، بل عليكم أن تعتصموا بالصبر وتتوسلوا بالشكر تجاه المضايقات.''

ويقيّم طالب النور توصية الأستاذ النورسي بالشكر كما يلي: ''هناك كثير من الناس يتحملون مختلف أنواع مضايقات لأجل مطالب دنيوية أو غير مشروعة، فيجب عليَّ إذن أن أتلقى ما أتعرض لها من المشقة والمتاعب في سبيل إعلان دعوة رسول الله ﷺ وإعلاء دعوة الإيمان والتوحيد على أنها لطف إلهي وأشكر الله تعالى عليه''. إن طريق تحكيم الحقائق الإيمانية في القلوب، وعكس الأوامر الإسلامية إلى واقع الفرد وحياته تمر من الصبر والشفقة، ولا تسمح بالحركة السلبية!.. والمعلوم أنه لا يجوز النزاع والصراع في الداخل. فهل لقيتم شخصاً يلطم وجهه ويوكزه بنفسه؟! وهل شاهدتم من يضرب بالمعول على رجله المصاب بالروماتيزما؟! ولبديع الزمان درس في الجهاد الداخلي له حقيقة ووزن:

''يصد التعدي الخارجي بالقوة، لأن أموال الأعداء وأبناءهم غنيمة، أما في الداخل فليس كذلك، بل هو عمل إيجابي معنوي بنّاء يعمّر بالإخلاص ما هدم، فالجهاد الخارجي يختلف تماماً عن الجهاد الداخلي.''[8]

على الرغم من تجرع صاحب هذا القول الحبس والتشريد والنفي والتسميم والمظالم الكثيرة لمدة ثمانية وعشرين سنة من عمره فقد سعى إلى محافظة أمن المجتمع وسلامته بقوله:

''الحفاظ على الأمن الداخلي لئلا يصيب تسعين بالمئة من الناس الضرر جراء ما

يقوم به عشرة بالمئة من الزنادقة الملحدين''[9] وسعى بدروس رسائل النور إلى نصب مراقب في قلب كل واحد.

***

وقد خط الأستاذ العظيم لطلاب النور الذين يطلبون القيام بخدمة الإيمان نهجاً مستنبطاً من القرآن الكريم ضمن أربع خطوات:

''العجز... والفقر... والشفقة... والتفكر...''[10]

فالعجز والفقر أساسا العبودية. والشفقة توصل إلى إسم الرحيم، والتفكر يوصل إلى إسم الحكيم. ونيل تجلي إسم الرحيم وفيضه ينتج الخدمة الإيمانية.

***

والرسول الكريم ﷺ الذي تجلى عليه هذا الإسم بأعلى مراتبه مثلما تجلت عليه بقية الأسماء الإلهية، فكما قال عند مقدمه إلى الدنيا بقوله ''أمتي.. أمتي'' قاصداً إيمان وصلاح أمته، سيظهر نفسه يوم الحشر الأكبر عندما: كل الناس وحتى الأنبياء منهم ''نفسي... نفسي...'' ويطلب من ربه في المقام المحمود قائلاً ''أمتي... أمتي...'' كذلك راجياً من الله تعالى أن يغفر لأمته ويخلصهم من عذاب النار والجحيم ويدخلهم الجنة، كما بيّن لنا أستاذنا.

وقد أحس مجدد هذا العصر العصيب الأستاذ النورسي نداء الرسول الكريم ﷺ واستغاثته لربه بقوله ''أمتي... أمتي...'' في أعماق روحه وضميره، وسعى ليعاني ما عاناه الرسول ﷺ من الحرقة والحسرة والألم على مصير أمته.

وعند لقائه بالسيد أشرف أديب صدرت من فمه هذه الكلمات الحارقة:

– لم أشعر ولم أتبين مما أرى أمامي من حريق متصاعدة نيرانها إلى الأعالي تحرق أبنائي وتضرم إيماني، وإذ أنا أسعى لإخمادها وإنقاذ إيماني يحاول أحدهم إعاقتي، فتزل قدمي مصطدماً به. فليس لهذه الحادثة الجزئية أهمية تذكر وقيمة أمام ضراوة النار، فتعساً للأفكار الضيقة وسحقاً للنظرات القاصرة!''.[11]

تعتبر هذه الكلمات أكبر إنعكاس لصدى نداء ''أمتي.. أمتي'' في هذا العصر. وما أحوج هذا العصر العصيب أن ينال الحصة الكبيرة من نداء الرسول الكريم ﷺ واستغاثته!!.

فالأب يحب أبناءه جميعاً، ويذكر بالأخص منهم المريض، والمتجرع المكابد لآلام

الموت، ويحترق فؤاده عليه ويرتعد أكثر فأكثر. لذا فقد قام الأستاذ النورسي بوظيفة ترجمة الحصة الكبيرة من نداء ''أمتي'' الخاص لعصرنا بأكمل وجه، وسعى بما ألف من مئة وثلاثين رسالة لإنقاذ إيمان أمة محمد ﷺ، وقد تجرد من كل شيء في سبيل هذه الوظيفة الجليلة، وعاش حياة مليئة بالضيق، والشدة، والتسميم، والمحاكم، والإعتقال، والنفي.

''لم أذق طوال حياتي التي تناهز الثمانين شيئاً يخص لذائذ الدنيا، فقد قضيت عمري كله في ساحات الوغى وزنزانات الأسر وسجون الوطن ومحاكمه، لم يبق شيء من الآلام والمصاعب لم أتجرعه.''[12]

وإن تحمّل المصاعب والضيق في سبيل دعوة الإيمان هي من سنة رسول الله ﷺ، وقد طبق أستاذنا هذه السنة أيضاً بأكمل وجه.

فلقد قذف الرسول ﷺ الذي أُرسل رحمة للعالمين يوم طائف بالحجارة حتى جرح من مئة وأربعة عشر موضع، ولم يدعو على أحد ممن قذفه بالسوء، بل قال ''يا ربي إنهم أناس لا يعلمون'' ودعا لهم بالهداية، وقد سار وارثه الأستاذ بديع الزمان سعيد النورسي في هذا العصر العصيب المفجع على ما سار عليه الرسول الكريم ﷺ، وقال في حق كل من ظلمه وأبخس حقه:

''لما كانت 'الشفقة' دستور حياتي منذ ثلاثين سنة، وأساس مسلكي ومسلك رسائل النور، فإنني لا أتجنب التعرض للمجرمين الذين ظلموني وحدهم بل لا أستطيع حتى مقابلتهم بالدعاء عليهم.''[13]

وفي رسالة أخرى يبين ما لقى طلابه الأمجاد من صنوف الأذى والتعذيب، وما تعرضوا له من الإمتحان الصعب قائلاً: ''إن واجبنا نحوهم طلب الهداية لهم فحسب. فلا يرد في قلب أي طالب من طلابي الثأر ولو بمقدار ذرة، بل أوصيهم دائماً مقابل ما لقوه من العنت الثبات في خدمة رسائل النور والوفاء بها.''[14]

ومن المسائل المهمة للحركة الإيجابية التي أكد عليها المجدد الكبير بكل حساسية هي تأمين وحدة واتحاد المسلمين العاملين في حقل الخدمة الإسلامية بمناهج مختلفة، وقد وقف حول هذه النقطة المهمة كثيراً وأكد عليها أيما تأكيد، وسعى ليمنع تحول إختلاف المشارب والمناهج الدعوية إلى العداء والتخاصم، وكمثال أود نقل النقاط الثلاثة الأوائل من الأمور البالغ عددها تسعة أمور كالآتي:

١- العمل الإيجابي البنّاء، وهو عمل المرء بمقتضى محبته لمسلكه فحسب، من

دون أن يرد إلى تفكيره، أو يتدخل في علمه عداء الآخرين أو التهوين من شأنهم، أي لا ينشغل بهم أصلاً.

٢- بل عليه أن يتحرى روابط الوحدة الكثيرة التي تربط المشارب المعروضة في ساحة الإسلام -مهما كان نوعها- والتي ستكون منابع محبة ووسائل أخوة واتفاق فيما بينها فيتفق معها.

٣- واتخاذ دستور الإنصاف دليلاً ومرشداً، وهو أن صاحب كل مسلك حق يستطيع القول: ''إن مسلكي حق وهو أفضل وأجمل'' من دون أن يتدخل في أمر مسالك الآخرين، ولكن لا يجوز له أن يقول: ''الحق هو مسلكي فحسب'' أو ''إن الحسن والجمال في مسلكي وحده'' الذي يقضي على بطلان المسالك الأخرى وفسادها.[15]

فقد اتبع الأستاذ النورسي طوال عمره الإيجابية في الحركة دائماً، وكضرورة لازمة لهذه الحركة الإيجابية وقف تجاه كل حركة سلبية أياً كان نوعه.

فكما واجه في رسائل النورحركات الإلحاد، والكفر، والشرك، والضلالة بالمباحث الإيمانية، كذلك ألّف رسالة الإخلاص لمواجهة الرياء، وحب الظهور، وكسب إعجاب الآخرين، وكتب رسالة الأخوة ليسد قنوات آفات العداء، والشحناء، والبغض، والغيبة، بين المسلمين، وسجل المبحث الثالث من المكتوب السادس والعشرين للوقوف حيال العنصرية التي هي أكبر عدو للإتحاد الإسلامي، والخلاصة أنه ألف وكتب تجاه كل سلبي بحثاً أو رسالة ليبطل تأثيره وفعاليته.

ومن جملة هذه السلبيات وقف أيضا بكل حساسية ضد مسألة ''التكفير'' الذي هو جرح غائر لمجتمعنا.

ولأهمية هذا الموضوع أود التطرق إليه بشيء من التفصيل.

فانطلاقاً من قاعدة ''حسن الظن أساس بالنسبة للمسلمين'' قد اجتنب عن التكفير اجتناباً كبيراً بدقة وحساسية.

''إن من يعرف 'سعيد' عن كثب يعلم أنه يتجنب تكفير الآخرين تجنباً شديداً ما استطاع إليه سبيلاً، بل يحاول أن يجد تأويلاً حتى لو رأى كفراً بواحاً.''[16]

إتهام المؤمن المذنب بالكفر وإخراجه عن دائرة الإسلام جناية كبيرة، ومضاد

لاعتقاد أهل السنة والجماعة. إذ حسب اعتقاد أهل السنة والجماعة؛ لا يكون كافراً من ارتكب الكبائر من الذنوب.

ولقد دامت مناقشة مسألة ''هل يصبح مرتكب الكبائر كافراً أم لا؟'' عصوراً عدة بين علماء أهل السنة والخارجيين والمعتزلة، فالخارجيون ادعوا كفر من يرتكب الكبائر من الذنوب وخلوده في النار، والمعتزلة قالوا أن من يرتكب الكبائر من الذنوب لا يعتبر مؤمناً ولا كافراً، بل يكون في موضع بين الكفر والإيمان، وهكذا ضلوا بعيداً عن الحقيقة وتاهوا في الضلالة.

لقد مر تاريخنا المعاصر القريب من ''دوْر فترة'' أخرى، حيث راجت شتى الخرافات، والأفكار البالية في الأوساط من جديد. وأصبح التكفير موديلاً أيضا، ولكن هذه المرة ما كان يعرف المكفرون الخوارج جيداً، فقد حفظوا بعض الشعارات، وجعلوا منها ختماً بارداً، يختمون بها جباه كل من يواجهونهم، وكان هؤلاء في غفلة من حديث الرسول ﷺ المتعلق بالتكفير.

''عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِىَ الله عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: إِذَا قَالَ الرَّجُلُ لأَخِيهِ: يَا كَافِرُ، فَقَدْ بَاءَ بِهَا اَحَدُهُمَا، فَإِنْ كَانَ كَمَا قَالَ وَإِلاَّ رَجَعَتْ عَلَيْهِ'' مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ''[17]

يتضمن كتاب ''السانحات'' من بين كتب الأستاذ بديع الزمان سعيد النورسي عبارات رائعة، وجيزة، مقنعة، يجب على إنسان هذا العصر حفظها كلمة كلمة، ويعيشها حرفاً حرفاً، وإلا يكون مرتكباً لكبائر من الذنوب بنفسه، ويبعد المقابل بغير علم عن الإسلام.

''ورد بهذا المعنى: أن هذا الشيء كفر. أي لم تنشأ هذه الصفة من الإيمان، أي أنها صفة كافرة. ويكون ذلك الشخص قد كفر لهذا السبب. ولكن لا يقال: إنه كافر. ذلك لأنه يملك صفات أخرى بريئة من الكفر قد نشأت من الإيمان، فهو إذن يحوز أوصافاً أخرى نابعة من الإيمان، إلا إذا عُلم يقيناً أن تلك الصفة قد نشأت من الكفر، لأنها قد تنشأ من أسباب أخرى. ففي دلالة الصفة شك، وفي وجود الإيمان يقين. والشك لا يزيل اليقين. فينبغي للذين يجرأون على تكفير الآخرين بسرعة، أن يتدبروا!''[18]

إذن قد تتواجد في مؤمن بعض الصفات غير النابعة عن إيمانه، بل عن جهله، وسفاهته، أو هناك مصادر أخرى تغذيه بها، فتعتبر هذه الصفات بأنها صفات ''كافرة''، وهناك أيضا في هذا المؤمن كثير من الصفات البريئة النابعة عن إيمانه، فهذه الصفات تمنعنا أن نصمه بالكفر، فإن لم تصدر عن فمه كلمة توجب الكفر، أو قام ببعض

الأعمال التي تليق بالكفار ولم تنبع من إيمانه، فلا يمكننا أن نكفره إن لم نعلم يقيناً أنها أعمال صدرت عن الكفر، أو قام بها ناوياً وقاصداً إنكار الإسلام حسب المقاييس المذكورة آنفاً.

تمنعنا عبارة ''في دلالة الصفة شك'' أن نطلق الحكم القطعي. ويعني هذا هناك شبهة حول دلالة ما قام به من عمل، أو نطق به من كلام، أو ما احتمل من صفة على كفره. فإننا لا نعلم بصورة قطعية أنه قام بتلك الأعمال قاصداً الكفر. ولكننا نعلم أنه مؤمن، ولئن سألناه عن إيمانه لقال إنني مؤمن مسلم. وبمقضى هذا هناك يقين، وقطعية، بينما في كفره ظن وتخمين وشك، فلا نستطع إبطال اليقين بالشك، ولا نستطيع أن نطلق عليه الكفر.

قد تصدر من فم مسلم جراء غفلة أو جهل منه كلمة تعد من الألفاظ الكفرية، فلا شك هناك مسئولية كبيرة في مثل هذا الأمر، حتى إن بعض علمائنا يقولون أن مثل هذا المؤمن تذهب حسناته السابقة كافة بعمله هذا. ولكن مع هذا يعتبر هذا الإنسان المفلس مسلماً. وليس بكافر.

وفي هذه النقطة أود البحث عن حكم أساسي:

أن الإيمان كما يثبت بتصديق القلب وإقرار اللسان، كذلك يثبت الكفر بنفس الطريقة.

وحسب هذا الأساس لأجل أن يوصم المؤمن بالكفر لصدور لفظ كفري منه يجب أن يصدّق الكفر قلباً، ويقرره لساناً كنتيجة لما صدر منه.

لقد عارض الأستاذ بديع الزمان سعيد النورسي بعض من حاد عن الصراط السوي، المحتجين بالآية ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾[المائدة:٤٤] لتكفير السياسيين الذين أصدروا القانون الأساسي وأعلنوا الحرية ''فهؤلاء المساكين لم يعرفوا أن ومن لم يحكم هو يعني ''من لم يصدّق''[19] أي الذي لا يصدق بما أنزل الله... يعتبر إيضاح الأستاذ لهذه الآية الكريمة إفادة لعقيدة أهل السنة. وذلك لأنه حسب عقيدة أهل السنة يعتبر الذي لا يطبق أمراً من أوامر الله تعالى، ولم يعمل بمقتضاه مذنباً فاسقاً ما دام لا يصدّق ذلك الأمر ولا يعتقد به، فلا يكون كافراً.

وقد أسرد الإمام فخر الدين الرزاي في تفسيره الكبير جميع وجهات النظر المتعلقة بهذه الآية الكريمة، وسجل من بين أصحها وجهة نظر سيدنا عكرمة رضى الله عنه.

يقول سيدنا عكرمة رضى الله عنه:

''قال عكرمة: قوله ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللهُ﴾ إنما يتناول من أنكر بقلبه وجحد بلسانه، أما من عرف بقلبه كونه حكم الله وأقر بلسانه كونه حكم الله، إلا أنه أتي بما يضاده فهو حاكم بما أنزل الله تعالى ولكنه تارك له، فلا يلزم دخوله تحت هذه الآية، وهذا هو الجواب الصحيح والله أعلم.''[20]

أختم موضوع التكفير بفتوى أحمد ضياء الكمشخانوي الآتية:

''لو صدر من أحدهم قولاً يستلزم كفره من عدة جهات وينجيه من جهة واحدة، فينبغي على المفتي أن يختار تلك الجهة الواحدة. وذلك إن 'حسن الظن في حق المسلمين هو الأساس...' ''[21] وفي هامش هذه الفتوى:

''إن لم ينو الرجل الكفر فهو مسلم، وإن كان ناوياً الكفر فلا ينجيه فتوى المفتي.''

***

أود البحث بهذه المناسبة عن داء لنا شخّصه وعالجه كتاب ''المناظرات'' من كليات رسائل النور:

قد يكون هناك اختلاف في النظر إلى السياسة الخارجية بين المسلمين، وهذه مسألة اعتيادية. فينبغي تلقيه بصدر رحب ضمن إطار حرية الفكر، إلا أنه قد تفقد مثل هذه المناقشات الموازنة، فيباشر المرء بتكفير مخاطبه المسلم عند إحساسه بالهزيمة الفكرية أمامه قائلاً له ''إنك برأيك هذا قد ساندت النصارى ودخلت الكفر''. وعندما تريدون إرجاعه إلى الصواب يواجهكم رافعاً صوته يقول الله تعالى في القرآن الكريم ﴿لاَ تَتَّخِذُواْ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاء﴾.[المائدة:٥١]

وصْفَة هذا الداء العضال في عدة جمل:

''المنهيّ عنه في هذه الآية الكريمة هو محبتهم من حيث ديانتهم اليهودية والنصرانية... وأيضاً، لا يكون المرء محبوباً لذاته، بل لصفته وصنعته، لذا فكما لا يلزم أن تكون كل صفة من صفات المسلم مسلمة، كذلك لا يلزم أن تكون جميع صفات الكافر وصنعته كافرة أيضاً''.

إذن تنهى هذه الآية الكريمة عن إبداء الود والحب لليهودية والنصرانية، فمثلاً: حب دولة نصرانية من حيث نصرانيتها تكون داخلاً ضمن نهي هذه الآية الكريمة، أما الرغبة

في صناعتها وتكنولوجيتها وتقدير تلك الصناعة حق قدرها فهي خارج عن إطار هذا النهي.

تنتهي العبارة التي اقتبسناها آنفاً بهذه الجمل التالية:

''فإن كانت لك زوجة كتابية، لا شك أنك تحبها.''[22] أي أن المسلم الذي يتزوج من أهل الكتاب، فمثلا من فتاة نصرانية فعليه أن يحبها من حيث إنها زوجته، وليس له أن يبدي الحب لنصرانيتها.

لقد كلفتنا حرماننا هذه الموازنة الدقيقة كثيراً من الأمور.

وقد سعيت بقدر ما سمح لي الوقت أن أبين مدى اتباع الأستاذ بديع الزمان سعيد النورسي الحركة الإيجابية، وعزوفه عن الحركة السلبية، ووقوفه حيال جميع صنوفها، فلا يمكن فهم الحركة الإيجابية التي كانت شعاره الذي لا يتبدل طوال عمره المديد المبارك من خلال بحث واحد، أو بعدة أمثلة بالوجه اللائق به. وتنبلج هذه الحقيقة وتظهر أكثر وضوحاً عند مطالعة حياة ذلك المجاهد الكبير كاملة مع ما قدم لإستفادة البشرية من الرسائل البالغة مئة وثلاثين رسالة.

* * *

الهوامش:

[1] أ.د. علاء الدين باشار: ولد سنة ١٩٤٧ في مدينة ارضروم. وقد اتم دراسة الابتدائية، والمتوسطة والإعدادية في نفس المحافظة، وقد تخرج سنة ١٩٦٩ من كلية الادارة، ونال شهادة الليسانس سنة ١٩٧٠، وشهادة الدكتوراه سنة ١٩٧٤، واصبح استاذاً مساعداً سنة ١٩٧٨، واستاذاً سنة ١٩٨٨، وهو يعمل حالياً كرئيس فرع طرق علم الأعداد العامة بكلية علوم الإقتصاد والإدارة في مدينة أرضروم. صدر له أربعة كتب من قبل منشورات الظفر كالآتي: ''ما المرأة''، ''حوار حول القدر''، ''زاوية نظرنا''، ''التكوين'' وله كتاب قيد التأليف بإسم ''كلمات من النور'' اتخذ فيه اصطلاحات رسائل النور اساساً في تأليفه.

[2] العجلوني، كشف الخفاء، الحديث: ١٧٤٥

[3] بديع الزمان سعيد النورسي، الملاحق: أميرداغ ١، ص: ٢٣٩.

[4] بديع الزمان سعيد النورسي، المكتوبات، المكتوب السادس عشر ص: ٨٩.

[5] Elmali H. Yazir, Hak Dini Kur'an Dili, cilt: 2, s. 860.

[6] بديع الزمان سعيد النورسي، اللمعات، اللمعة الثالثة والعشرون، ص: ٢٦٦.

[7]. بديع الزمان سعيد النورسي، اللمعة السادسة والعشرون، ص: ٤٠٠.

[8] سيرة ذاتية: ص ٤٧٠.

[9] سيرة ذاتية: ص ٤٤٨.

[10] الملاحق، ملحق بارلا، ص: ٣٢.

[11] سيرة ذاتية، ص: ٢٧.

[12] سيرة ذاتية، ص: ٤٥٧.

[13] سيرة ذاتية، ص: ٣٦١.

[14] سيرة ذاتية، ص: ٦٢٩.

[15] المكتوب الثاني والعشرون، ص: ٣٤٢.

[16] الملاحق-ملحق أميرداغ١، ص: ٢٩٨.

[17] رياض الصالحين ٤٤٨/ رقم الحديث ١٧٣٢/٢.

[18] صيقل الإسلام، السانحات، ص: ٣٣٩

[19] صيقل الإسلام، المناظرات، ص: ٤٢٦.

[20] رياض الصالحين، الحديث: ١٧٦٤.

[21] صيقل الإسلام، السانحات، ص: ٣٤٩.

[22] صيقل الإسلام، المناظرات، ص: ٤٠٠.

المرأة الإصلاحية في فكر الشيخ النورسي

د. سعاد الناصر (أم سلمى)[1]

مقدمة:

إن ما تعيشه الأمة من نكبات وتصدع وتخلف في مختلف الميادين أسال مدادا كثيرا من أقلام ثلة من المصلحين والمخلصين الذين حاولوا أن يضيؤوا جوانب من الظلمات التي تتخبط فيها بتشخيص أمراضها وتبيان عللها، وإخراجها من واقعها الذي جعل منها أشلاء متناثرة، ومن أفرادها أناسا يعيشون على هامش الحضارات. إخراجها من واقع القصعة التي أنذرنا به رسول الله ﷺ في قوله: ''توشك أن تتداعى عليكم الأمم كما تتداعى الأكلة إلى قصعتها. قالوا: أو من قلة نحن يا رسول الله؟ قال: بل أنتم يومئذ كثير، ولكنكم غثاء كغثاء السيل، ينزع الله المهابة منكم ويزرعها في قلوب أعدائكم، ويلقي في قلوبكم الوهن. قالوا: وما الوهن يا رسول الله؟ قال حب الدنيا وكراهية الموت.''[2] وقد أراد الله أن يلهم الشيخ النورسي لتجديد دينه من خلال ما سطره بوجدانه وعقله وبصيرته في كليات رسائل النور، بعد أن تيقن أن قضية الأمة هي قضية الإيمان قبل كل شيء. وها هو بنفسه يقدم للعالم أجمع من خلال هذه الكليات العلاج الرباني، بعد أن غمرت أنوارُ القرآن الكريم في المنفى روحه، يقول متحدثا عن لحظات التدفق الإيماني الأولى[3] بعفوية صادقة: ''في هذه الغربة المكتنفة بالحزن، ومن خلال هذا الحزن الذي يمازجه الحزن، بدأت أبحث عن نور، وعن قبس أمل، وعن باب رجاء، وسرعان ما جاء 'الإيمان بالله' لنجدتي ولشد أزري، ومنحني أنسا عظيما بحيث لو تضاعفت آلامي ووحشتي أضعافا مضاعفة لكان ذلك الأنس كافيا لإزالتها.''[4] ومنذ هذه المرحلة بدأت تتوالى مفاهيم استبصارية متجددة عن حقائق الإيمان المتلألئة في القرآن الكريم، وذلك من أجل هدف سام هو إعادة بناء شخصية

الأمة بوصفها خير أمة أخرجت للناس، لمواجهة مختلف التحديات والأمراض والأزمات، ولانتشال الإنسانية جمعاء من عذاباتها واضطراباتها، من خلال إرشادها إلى معلم قوانين الكون الأول المزروعة في فطرة الإنسان ومحقق التوازن بينها القرآن الكريم. والحرص على تبيان تناغم الفطرة التي فطر الله تعالى عليها الإنسان وتجليتها في نفسه إذا أحسن الإصغاء إلى الحق، يقول في الكلمات: ''إنك إذا ألقيت السمع إلى النفس فستسقط إلى أسفل سافلين، وإذا أصغيت إلى الحق والقرآن فسترتقي إلى أعلى عليين وكنت في أحسن تقويم في هذا الكون'' والباحث في رسائل النور يجد نفسه في حديقة غناء، مختلفة الثمار والألوان. كل ثمرة تحتاج إلى بحوث ودراسات متعددة للوقوف عندها وتذوق حلاوتها. وقد ارتأيت الوقوف عند ثمرة من هذه الثمار وهي رؤيته الاستبصارية للمرأة ودورها الإصلاحي في المجتمع الإسلامي، منطلقة من مبحث ضروري كان الدعامة الأساس الذي ارتكزت عليه كل موضوعات الكليات، وهو تصحيح عقيدة التوحيد في النفوس كي تصل إلى حقائق الإيمان النورانية، لندرك أن بلوغ هذا الهدف هو جوهر دعوته التجديدية، ولنلمس الجهد الجبار الذي بذله بديع الزمان لتبصير الأمة، وعدم إغفاله لأي جانب من الجوانب المساهمة في يقظتها ورقيها.

١- الإيمان لذة الدنيا الحقيقية الموصلة إلى الجنة:

حدد بديع الزمان النورسي رحمه الله أولى المفاهيم الضرورية لتعريف القرآن الكريم بإشراقات نورانية فاضت من قلبه ووجدانه وتدفقت بانبهار تعلم الإنسان كيفية التعلق بالربوبية والإنصات المتبصر لشلالات الوحي حين قال: ''إن القرآن كلام الله باعتبار أنه رب العالمين، وبعنوان إله العالمين، وباسم رب السماوات والأرضين، ومن جهة الربوبية المطلقة، ومن جهة السلطنة العامة، ومن جانب الرحمة الواسعة، ومن حيثية حشمة عظمة الألوهية، ومن محيط إسمه الأعظم إلى محاط عرشه الأعظم.''[5] وهذا التعريف التذوقي يشير إلى الغياب المعرفي والحسي لحقيقة ''القرآن كلام الله'' الذي يعتري الأمة، رجالا ونساء، وكان من نتيجته ضعف الحس الإيماني في النفس البشرية، والجنوح نحو الضياع والباطل، لأنها لم تعد تعي بأن كلام الله تعالى موجه إلى الإنسان ليشكل روحه، ويزرع في أعماقه مشاعر ربانية مثل الصفاء والصدق والفداء والإخلاص. ولن يكون هناك انبعاث لهذه الأمة إلا بالتشبث بالدين، فـ ''الدين حياة الحياة وحياتها، وإحياء الدين إحياء هذه الأمة''. من هنا كانت رسائل النور تفسيرا

جديدا للقرآن، وإيضاحا ساميا للكشف عن الطريق المفضي إلى معرفة الله تعالى ونقش محبته سبحانه في القلوب والعقول. وقد وضع الشيخ النورسي جوابا عن تساؤل افترضه ''فإن قلت القرآن ماهو؟'' مقربا للوجدان الإنساني الفضاءات الشاسعة، وما لا يُحدّ من الأنوار الربانية التي ذاق منها فقال: ''هو الترجمة الأزلية لهذه الكائنات، والترجمان الأبدي لألسنتها التاليات للآيات التكوينية، ومفسر كتاب العالم... وكذا هو كشاف لمخفيات كنوز الأسماء المستترة في صحائف السماوات والأرض. وكذا هو مفتاح الحقائق والشؤون المضمرة في سطور الحادثات. وكذا هو لسان الغيب في عالم الشهادة. وكذا هو خزينة المخاطبات الأزلية السبحانية، والإلتفاتات الأبدية الرحمانية. وكذا هو أساس وهندسة وشمس لهذا العالم المعنوي الإسلامي. وكذا هو خريطة للعالم الأخروي. وكذا هو قول شارح، وتفسير واضح، وبرهان قاطع، وترجمان ساطع لذات الله وصفاته وأسمائه وشؤونه''. وبلوغ مثل هذه الفضاءات وسيلة ناجعة لتقوية أواصر المحبة والأخوة في بنية المجتمع، ولتنمية العلاقات الإنسانية الإيجابية. ولا شك أن انهيار العلاقات الإنسانية والإجتماعية بضمور الإيمان في النفس وابتعاد الإنسان عن ربه وعدم الإخلاص في العمل له سبحانه من نتيجته ما تتعرض له الأمة من ضربات على مختلف الأصعدة. ومن الخطوات الأساسية كما يرى الشيخ النورسي في نهضة الأمة، ووضعها على الطريق الصحيح للإصلاح والتجديد، بناء الأسرة بناء إسلاميا قائما على الإيمان، الذي يتحول إلى حب يشمل أفراد الأسرة كلها، ثم المجتمع برمته، لأن ''الحياة العائلية'' كما يقول[6] هي مركز تجمع المجتمعات، وبيت كل إنسان هو دنياه الصغيرة بل جنته المصغرة. فإن لم يكن الإيمان الصادق حاكما ومهيمنا في سعادة هذا البيت لوجد كل فرد من أفراد تلك العائلة اضطرابا أليما وعذابا شديدا في علاقة بعضهم ببعض حسب درجات رأفته ومحبته لهم. فانعدام المحبة داخل الأسر تؤدي إلى الاضطراب والتعاسة لأنها تفتقد الأخلاق السامية التي تربطهم ببعض نتيجة قلق أرواحهم واضطرابها وعدم رقيهم في مدارج الإيمان. والعلاج الطبيعي المؤدي إلى سعادة الدنيا والفوز بالجنة كما يراه بديع الزمان، هو إحلال الإيمان بالله في ذلك البيت حتى ينور أرجاءه مباشرة ويستضيء، ذلك أن علاقات القربى والرأفة والمحبة التي تربط أفراد الأسرة الواحدة تقوم على الاحترام المتبادل والمحبة والصداقة والرأفة وسيادة الأخلاق السامية، وتؤدي إلى السعادة الإنسانية الحقة، بصرف النظر عن تقصيرات أحد أفراد الأسرة.''والحياة الأسرية هي قلعة الإنسان الحصينة، ولا سيما المسلم، فهي كجنته

المصغرة ودنياه الصغيرة"[7] التي يجد فيها سعادته. وهذه السعادة لا تُقاس ضمن زمن قصير بل تمتد إلى بناء علاقات خالدة في الآخرة والنعيم بالسعادة الأبدية. ولن يصل الإنسان إلى كل هذا إلا بتحكيم القرآن الكريم في الحياة الاجتماعية، لأنه يربي النفس ويزكيها ويصفي القلب وينقيه ويمنح الروح إنكشافا ورقيا والعقل استقامة ونورا.[8] وبما أن المرأة نصف المجتمع، وتتحمل مسؤولية كبيرة في تربية الإنسان منذ أن يكون طفلا يرضع توجيهاتها وتصوراتها، فقد أولاها الشيخ النورسي أهمية خاصة نابعة من أهمية مكانتها في الإسلام، وأبرز أنها معدن الشفقة ومنبعها. وبخاصة الأم المؤثر الأول في التربية والتعليم يقول: "إن أول أستاذ للإنسان وأكثر ما يؤثر فيه تعليما إنما هو والدته... وأقسم بالله أن أرسخ درس أخذته، وأنه يتجدد علي، إنما هو تلقينات والدتي لفطرتي وروحي، وأنا في السنة الأولى من عمري التي أصبحت كالبذور، التي تنبت حقائق على مدى عمري كله."[9] فالأمومة في الشريعة الإسلامية كما بين الشيخ النورسي وظيفة من أخطر الوظائف التي تقوم بها المرأة في الحياة، لأنها تقوم بصياغة الإنسان وبناء شخصيته، ولذلك فإن العالم اليوم في أمس الحاجة إلى إبراز هذه الوظيفة التي تكاد تضيع في مستنقع الماديات. وإيلائها المكانة اللائقة بها كي تقوم بدورها التوجيهي والإصلاحي كما يجب. والحس الأمومي في المرأة يولد معها قبل أن ترزق بالأطفال، يكمن في فطرتها حسب تعبير بديع الزمان "حب الأولاد وملاطفتهم"، وهذا ما دعاه إلى اعتبارها معدن الشفقة ومنبعها، كما أن "فداء الأم بروحها لولدها من الهلاك من دون انتظار الأجر، وتضحيتها بنفسها بإخلاص حقيقي لأولادها، باعتبار وظيفتها الفطرية، تدلان على وجود بطولة سامية رفيعة في النساء، بحيث يستطعن أن ينقذن حياتهم الدنيوية والأخروية بانكشاف هذه البطولة وانجلائها في أنفسهن."[10] وهذا الدور الهام للأمومة في المجتمعات الإنسانية جعلته يحذر الأم من انسياقها وراء تربية أبنائها تربية دنيوية لا مجال للإيمان أو للآخرة فيها، لأن الغياب الديني في التربية تجعل العلاقة بينهما هشة ومهددة. يقول: "إن الوالدة الحنونة تضع نصب عينيها كل فداء وتضحية، لتمنع عن ولدها المصائب والهلاك، لتجعله يستفيد في الدنيا، فتربي ولدها على هذا الأساس، فتنفق جميع أموالها ليكون ابنها عظيما وسيدا آمرا... فتراها تأخذ ولدها من المدارس العلمية الدينية وترسله إلى أوروبا، من دون أن تفكر في حياة ولدها الأبدية التي تصبح مهددة بالخطر. فهي إذن تسعى لتنقذه من سجن دنيوي، لا تهتم بوقوعه في سجن جهنم الأبدي، فتتصرف تصرفا مخالفا لفطرتها كلية، إذ بدلا من أن تجعل ولدها البريء شفيعا لها يوم القيامة، تجعله مدعيا

عليها."[11] إن التركيز على دور الأم في حياة الإنسان ينبع عن وعي ناضج وتشرب واضح لمقاصد القرآن الكريم، وهي دعوة واضحة إلى ضرورة إعداد الأم المربية كي تخرج للمجتمع أفرادا صالحين وفاعلين، والاستفادة من نزعات الحنان والرحمة الكامنة في المرأة عموما لبناء أسر تقيم التوازن بين عمارة الأرض بالنماء والصلاح والعمل الصالح وبين التطلع إلى التمتع بأبدية ربانية. "حقا إذا اجتمعت الشفقة والإخلاص في تلك الطائفة المباركة (طائفة النساء) فإنهن سيكونن مدار سعادة عظمى في المحيط الإسلامي."[12]

والمتأمل للأسس التي قامت عليها رسائل النور يكشف أن الإخلاص والشفقة من أهم هذه الأسس، لأن بديع الزمان أدرك عن وعي وبصيرة أن إيمان المسلم في العصر الحديث ينقصه توهج الإخلاص الصادق وسره. من هنا كان تركيزه على كشف هذا المعدن المتأصل في المرأة من أجل استغلاله في تربية الأجيال. كذلك الأمر بالنسبة للشفقة، فهي عنصر متأصل في المرأة دعا بديع الزمان لاستغلاله في بناء المرأة الإصلاحية التي توجه المجتمع بحنانها وشفقتها وعاطفتها الجياشة إلى التوحد المنسجم مع الفطرة وكل القوانين الكونية، وإلى التراحم والتواد والسكن بالمفهوم القرآني الممتد إلى الحياة الأخروية.

لكن نخشى أن نقول إن لهاث المرأة وراء الشهوات العابرة والماديات الطاغية في العالم حد من تدفق عطاءاتها المعنوية، الأمر الأساس الذي جعل العالم يفقد لمستها الإنسانية ويعيش اضطرابات وجبروت وقسوة، وبتعبير أكثر دقة يعيش مرحلة سوء الأخلاق. وقد بينت مختلف الدراسات التربوية الحديثة أن الخلق لا يتكون في النفس فجأة ولا يولد مكتملا ناضجا بل يتكون على مكث، وينمو مع التربية الطويلة والتعهد المستمر. وهذه مهمة المرأة بطبيعة دورها الأساس في الحياة، وبتهيئتها لتفجير منابع الشفقة والرحمة والحنان في أعماقها ليرتوي العالم منها، ومن إخلاصها، كي تحد من معاناته. ومن هنا ندعو إلى إعادة بناء المرأة بناء إيمانيا كي تستطيع القيام بمهمتها كما ارتضاها الله تعالى لها. وتظل كلمات الشيخ النورسي سارية في أعماقها إذا ألقت إليها السمع بإخلاص، وبخاصة في قوله رحمه الله ونفع به الأمة: "إعلمن يقينا أن اللذة الحقيقية في هذه الدنيا إنما هي في الإيمان، بينما في الضلالة والغيّ آلاما منغصة. وقد شاهدت بعين اليقين عبر تجارب كثيرة: أن في الإيمان بذرة جنة، وفي الضلالة والسفه بذرة جهنم".

٢- الاختيار المتكافىء:

أكد بديع الزمان ضرورة اختيار شريك الحياة الذي يبلغ بصاحبه السعادة الأبدية، وتحديد الهدف من الزواج نفسه، وعدم جعله مجرد وسيلة لاقتناص لذة عابرة. وقبل كل شيء التشبث بالمفهوم الإسلامي للزواج، لنستمع إليه وكأنه يخاطب المقبلين على الزواج في واقعنا المعاصر يقول: ''إن زماننا هذا لا يشبه الأزمنة الغابرة، فقد تمكنت التربية الحديثة الأوروبية في المجتمع، عوضا عن التربية الإسلامية، طوال نصف قرن من الزمان، إذ بينما الذي يتزوج ليحصن نفسه من الآثام وليجعل زوجته صاحبته الأبدية، ومدار سعادته الدنيوية بدافع من تربية الإسلام... نراه يجعل تلك الضعيفة المنكوبة بتأثير التربية الأوروبية تحت سطوته وتحكمه الدائم، ويحصر حبه لها في عهد شبابها وحده، وربما يزجها في عنت ومشقات تفوق كثيرا ما هيأ لها من راحة جزئية... فتمضي الحياة في عذاب وآلام، ولا سيما إذا لم يكن الزوج كفؤا بالإصطلاح الشرعي، حيث الحقوق الشرعية لا تُراعى... وإذا تداخلت المنافسة والغيرة والتقليد فالبلاء يتضاعف.''[13] وهذا النص المقتبس يكشف عن مجموعة من المسائل الهامة في قضية المرأة منها:

- الهدف الأساس من الزواج تحصين النفس الأمارة بالسوء من الآثام، وهو هدف شرعي بالأساس.

- جعل الزوجة مدار حياة الزوج مما يبين تشرب الشيخ النورسي بمفهوم السكن القرآني الذي ينتج عنه علاقات المودة والرحمة بين الزوجين.

- رعاية حقوق الزوجة الشرعية، الحقوق التي تعتبر مسؤولة عنها بالدرجة الأولى وضيّعتها بجهلها أو استسلامها. ولا شك أن استعادة معرفتها بها تجعلها تؤدي دورا أكثر فاعلية مما هي عليه. كما أن احترام الزوج لهذه الحقوق ورعايته لها وعدم تجاوزها وسيلة ناجعة لتحقيق التفاهم والإحترام المتبادل.

- الفرق بين التربية الإسلامية والتربية الغربية في تكوين شخصية المسلم، وأثرها في العلاقات الإجتماعية والأسرية على وجه الخصوص. يقول الشيخ مخاطبا المتزوجين: ''إجعلوا من بيوتكم مدرسة نورية مصغرة، وموضع تلقي العلم والعرفان كي يتربى الأولاد الذين هم ثمار تطبيق هذه السنة على الإيمان، فيكونون لكم شفعاء يوم القيامة، وأبناء بررة في هذه الدنيا، وعندها تتقرر هذه السنة الشريفة فيكم حقا.''[14] إن هذه الدعوة تذكرنا بأن الطفل هو عماد المستقبل، وأن الإسلام قام على أكتاف

الأطفال الذين تربوا في حضن مراحل الدعوة الأولى، وتخرج منها القادة فاتحي العالم، وصانعي أولى بذرات الحضارة اللائقة بالإنسانية.

ويحدد بديع الزمان ثلاثة أسباب تدفع المرأة إلى الزواج الذي قد يسقطها في الشقاء فتخسر الدنيا وتنجرف لخسران الآخرة[15]:

١- الميل إلى المتعة الجنسية التي وضعها الله تعالى في الإنسان لإدامة النسل، وهنا يحذر النورسي المرأة من الزواج لمجرد الإنجراف وراء متعة قد تتحمل من أجلها مشقات ومتاعب طيلة حياتها.

٢- حاجة المرأة الفطرية إلى المساعدة في أمور الحياة، الأمر الذي يدفعها للرضا بزوج لم ينشأ تنشئة إسلامية فتشقى معه، وتفسد أخلاقها وعبادتها، ولهذا يدعوها إلى السعي لكسب نفقتها بنفسها، عوض الرضوخ لزوج فاسد.

٣- ميل المرأة الفطري لحب الأولاد ومداعبتهم، إلا أن هذا السبب في رأيه لا يجب أن يدفعها إلى تحمل الحياة الشاقة، إن لم تكن مضطرة إليها إضطرارا قاطعا، أو لم تكن واثقة من قدرتها على تربيتهم تربية إسلامية.

فهذه الأسباب الفطرية والنفسية يجب ألا تدفعها إلى التسرع بالزواج، أو لا تترك لها فرصة الإختيار القائم على أسس الشرع الإسلامي. ولهذا نجده يفضل بقاء المرأة دون زواج، ويعده أفضل لها من زواج غير مناسب أو كفء لها، لأنها تستطيع أن تقوم بدورها في الحياة تربية وتوجيها وإصلاحا دون الاستناد إلى زوج فاسد. يقول محذرا النساء المؤمنات بصفة عامة: "يجب ألا يبعن أنفسهن رخيصات سافرات كاشفات، عندما لا يجدن الزوج المؤمن الصالح، ذا الأخلاق الحسنة الملائمة لهن تماما، بل عليهن البقاء في حياة العزوبة إن لم يجدن ذلك الزوج الكفء، كما هو حال بعض طلاب النور الأبطال، حتى يتقدم لطلبها من يلائمها، ممن تربى بتربية الإسلام، وله وجدان حي، ليكون رفيق حياة أبدية يليق بها، وذلك لئلا تفسد سعادتها الأخروية، لأجل لذة دنيوية طارئة، فتغرق في سيئات المدنية." وهي دعوة متقدمة وجريئة نابعة من روح الشرع ومقاصده تُصقل شخصية المرأة، وتُكسبها قوة وصمودا لمواجهة التقاليد الإجتماعية المتعفنة.

٣- نعمة الجمال المؤدي إلى الطهر والسعادة:

إن ثقافة الجسد التي تربت عليها المرأة جعلتها تنغمس في رؤية فاسدة، جرفتها

لتسليم قيادتها وإمرتها للشيطان، وفرضت عليها الإنتماء إلى مجموعة الفرق المغيرة على الإسلام، باتباعها طائفة من النساء الكاسيات العاريات، اللائي يكشفن عن سيقانهن، ويجعلنها سلاحا قاسيا جارحا، ينزل بطعناته على أهل الإيمان.[16] واعتبر بديع الزمان أن المدنية التي ترفع الحجاب عن المرأة مدنية سفيهة، لأنها أفسحت المجال للتبرج المناقض للفطرة الإنسانية، كما بين مقصد الأمر القرآني للمرأة بالحجاب، فوضح أنه يصونها من المهانة والسقوط، ومن الذلة والأسر المعنوي، ومن الرذيلة والسفالة.[17] وقد وعى الشيخ النورسي في ذلك الوقت إنطلاقا من الواقع، واستقراءا لبعض الأحاديث النبوية، خطورة الفتنة والانحلال والميوعة التي تغرق فيها المجتمعات، إذا شاعت الفاحشة، جراء نزع الحجاب والاهتمام بالجسد وتزيينه لكل طالب، ونتيجة المفهوم الخاطئ للجمال. ذلك أن الجمال في التصور الإسلامي يرتبط بالروح الخالدة قبل أن يرتبط بالمادة الفانية. ولهذا يعده الشيخ النورسي نعمة يجب المحافظة عليها، ويدعو إلى عدم جعله وسيلة لكسب الخطايا والذنوب، لأن كل ذلك سيتحول إلى قبح ذميم وجمال منحوس مسموم وقت شيخوختها، ويجعلها تتجرع الآلام والعذاب، وتبكي نفسها يأسا وندما، لشدة ما ترى استثقال الآخرين لها وإعراضهم عنها.[18] فنعمة الجمال يجب أن تُصان بآداب القرآن الكريم، ومحافظة المرأة على جمالها وطهرها وعفتها تصون المجتمع من الفساد والرذيلة، وتُثاب عليه بجعله خالدا في جنة النعيم، كما هو ثابت في حديث رسول الله ﷺ عن أم سلمة قالت: "...قلت يا رسول الله أنساء الدنيا أم الحور العين؟ قال: نساء الدنيا أفضل من الحور العين كفضل الظهارة على البطانة. قلت يا رسول الله وبم ذلك؟ قال: بصلاتهن وصيامهن وعبادتهن لله ألبس وجوههن النور وأجسادهن الحرير..."[19]

٤- إستبدال الجمعيات المهتدية بالجمعيات المفسدة:

رغم ما حققته المرأة في ميادين متعددة في عالمنا الإسلامي، ودور ما يُسمى بالجمعيات النسائية التحررية في ذلك، إلا أنها بالمقياس القرآني، لم تستطع أن تحقق شيئا على مستوى إثبات الذات، وتحريرها من العبوديات المختلفة التي سقطت فيها منذ ابتعادها عن معية الله تعالى. فهي لم تستطع سوى أن تتقن العيش في مساحة ضيقة لم تستطع الفكاك من أسرها، وهي مساحة الجسد. وهذا لم يستطع أن يحقق لها الشعور بالأمن والطمأنينة والسلام مع نفسها ومع المحيطين بها. بل ساهمت في شيوع

الإضطراب والفتنة. والدعوة إلى التحرر قولة حق أريد بها باطل إذا كانت دعوة لتحرر المرأة من لباسها وطهارتها. صحيح أن المرأة المسلمة انتُزعت منها حريتها، كما انتُزعت من الرجل، حين تخلت عن أساس وجودها، وابتعدت عن منبع الحرية الحقة التي تغذي نفسها بقيم الانطلاق والتحرر. لكنها تلمست عبوديتها وحاولت استرجاع حريتها أخطأت الطريق، وسارت على خطى نماذج خارجة عن حضارتها، ومتغربة عنها، فغرقت في عبوديات مختلفة. ومن خلال قراءة الشيخ النورسي الواعية للواقع، ورؤيته المتبصرة لمقاصد الشرع، تبين له دور بعض الجمعيات والمنظمات التي لا تبني تصورها على أسس شرعية سليمة في إضلال المرأة، وإفساد الحياة الأسرية برمتها، فحذر منها، ونبه لخطورتها في زرع دوامة الاضطراب والانحلال الأسري. وقد نلمس نتيجة ما حذر منه النورسي رحمه الله فيما أصبحت مجتمعاتنا الإسلامية تعانيه من إنحلال وتفسخ، وبخاصة على المستوى الأسري. من هنا كانت تحذيراته من الأفكار المتعارضة مع الثوابت الدينية والحقائق الإيمانية تجد صداها بين طلاب رسائل النور، وبين النساء بصفة خاصة، لأنها خرجت من صلب فهم عميق بالواقع ومختلف الضغوطات المؤثرات التي تجرفه إلى وجهة مخالفة لشرع الله تعالى.

خاتمة:

بعد هذه الإطلالة السريعة على بعض كلمات الشيخ النورسي في قضية المرأة، والتي تحتاج منا وقفات متأنية أخرى للإحاطة بمجملها، وإبراز آرائه وتصوراته تجاه قضايانا المعاصرة، نجد أن لديه رؤية متقدمة لمختلف الإشكاليات المطروحة في الساحة الثقافية والفكرية في هذا المجال، وتشخيص لعدد من الأمراض، وتقديم العلاج الحاسم لها بوعي ناضج وبصيرة متوضئة بالإيمان والإخلاص في القول وفي العمل، تجعل المرأة فاعلة في المجتمع الإسلامي وليس مجرد وعاء للنسل أو زينة للمجالس. ولن يتجلى ذلك، كما رأينا إلا بتفعيل القيم الدينية في حياتها، وتعميق الإيمان في أعماقها. ويمكن لها آنذاك أن تقوم بدورها في إصلاح العالم وتحقيق السعادة والأمان له. وفي الحقيقة، فقد هزني كثيرا وتأثرت تأثرا بالغا وأنا أقف على مدى تقدير بديع الزمان واحترامه للمرأة، مما لا نجده عند كثير من المفكرين والمثقفين في واقعنا المعاصر، ناهيك عن العامة. وأسجل هنا بكل فخر واعتزاز أن عالما جليلا من علماء الأمة إنطلق من القرآن الكريم ليقدم للمرأة معالم لحياة إيمانية فاعلة، نابعة من روح الإسلام ومقاصده، تستطيع من خلالها أن تؤدي مهمتها الطبيعية

في الحياة، وتساهم في يقظة الأمة ورقيها بتكامل مع الرجل، وتعمل على الوجود في موقعها وجودا حقيقيا فاعلا. وأختم بقوله رحمه الله: ''إن النساء مخلوقات مباركة، خلقن ليكن منشأ للأخلاق الفاضلة، إذ تكاد تنعدم فيهن قابلية الفسق والفجور للتمتع بأذواق الدنيا. بمعنى أن النساء نوع من مخلوقات طيبة مباركة، خلقن لأجل قضاء حياة أسرية سعيدة ضمن نطاق التربية الإسلامية.''[20]

* * *

الهوامش:

[1] د. سعاد الناصر (أم سلمى): جامعة عبد المالك السعدي، تطوان-المغرب.

[2] رواه أحمد في مسنده. ١ / ٢٧٨. وأبو داود في سننه في كتاب الملاحم، حديث ٤٢٩٧.

[3] وهي تبدأ من أول المرحلة التي أطلق فيها على نفسه اسم ''سعيد الجديد'' في منفاه في بارلا سنة ١٩٢٦ إلى أن توفاه الله إليه سنة ١٩٦٠. انظر: بديع الزمان سعيد النورسي، نظرة عامة عن حياته وآثاره. إحسان قاسم الصالحي. طبعة خاصة بالمغرب. ١٩٩٩. ص ١٠٦.

[4] اللمعات، ص ٣٤٩.

[5] اللمعات، ص ٣٤٦.

[6] انظر: الشعاعات، ص ٢٢٨-٢٣٠. والكلمات، ص ١٠٤-١٠٦.

[7] اللمعات، ص ٣١٠.

[8] انظر: الشعاعات، ص ١٧٤.

[9] انظر: ملحق قسطموني، ص ١٣٨-١٣٩.

[10] انظر: ملحق قسطموني، ص١٣٨-١٣٩.

[11] المرجع نفسه.

[12] المرجع نفسه.

[13] ملحق أمير داغ، ص ٣٤٠.

[14] ملحق أمير داغ /٢، ص ٤٠٣.

[15] المرجع نفسه، ص ٣٤٠-٣٤٢.

[16] انظر اللمعات، ص ٣٠٥ -٣٠٦.

[17] اللمعات، ص ٣٠٠.

[18] انظر: المرجع نفسه.

[19] رواه الطبراني.

[20] اللمعات: ص ٣١٣.

الحوار والإصدارات والمؤتمرات

الإصدارات

١- قراءة في كتاب: الشهود الأواخر.

الكتاب: الشهود الأواخر؛ شهادات ومشاهدات عن بديع الزمان سعيد النورسي.

تأليف: نجم الدين شاهينر.

ترجمة: مأمون رشيد عاكف.

دار النشر: دار سوزلر للنشر بمصر.

الطبعة: الأولى، سنة ٢٠١٢، في أربع مجلدات.

إن مصاحبة الصالحين والعيش معهم والتلقي منهم وتتبع خطواتهم والاقتباس من أنوار سلوكهم وحركاتهم وسكناتهم لمما يندب إليه ويُحث عليه لدى جميع أصحاب التربية والسلوك، ولكنا نعيش في زمن ندر فيه أمثال أولئك أو يصعب علينا معرفتهم أو قد يتعذر الوصول إليهم؛ إلا أن المولى الكريم رحيم بنا، فمن رحمته تعالى أن فتح لنا باب مجالستهم والتعرف إليهم عن قرب بما سجله محبوهم وتلاميذهم من ذكريات عنهم فيما سطروه من كتب ورسائل، حتى إننا عند مطالعة تلك الكتب نستنشق نسائم أنفاسهم وتنشرح صدورنا بذكر محاسن خدماتهم لوجه الله وفي سبيل نشر حقائق الإيمان، فكأننا نكون كمن انخرط في تلك المجالس الطيبة وجلس في مجالسهم وشارك في خدماتهم، رغم البعد عنهم بحساب الزمان والمكان.

ويتضمن هذا الكتاب بمجلداته الأربعة فصولا متنوعة مثيرة حول جوانب من حياة الأستاذ حسب وجوده في المدن التي ظل فيها سواء كان نفيا أو سجنا أو إقامة إجبارية في مناطق مختلفة من بلاده تركيا...

٢- قراءة في كتاب: سعيد النورسي

الكتاب: سعيد النورسي، حركته ومشروعه الإصلاحي في تركيا.

تأليف: د. آزاد سعيد سمو.

دار النشر: مركز البحوث والدراسات الإسلامية. العراق.

الطبعة: الأولى ''٢٠١١''.

صدر للدكتور آزاد سعيد سمو كتاب تحت عنوان: ''سعيد النورسي، حركته ومشروعه الإصلاحي في تركيا''، وهو رسالة الدكتوراه التي ناقشها منذ سنوات تحت إشراف الدكتور أسعد السحمراني.

يتكون الكتاب من مقدمة وفصلين، وفي المقدمة يشرح المؤلف كيف تعرف على الأستاذ سعيد النورسي من خلال مؤلفاته رسائل النور ويسهب في الطريقة التي جمع بها المادة العلمية وذلك بزيارة إلى تركيا قصد الإلمام بالموضوع بصفة مباشرة، كما يشير أيضا إلى أهمية البحث وذلك لكون سعيد النورسي شخصية لا يمكن الاستغناء عنها عند دراسة التاريخ الحديث لتركيا، وأن شخصية الأستاذ النورسي تبقى فريدة من نوعها، تتميز بتأثيرها العجيب، سواء بطريقة عيشه أوبتعامله مع الآخرين أوبالقضية التي شمر ساعده لها...

يتناول الفصل الأول قراءة عامة ومختصرة عن الدولة العثمانية منذ نشأتها مرورا بالحديث عن السلاطين إلى عهد الجمهورية، ثم عرج المؤلف إلى الحديث عن حياة الأستاذ سعيد النورسي من ولادته إلى وفاته، مسلطا الضوء على نشأته وأخذه العلم وذكر الصفات التي يتمتع بها من شجاعة وذكاء، وانتقل إلى عصره وتأثيره في الفترة السياسية التي عاش فيها، كما أشار إلى الحالة السياسية والفكرية والإجتماعية في تركيا خلال تلك المرحلة، وربطها بالحياة السياسية والعلمية للأستاذ من خلال مشاركته في الحرب العالمية الأولى مع المتطوعين ثم أسره، ومشاركته في الحياة العامة بخطبه وتوعيته للناس وانتقاله من سعيد القديم إلى سعيد الجديد ودفاعه عن الإيمان والقرآن وصده هجوم الإلحاد والكفر وتأليفه لرسائل النور التي نورت أرجاء تركيا وحمت القرآن والإيمان، ومن ثم بداية المنافي والسجون.

تناول المؤلف في الفصل الثاني دعوة النور والتحديات التي واجهتها لدى انتشارها في أرجاء تركيا، ثم عرج على الجانب التنظيمي للدعوة ومنه إلى بعض الأسس

والمبادئ التي تعتمدها وكذا الأهداف والوسائل والأساليب المتبعة في الدعوة والإرشاد، مشيرا إلى العمل الإيجابي والتركيز على الجماعة باعتبارهما أساسين لانتشار هذه الدعوة، كما أشار المؤلف إلى حركة النور ومواقفها تجاه أبرز القضايا التي واجهت تركيا، وأشار كذلك إلى دعوة النور وتطورها بعد وفاة مؤسسها، والمشروع الإصلاحي من خلال إصلاح الذات أولا. ثم مبدإ التدرج، كما أشار المؤلف أيضا في ختام مؤلفه إلى النورسي وتعامله مع الاستبداد السائد في الحكم، ثم إصلاح الإقتصاد من خلال الاعتماد على جهد الدولة في الإنتاج دون مراجعتها للغير، وإصلاح التعليم من خلال التشجيع على العلم وبث المدارس في شتى أنحاء البلاد.

* * *

المؤتمرات والحلقات الدراسية

تقرير عن جلسات الندوة العالمية الرابعة للأكاديميين الشباب ٢٠١٢

المنظَّمة من قبل مؤسسة إستانبول للثقافة والعلوم يومي: ٢٣ و٢٠١٢/٦/٢٤ في فندق كاردن بارك بإستانبول.

ضمانا لتقديم تقارير وافية عن سير جلسات الندوة وما قدّم فيها من ورقات علمية ومناقشات منهجية، وتوجيهات تربوية عالية، آثرت اللجنة القائمة على الندوة، تكليف أساتذة بمتابعة الأعمال وتدوين ما دار في كلّ جلسة، وقد توزّعت العروض والمداخلات في قاعتين، خصصت إحداهما لما أنجز باللسان العربي، والأخرى لما قدّم باللغة الإنجليزية.

أولا: ورشة اللغة العربية:

أنجزت تقارير هذه الورشة من قبل الأساتذة الكرام الآتية أسماؤهم:

ذ. فاروق رسول يحيى، د. ماهر الهندي. د. محمد غانم الشريف، د. أحمد قاسم كسار، ذ. عبد العالي متقي، د. عاشور مزيلخ، ذة. هبة عدنان عبد الخالق عثامنة، ذة. كوثر الوليدي المرزن.

أعمال الجلسة الأولى من جلسات الندوة العالمية الرابعة للأكاديميين الشباب

فعاليات اليوم الأول: (السبت) الساعة: من ٠٩:٠٠ إلى ١١:٠٠

افتتح الجلسة رئيسها الأستاذ الدكتور عمار جيدل، رحّب في مستهلها بالحاضرين، ثم بيّن منهجية الندوة وضوابط تقديم الأوراق ومناقشة الأبحاث وأصول الحوار وضبط الوقت.

استهلت الجلسة ببحث توجيهي قدّمه فضيلة الأستاذ الدكتور مأمون جرار في محاضرته المسومة بـ: ''الأكاديميون الشباب في رحاب رسائل النور''، وعرض في كلمته نشأة رسائل النور وانتشارها وأثرها وأشاد بهمّة الأستاذ بديع الزمان وتضحياته في كتابتها ونشرها، ودأب أوائل طلبة رسائل النور على حمل هذه الأمانة، وتبليغها للأجيال اللاحقة جيلا بعد جيل إلى أن وصلت الأمانة ''الرسائل'' إلى الطلاب الأكاديميين، فكان لهم الفضل في الحفاظ على تراث النور وسنا بهائه ليبقى منتشرا ويزكو أريجه عبقا في أرجاء الأرض.

بعد المقدمة استهل الأستاذ جرار بحثه بالتوجّه إلى كل باحث بالسؤال المحوري الآتي: لماذا توجّهت إلى دراسة رسائل النور؟ وأكد على رسالة الإخلاص من رسائل النور ولزوم مراعاتها في دراسة رسائل النور، وألحّ المحاضر على الإخلاص كشرط أساسي في الانتفاع الواعي بما جاءت به رسائل النور.

ثم قدّم رئيس الجلسة الباحث علي أحمد التجاني علي من جامعة قناة السويس كلية الآداب قسم الفلسفة من جمهورية مصر العربية، وقدّم الباحث عرضا عن بحثه المعنون بـ: ''تصور المدينة الفاضلة عند بديع الزمان سعيد النورسي بين النظرية والتطبيق'' وهو مشروع أطروحة يسهر الباحث على إعدادها لنيل درجة الدكتوراه في الفلسفة، ذكر الباحث أنّه قسّم بحثه إلى مقدمة وستة فصول وخاتمة. ثم عقّب رئيس الجلسة على البحث والباحث وأثار بعض الأسئلة والإشكالات في مناقشة البحث، على رأس الإشكالات المصطلحات المفتاحية في عنوان المشروع، فهل يتوافق القول بالمثالية في مشروع رسائل النور؟ وهل يسوغ استيراد مصطلحات (المثالي) من رحاب فلسفي معيّن من غير أن نقع في شراك تلك المصطلحات؟، ثم هل الإسلام دين مثالي أم أنّه دين واقعي؟

فُسِح المجال بعدها للباحث عاصم عبد البر أبو القاسم من جامعة ابن زهر بأغادير بالمغرب، وعنوان رسالته: ''منهج بديع الزمان النورسي في التفسير'' رسالة تعد لنيل درجة الماجستير في علوم التفسير والقرآن. وعرض الباحث مشروع بحثه ومنهج تناوله، فأشار إلى طرق التفسير ودراسة القرآن وإعجازه لدى النورسي من خلال التفسير الظاهر والإشاري وتناسب الآيات والسور وإشارات الإعجاز واستنباط

الأحكام الشرعية من الآيات القرآنية. وبعد تمام عرضه، تساءل رئيس الجلسة، في مناقشة الأولية للمشروع، عن موارد الاستدراك على الدراسات السابقة في موضوع البحث أو ما له صلة قريبة به، خاصة وما أنجز في الباب كثير، لأن القيمة العلمية للبحث تكمن في الاستدراك على الدراسات السابقة، مع الاستفادة الواعية من الباحثين السابقين، لأنّ البحث يتكمّل بالتلاحق المؤسِس للتلاقح، فيستفيد اللاحق من السابق، ولا يتبنى البداية الصفرية في الإنجاز، لأن العلم رحلة مستمرة، ثم شكر رئيس الجلسة الباحث.

وبعد ذلك قدم رئيس الجلسة الأخت الباحثة مها غانم الشريف من قسم علوم القرآن والتربية الإسلامية، كلية الآداب جامعة الموصل من جمهورية العراق، وعنوان بحثها: ''مفهوم العبادة في فكر بديع الزمان سعيد النورسي من خلال رسائل النور''، مشروع رسالة تعد لنيل درجة الماجستير في علوم القرآن، وقد مالت الباحثة إلى البحث لما وجدت في أسرتها من العناية برسائل النور وتركيا الحديثة والمعاصرة، سردت الباحثة بعدها فصول بحثها، واستهلته بترجمة النورسي والتعريف برسائل النور، ثم انتقلت إلى بيان مفهوم العبادة ومفرداتها وأنواع العبادة البدنية والمالية والقولية والفكرية، وختمت عرضها بالتأكيد على الآثار المحمودة لرسائل النور على فكرها وتربيتها وسلوكها، فقد كانت الرسائل كتاب تعليم وتربية وبحث عميق.

انتهت العروض وفُسِحَ المجال للمناقشة والمداخلات، وقد صبّت كثير منها في خانة إثراء المشاريع المقدّمة، فكانت جلّها تصب في عمق البحوث، خاصة من الناحية المنهجية، وإشكاليات البحوث وعناوينها وخطة تنفيذها، كما ركّز بعض المناقشين على ضرورة استثمار الدراسات السابقة ذات الصلة المباشرة بمشروع البحث، ثم أعيدت الكلمة إلى الدكتور مأمون الذي علّق تعليقات طيّبة على المداخلات، أعاد فيها التأكيد على أهمية الدخول القلبي إلى فضاء رسائل النور، ذلك أنّه يمثل مفتاح الاستفادة العلمية والمنهجية فضلا عن التربوية من رسائل النور، ثم جاء الدور على الباحثين، فأجابوا عن الإشكالات التي أثرت مشاريع بحوثهم، وفتحت آفاقا جديدة في البحث والاهتمامات العلمية عموما. وأخيرا وبعد شكر رئيس الجلسة الأساتذة والباحثين الشباب والحضور الكريم على ما قدّموه، رفعت الجلسة.

أعمال الجلسة الثانية من جلسات الندوة العالمية الرابعة للأكاديميين الشباب

فعاليات اليوم الأول: (السبت) الساعة: من ١١:٣٠ إلى ١٢:٣٠

ترأس الجلسة أ.د. رعد الكيلاني، استهلت الجلسة بتقديم مشروع الباحث عبدالعالي المتقي من دار الحديث الحسنية قسم أصول الدين بالمغرب، وكان عنوانه: ''التعددية الدينية من منظور الأستاذ النورسي''، حدّد الباحث في مستهل ورقته جملة القواعد التي استعملها الأستاذ بديع الزمان النورسي في التعامل مع مسألة التعددية الدينية. يرى الباحث أن الأستاذ النورسي رحمه الله انطلق من ثلاثة أسس هي: الحوار والتعاون والإنصاف.

الأساس الأول: (الحوار): ذكر الباحث أن الأستاذ النورسي أصّل لقاعدة الحوار مع المخالفين انطلاقا من الآية الكريمة: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا﴾،[الحجرات:١٣] يرى الأستاذ النورسي -كما قال الباحث- أن داءنا من داخلنا، وينبغي العمل على دفعه والقضاء عليه من أنفسنا، وتمثّلت تلك الأمراض التي أصابت الأمة في: الفقر والجهل والاختلاف، وتدفع هذه الأمراض بأضدادها، انتقل الباحث بعدها إلى بيان سبيل التعامل مع المدنيين، وبهذا الصدد ركّز على قاعدتي الانفتاح والإقناع. أصّل الأستاذ النورسي مسلكه العملي بطريقة مثلى، حيث اتخذ الحوار وسيلة مثلى للتعامل مع أهل الديانات الأخرى، ثم ذكر الباحث مثالين عما هو بصدده:

المثال الأول: أرسل الأستاذ النورسي كتابا من مؤلفاته إلى البابا، وتسلم الجواب الإيجابي عليه.

المثال الثاني: التقى سنة ١٩٥٣م ببطريرك الروم الأرثوذكس وحاوره حول بعض الأمور التي يمكن أن يلتقي عليه أهل الديانتين.

الأساس الثاني: (التعاون): ذكر الباحث أن الأستاذ النورسي لا يرى أنّ تعدد الأديان مبررا لحدوث الاختلاف، بل ينظر إليه على أنه أساس هام لانفتاح أتباع الديانات بعضهم على بعض، ليس بين المسلمين فقط، بل حتى بين المسلمين والمتدينين من النصارى، لأن الكفر الذي هو عدوهم جميعا سيهجم على الديانتين معا، لذلك ينبغي ترك ما يثير الشقاق، وليست هذه القاعدة وقتية استثنائية في حياة

الأستاذ النورسي رحمه الله، بل هي قاعدة دائمة لديه. وتطرق الباحث لتأييد رؤيته هذه إلى ما ذكره الأستاذ النورسي من نقاط الاختلاف بين القرآن ومعطيات فلسفة البشر في الحياة الاجتماعية، حيث استند القرآن إلى الحق بدلا من القوة وجعل أساس العلاقات التعاون بدل الصراع... إلخ.

الأساس الثالث: الإنصاف: ذكر الباحث أن الأستاذ النورسي تميّز بالإنصاف في رؤيته للقضايا المختلف حولها فضلا عن المتلبسين بها، إذ ركز الأستاذ النورسي على اتخاذ دستور الإنصاف مرشدا للقضايا المختلفة، فمن أمثلة ذلك، كما ذكر الباحث، تمييز الرسائل النصرانية الحقة عن النصرانية المحرّفة، ومن أمثلة ذلك أيضا: تمييز الرسائل بين أوربا الأولى التي أهدت إلى البشرية ما ينفعها عن أوربا الثانية التي أغوت البشرية وتسببت في شقائها.

وفي ختام بحثه ذكر الباحث أنه استنتج مما سبق أن رؤية النورسي رحمه الله للتعددية رؤية متكاملة، مؤسسة على الأسس الثلاثة:

الحوار، في المنهج.

التعاون، في العمل.

الإنصاف، في التقويم.

ثم أعقبه المتدخل الثاني: الدكتور ماهر الهندي من معهد الشام العالي الجامعي بدمشق من الجمهورية العربية السورية، ذكر في البداية أن مجيئه إلى إستانبول من دمشق كان الباعث منه أن لدمشق حقها من إرث النورسي (الخطبة الشامية) حيث ألقى خطبته تلك على مسامع أهل دمشق عندما كان عمره خمسة وثلاثين عاما. ذكر النورسي في مستهل تلك الخطبة أنه يرى نفسه كتلميذ بين أساتذته. وقد حضر حينئذ من أهل دمشق للاستماع إلى خطبته عشرة آلاف شخص بينهم ما لا يقل عن مئة من العلماء. ولاحتفاظ الخطبة بجدتها وحيويتها لا يزال أهل دمشق ينهلون من معين تلك الخطبة التاريخية.

ومن ذلك المنطلق أقيم في دمشق سنة ٢٠١٠م مؤتمر بعنوان: ''مؤتمر الخطبة الشامية'' بمناسبة مرور مئة عام على إلقاء الأستاذ النورسي خطبته هناك. ومن خلال المؤتمر المذكور تم تجديد ذكرى الرسائل في دمشق الشام التي زارها مؤلف رسائل النور.

بعد ذلك ذكر الباحث أنه أتى إلى إستانبول ليطمئن المشاركين في الندوة العالمية الرابعة للشباب الأكاديميين بأن الشعوب كلها تتعاطف مع أهل الشام في محنته التي يمر بها.

ثم ضرب الباحث من رسائل النور مثلا لسلوك الأستاذ النورسي هذا المسلك، ويتلخص ذلك من الدرس الأخير الذي ألقاه على طلبته، وموضوعه: ''العمل الإيجابي البناء في الداخل''. فذكر الباحث أن الأستاذ النورسي يقول: ''إن الحقائق القرآنية أرشدتني إلى أن أقف مع الحقيقة الإيمانية''.

أعقبت ورقة الباحثين أسئلة الحاضرين ومداخلاتهم، وبعد ذلك أجاب الباحثان عن تلك الأسئلة ووضحا ما كان يحتاج إلى توضيح، ولا يفوتنا في الختام أن ننوه بدور الأستاذ الدكتور رعد الكيلاني في حسن إدارته للجلسة وإثراء الموضوع بتعليقاته وتعقيباته اللطيفة، فجزى الله الجميع ووفقهم لكل خير.

أعمال الجلسة الثالثة من جلسات الندوة العالمية الرابعة للأكاديميين الشباب

فعاليات اليوم الأول: (السبت) الساعة: من ١٤:٠٠ إلى ١٦:٠٠

ترأس هذه الجلسة الدكتور مأمون فريز جرار، افتتحت الجلسة بمحاضرة عنوانها: ''النورسي في عيون الشهود''، ألقاها فضيلة الدكتور عبد الحكيم الأنيس كبير باحثين أول في دائرة الشؤون الإسلامية في دبي، والموضوع قراءة في كتاب: ''الشهود الأواخر'' الذي يضم شهادات ومشاهدات عن بديع الزمان سعيد النورسي التي أدلى بها شهود عيان من قبل أهل عصر النورسي، قام بجمعها الأستاذ نجم الدين شاهين آر، وصدرت طبعتها العربية بترجمة المهندس مأمون رشيد عاكف، وتقديم الأستاذ إحسان قاسم الصالحي، وقد جاء في أربعة أجزاء، وفي هذا الكتاب ترجمة وافية للنورسي وأخبار عن صلته بعصره وكراماته، ومناقبه ومواقفه، وقد جاءت هذه الشهود مرتبة بحسب تسلسلها الزمني والمكاني وتفاوت تلك الشهادات من حيث الطول والقصر، فشهادة بمائة صفحة وأخرى بسبع وستين صفحة، وأخرى بخمس وثلاثين صفحة، وهكذا... بعدما أنهى الأستاذ مداخلته قام رئيس الجلسة بتعليق حول هذا الكتاب تعليقا ممتازا.

ثم قدمت الطالبة كوثر الوليدي المرزن، وهي طالبة في مرحلة الماجستير بكلية

الآداب والعلوم الإنسانية من جامعة محمد بن عبد الله بفاس من المملكة المغربية، بحثا بعنوان: ''جهود الشيخ بديع الزمان سعيد النورسي في خدمة علم مقارنة الأديان''، وهذه الدراسة مقسمة على أربعة فصول، أولها: علم مقارنة الأديان؛ النشأة والتطور والأهمية، ثانيها: التعريف بالنورسي وجوانب من حياته، ثالثها: قيم الحوار المشترك الإنساني من خلال قيمة المحبة والتعاون والأمن والتسامح والعدل وغيرها، وبيان دعوة النورسي للحوار وآدابه وأهدافه، ثم دراستها، رابعها: مقارنات بين الأديان مستنبطة من رسائل النور من خلال تناول نقاط الاتفاق بين الأديان، مثل الإيمان بالملائكة واليوم الآخر، أو من خلال نقاط الاختلاف كعقيدة التوحيد وتحريف الكتب السماوية السابقة، ثم خاتمة وخلاصات. وقد قدمت الطالبة مبحثا بعنوان: ''قيم الحوار والمشترك الإنساني من منظور بديع الزمان سعيد النورسي''، خصصته لعرض دعوة النورسي للمشتركات الإنسانية، والتعارف والتعايش السلمي والحوار، وسعت الباحثة جاهدة لبيان أنّ رسائل النور أنموذج عملي مؤسس للحوار بوصفه حلا ناجعا للأزمات التي يتخبّط فيها العالم. بعد ذلك علّق رئيس الجلسة على المداخلة،

وأعقبه الباحث محمد بشير سي تي بكلية الدعوة ومقارنة الأديان في جامعة دار الهدى الإسلامية بالهند، ألقى البحث نيابة عنه طالب الدكتوراه أنور شافي من جامعة كاليكوتا بالهند، اختار الباحث ''المناهج النورسية وأهميتها في الدعوة الإسلامية المعاصرة'' عنوانا لمشروعه المقدّم لنيل شهادة دكتوراه، وحاول الباحث في مشروعه إثبات ملاءمة منهجية في رسائل النور لمقتضيات العصر، ذلك أنّ طرائق الدعوة تتنوع بحسب معطيات كل عصر، كتنوعها من قوم إلى قوم، ومن مجتمع إلى مجتمع آخر.

نبّه النورسي إلى استخدام التكنولوجيا الحديثة في خدمة الدعوة، وكانت دعوته مشابهة تماما لواقع الداعية المعاصر في التعامل مع أنظمة الحكم اليوم. ثم تلاه تعليق رئيس الجلسة. وبعد ذلك أعطيت الكلمة للطالبة سعاد أحمد علي شولاق من كلية الآداب بجامعة المنوفية في جمهورية مصرالعربية بمشروعها الموسوم بـ: ''قضايا علوم القرآن في رسائل النور للإمام بديع الزمان سعيد النورسي''، وهو بحث مقدّم لنيل شهادة الدكتوراه.اجتهدت الباحثة في بيان ملامح التجديد بين سعيد القديم وسعيد الجديد، ومعتمدة على بيان مزايا رسائل النور في هذا الموضوع، وقد قسمت الباحثة بحثها إلى ثلاثة أقسام، فكان الأول عن تعريف النورسي للقرآن، وهو تعريف خاص

به، والثاني عن المقارنة بين القرآن والفلسفة، وانتهت الباحثة إلى أنّ منهج النورسي في عرض الحقائق القرآنية جديد مقارنة بما ورد في الفلسفة، والثالث عن إعجاز القرآن وبيان التجديد فيه من خلال الممارسة التطبيقية للإعجاز القرآني في تفسير سورة الفاتحة والآيات الثلاثة والثلاثين الأولى من سورة البقرة، فلم يكتف النورسي بإثارة موضوع الإعجاز القرآني نظريا وإنما أخضع هذا الموضوع للتطبيق ورأى الإعجاز أيضا في التوافق في رسم المصحف كما جاء ذلك في مكتوباته، ثم تلا ذلك تعليق رئيس الجلسة. وبعده قدّم الطالب محمد أحمد جاد عامر قحيف من كلية أصول الدين والدعوة الإسلامية بالأزهر الشريف في مصر، مشروع دراسته المقدّم لنيل الدكتوراه في موضوع: ''قضايا المرأة في فكر الدعاة: محمد عبده وسعيد النورسي ويوسف القرضاوي''، ركّز الباحث على بيان أثر البيئة والتوجهات الفكرية في الموضوع من خلال محمد عبده والنورسي والقرضاوي، وتناول موضوعات تخص المرأة كالحجاب والزواج وعمل المرأة ودورها في الدعوة، والعمل السياسي والتعليم وغيرها، وناقشها من وجهة نظر أصحابها وطرائق استدلالهم. تلت ذلك تعقيبات الحضور، وقد شارك في هذا الموضوع خمسة من الحضور تناولوا التساؤلات الآتية:

– تعليق حول موضوع (الأنا) الذي أثاره رئيس الجلسة.

– تعليق حول التعامل مع رسائل النور كما تعامل المستشرقون مع الإسلام، فقد أثير إشكال في طريقة التعامل مع رسائل النور التي تتطلب الروحانية والتصديق، فلا يمكن أن تكون قراءتها على مناهج المستشرقين الذين جعلوا مقدماتهم الشك والطعون.

– تساؤل عن التعامل مع رسائل النور روحيا، فما السر في الروح؟ فكانت الإجابة أن القراءة الروحية تعرف القارئ بروحه ونفسه أكثر.

– المداخلة الأخيرة كانت مع الدكتور عمار جيدل الذي وجه الباحثين إلى قراءة رسائل النور مباشرة ولا مانع من الاستئناس بدراسات الآخرين وانطباعاتهم حول رسائل النور، فركز على القراءة المباشرة والتعامل والتفاعل المباشر مع رسائل النور.

تلت ذلك قراءة مقتطفات من كتاب: ''الشهود الأواخر'' قام باختيارها الدكتور عبد الحكيم الأنيس، وكان قصد الاختيارات الترغيب في قراءة هذا الكتاب، وخلال هذه

القراءة كانت هناك مداخلة من أحد الشهود المعاصرين للنورسي وهو الأستاذ محمد فرنجي الذي ذكر موقفا للنورسي بأنه كان يطعم القط والفأر من إناء واحد في وقت واحد، فجعل من عدواتهما صداقة وتعايشا، ثم اختتمت الجلسة.

أعمال الجلسة الرابعة من جلسات الندوة العالمية الرابعة للأكاديميين الشباب

فعاليات اليوم الأول: (السبت ٢٣ حزيران) الساعة: من ١٦:٣٠ إلى ١٨:٠٠

من المفروض أن يترأس هذه الجلسة الأستاذ الدكتور نيازي بكي، لكنه لم يحضر فكانت رئاسة الجلسة للدكتور ماهر الهندي، ذكر في المستهل مقدمة عن رسائل النور وفوائدها من خلال التبادل العلمي والخبرات والإفادة من تجربة الآخرين في هذا الميدان، بعد ذلك قدم العرض الأول للطالب حازم محمد علي يونس من جامعة لاهاي الدولية فرع نينوى قسم أصول الدين من العراق، ورسالته الموسومة بـ: ''الأخلاق في رسائل النور لبديع الزمان سعيد النورسي''، المقدّمة لنيل شهادة الدكتوراه، واستهل الطالب مقدمته بحمد الله والثناء عليه وأتبعها بالحديث عن منزلة العلماء العالمين ودورهم في بعث الهمة والصلاح عند عامة الناس وأن الابتعاد عنهم يولد الجفاء والغلظة والجاهلية، ثم عرض مبحثا عن الأخلاق ومكانتها في الإسلام مستفتحا بالآية الكريمة: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾،[القلم:٤] مبيّنا أهمية الأخلاق ودورها في غرس المحبة بين المجتمعات الإنسانية، ربط الإمام النورسي رحمه الله الأخلاق بوصفها منظومة إنسانية بالتطبيق العملي في حياة الإنسان، إذ يقول: ''الميل نحو الكمال قانون كوني''، لذا فإن الميل إلى الكمال هو ميل لمعالجة الأمراض الأخلاقية، وأن الأستاذ اعتمد على الكتاب والسنة في معالجة هذه الأمراض لتخليص الناس منها، ولعل أهم صفة من صفات الأخلاق التي امتاز بها الأستاذ النورسي هي: التضحية، فقد قضى حياته وضرب أروع أمثلة للتضحية.

أما خطة البحث فقد كانت في ثلاثة فصول: فكان الفصل الأول مخصصا لعصر الأستاذ، بتقلباته وآثاره الإيجابية والسلبية، أما الفصل الثاني فخصص للتعريف بالأخلاق لغة واصطلاحا، حاول الباحث عرض تعريفات شافية وكافية من أجل الوقوف على المفاهيم التي ستكون بمثابة الفصل النظري المؤسس لهذه الأطروحة، أما الفصل الثالث فعرض فيه علاقة الإنسان بالله من خلال رسائل النور وعلاقة

الإنسان بالإنسان وكذا علاقته مع الحيوان، وبعد أن تجاوز الوقت المقرر له أشار عليه رئيس الجلسة أن الوقت انتهى، فأنهى بحثه.

ثم أعقبه الباحث قمر شعبان من كلية اللغات بجامعة جواهر لال نهرو بالهند، وذلك ببحث تحت عنوان: ''المسحة القرآنية في الأعمال التجديدية لبديع الزمان سعيد النورسي؛ دراسة في رسائل النور''، استهل الباحث مشروعه بتعريف الأستاذ النورسي للقرآن الكريم، مستشهدا بقول الأستاذ: ''فإن قلت القرآن ماهو؟ قيل لك: هو الترجمة الأزلية لهذه الكائنات... وكذا هو خزينة للمخاطبات الأزلية السبحانية''، ثم قال: إن الأستاذ النورسي قد نذر حياته كلها خدمة للقرآن العظيم، وإن كليات رسائل النور مليئة بالشواهد القرآنية. ثم كانت خلاصة بحثه: أن رسائل النور عطر من القرآن الكريم يتعطر به جميع البشر، وأن رسائل النور لعامة الناس وليس لخاصتهم لتمتعها بأسلوب سهل ممتنع فهو كالسلسبيل إذا شربه العاطش ارتاح وارتوى.

جاء الدور بعدها على الباحث محمد نايت سيدي حمو من جامعة محمد الخامس بكلية الآداب والعلوم الإنسانية بالمملكة المغربية، وكانت رسالته بعنوان: ''مفهوم الأخلاق وطبيعتها؛ مدخل إلى فلسفة الأخلاق عند النورسي''، أشاد الباحث في مستهل عرضه بجهود القائمين على تنظيم الندوة، وكذا بالتسهيلات المقدمة للباحثين من شتى البلدان ومن مختلف الديانات والأعراق والجنسيات والبلدان، قصد إكمال وإنجاز بحوثهم.

وبعد أن أشاد بالقائمين على الندوة تحدث عن موضوعه: الأخلاق، وعرض مقدمة عن الأخلاق ومستوياتها عند الإمام النورسي وأن أهمية فلسفة الأخلاق تكمن بتطبيقها وليس التنظير لها فحسب.

ثم عرض الباحث خطة دراسته، وتلخّصت في التعريف بالأخلاق لغة واصطلاحا ومفهوما، ومن ثم المقارنة بين الأخلاق عند أبي حامد الغزالي والأستاذ النورسي، وكذا طبيعة الأخلاق، ومما عرضه في تقديمه حسن الخلق عند الصحابة والتابعين وما اشتمل عليه من أبعاد ومعان عدة في حياة هؤلاء العلماء العاملين. وقد لاحظ الباحث أن الأخلاق تشمل آداب المعاملة مع الله تعالى فضلا عن آداب المعاملة مع الناس، وأن فلسفة الأخلاق عند الأستاذ النورسي نابعة من الكتاب والسنة، وأن تعريف

الأخلاق عنده منثور في رسائل النور، وأن الأستاذ النورسي هو أول من أدخل الفطرة وجعلها من أساسيات الأخلاق وما تمثله من أهمية في حياة الإنسان، ثم أنهى بحثه.

وأثنى رئيس الجلسة على ما أورده الباحث، وذكّر بأهمية دراسة السيرة الذاتية للأستاذ النورسي، ذلك أنّها نصوص باشر كتابتها بنفسه مبثوثة في الرسائل كلها، فلو كتبها أحد غيره ربما يذكر أشياء لا يقبلها، وربما دخل الغلو والمبالغة في وصفه لشدة محبته.

تلت العروض تعليقات الأساتذة، فكانت الصدارة للأستاذ الدكتور محمد الغزالي بتساؤله: من أية ناحية ندخل إلى رحاب درس الأخلاق عند الإمام النورسي؟ وفضلا عن ذلك، فقد أشار الأستاذ إلى صعوبة المقارنة بين عَلمين من عصرين مختلفين، فالمقارنة بين الغزالي والنورسي من الصعوبة بمكان.

تلاه الدكتور عبد الحكيم الأنيس، فأثنى على الباحث محمد نايت سيدي محمد، وسجّل للباحث امتلاكه أدوات البحث. ثم تدخلت الطالبة إسراء متسائلة هل القراءة المشار إليها في آية (إقرأ) تختص بقراءة القرآن الكريم فقط، أم أنّها تتّسع لغيره؟

وبعد انتهاء الأسئلة والمداخلات أعطيت للمتدخلين فرصة الإجابة والرد على التساؤلات، فذكر طالب الدكتوراه قمر شعبان أنّ الأستاذ النورسي كان يقرأ ويتأثر ويستجيب في الوقت نفسه، ولم تكن القراءة عنده عملا جافا، أما طالب الماجستير محمد نايت سيدي حمو فذكر في رده أن العرض الأكاديمي يختلف عن غيره، ولا مجال لوجهة النظر فيه إلا في النتائج والخلاصات.

أعمال الجلسة الخامسة من جلسات الندوة العالمية الرابعة للأكاديميين الشباب

فعاليات اليوم الثاني: (الأحد ٢٤ حزيران) الساعة: من ٠٩:٠٠ إلى ١١:٠٠

ترأس الجلسة الدكتور عبد الحليم الأنيس، استهلها بمقدمة قدم فيها الأستاذ الدكتور عمار جيدل من الجزائر ونشاطه العلمي مثنيا بخصاله والصفات الحميدة التي تميز بها مذكرا الجميع بكلمته أن اللذة والسعادة في العمل، موضحا وصف الأستاذ النورسي للرسول ﷺ والتلذذ بكلامه وأحاديثه الجليلة ذاكرا حشدا من أقوال الأستاذ النورسي، بعدها قدّم الدكتور عمار جيدل محاضرته القيمة في طرحها بعنوان: ''الأستاذ النورسي والقراءات الموجهة''، افتتح مقدمته ببيان دور وأهمية المؤتمر في

تحفيز الشباب الأكاديمي على البحث مبينا دور القراءة وتأثيراتها إيجابيا وسلبيا، خصوصا القراءات الموجهة. يرى الدكتور عمار جيدل أن هناك من يبالغ في الحديث عن النورسي، وهذا يشوّش على الصور البهية لرسائل النور، ويميل آخرون إلى استغلال رسائل النور في خصومات (فكرية، أوسياسية، أو اجتماعية...)، ويميل فريق ثالث إلى جعل رسائل النور مسندا لنيل من الاتجاهات المحافظة (التقليدية)، ثم بين الدكتور عمار أن قراءة رسائل النور تخرجك من ضيق القراءة المكتفية بالدنيا على حساب الآخرة أو بالدنيا على الآخرة، فولدت هذه الثنائيات تصورات عرجاء صوّرت التزاحم بين الدنيا والآخرة، ومال آخرون إلى تصور تزاحم بين العقل والقلب، واستند فريق آخر إلى رسائل النور في مخاصمة الفلسفة، منبها إلى ضرورة التوافق بين العلوم الشرعية والكونية. ثم كانت الفكرة الأساسية والتي كانت محل التنبيه في محاضرة الدكتور هي بيانه لفكرة التوحيد والأحادية موضحا أن التوحيد مبناه الاستيعابية التي تقتضي الانسجام. ثم يعود بنا الدكتور عمار إلى رسائل النور وأن هناك من وظف رسائل النور ليخلص لما يبتغي أو العكس، وأن السمة العامة أن الفترة السابقة تلغي التالية هي ما ميز النورسي وليس التطور الرأسي أي القول بالتطور بالاتجاه الرأسي للمسار الدعوي للأستاذ، لذا كان الأستاذ النورسي في نظره شخصية واحدة متكاملة قوامها الإسلام، فهو شخصية واحدة متكاملة تعبر عن الشمول في الفهم والاستراتيجية في التبليغ؛ أي ترتيب الأولويات في التبليغ، وبقيت هذه الميزة ملازمة له منذ البداية إلى وفاته، فدعا إلى الإصلاح الشامل محذرا من سوء فهم الحرية، مستشهدا دائما بأقوال الأستاذ النورسي الاستشرافية (لو قدّر لي)، فكانت المرحلة مرحلة بديع الزمان حسب الدكتور، وأن هذه التسمية ضبطية وليست حدية، مشيرا إلى أن النورسي يخرجك من تيه العصر إلى الرؤية الاستراتيجية للدعوة والتبليغ، مستصحبا في وضع الخطة وترتيب الناحية الإجرائية أوضاع الأمة وكيفية تضميد جراحها، ذلك أن الناحية الإجرائية في إطار الرؤية الاستراتيجية تمثّل العقبة الكأداء، فكثيرا ما يميل عنها الباحثون ظنا منهم أنّ وضوح المقاصد وقوة الحجة تغني عن التفكير في طريقة إيصال الفكرة والدعوة للآخرين.

ثم تحدث الدكتور جيدل عن موقف النورسي من سعيد بيران وموقفه من ثورته، هل كان موقفه منسجما مع طرح الأستاذ النورسي الشامل، ثم تطرق إلى المرحلة

الثالثة من حياة النورسي مبينا أنه ظل مركّزا على مسالك التربية الراشدة وفق مصلحة الدعوة، موضحا أن الرجل كانت له خطة استراتيجية، وأنه دائما كان يركز على خدمة الإيمان، فكان يحذر من الإساءة إلى العلماء وشيوخ الطريقة الصوفية، ويؤمن بالمسلك الفكري والحركي. وهنا كانت رسائل النور تستوعب جملة المشارب المكونة للمشهد الفكري وتستوعب حاجات الإنسان العقلية والقلبية والفكرية. فدعا إلى الحديث عن ضرورة التعليم كإنشاء مدرسة الزهراء والتزود بالعلوم الشرعية. بعد أن أنهى محاضرته فتح باب المداخلات والأسئلة، فتساءل الدكتور مأمون جرار هل هذه القراءات تلغي القراءات الأخرى، وهل هي بمثابة نقد للقراءات الأخرى؟ مبينا أهمية المحاضرة أنها دعوة لضبط القراءة الصحيحة لرسائل النور. ثم تدخل الدكتور آزاد سعيد سمو وتحدث عن موقف سعيد النورسي من سعيد بيران مشيرا إلى أن النورسي لم يستخدم القوة ولا يحب سفك الدماء، فكان موقفه من بيران أن النورسي سألهم هل هؤلاء الذين تقاتلون من الجيش يصلون ويصومون؟ أجابوا: نعم، فقال لهم: أنتم تقاتلون مسلمين، وإن كان لا يرى هناك تكافؤا في القوى. ثم جاء سؤال الباحثة للدكتور عمار جيدل ماذا تقصدون بالعقبة الكأداء؟ ثم تلتها مداخلة أحد الحضور وطرح سؤاله عن عدم وجود تشابه بين النورسي والغزالي، وبعدها مداخلة أخرى وضح صاحبها أن مراحل النورسي في حياته وتطورها نتيجة لقراءته المتمعنة للقرآن الكريم وفهمه للحياة والتعمق في القرآن وتدبره. ثم أجاب الدكتور عمار جيدل عن تساؤلات المتدخلين قائلا: إنني ناقل وجهة نظر، لذا وظفت مصطلح الأنموذج، فالأنموذج للدليل على القراءة الواسعة، مبينا مفهوم التوحيد عند النورسي موضحا أن الأحادية لا تنتج إلاّ الإقصاء، ومنبها إلى حث الأستاذ النورسي على الابتعاد عن الاهتمام بالجزء الذي يقرأ التصوف والفلسفة والسياسة، فالقارئ الحقيقي هو الحديث عن الجزء في الإطار الكلي، عقل وقلب وظاهر، مبدأ وفكرة وحركة ودعوة،... فلا مجال للفصل بينها، وإذا صادف وأن تناولنا جزئية فلا مجال لعرضها خارج الإطار الكلي المصوّر للفكرة والمبدأ، ثم جاء الدور على التعليق على ظاهرة الخروج والدخول في الحركات الإسلامية والعمل الدعوي، فأشار إلى أنّها ظاهرة سننية في واقع التنمية المعرفية والقراءات المختلفة، شريطة أن لا تتحول تلك القراءات إلا تناطح وتشاجر. بعد ذلك أخذت الكلمة الباحثة فاطمة عبد اللطيف عبد العال من

جامعة الأزهر بكلية البنات من جمهورية مصرية العربية وقدمت ملخصا لمشروع رسالة الدكتوراه التي عنوانها: ''بديع الزمان سعيد النورسي وآراؤه الصوفية''، عرضت الباحثة أبواب رسالتها مبينة آراء النورسي الصوفية ورأيه في الفرق الصوفية وموقفه من التصوف النظري، وخلصت إلى أصالة التصوف العملي في الإسلام، كما بينت فكرة التأثير والتأثر وامتداد حركة النورسي موضحة مصادر آرائه الصوفية في بدايتها القرآن والسنة مشيرة إلى أن الأستاذ النورسي قد طبق قواعد التصوف بنفسه فكان التأثير والتأثر بداية من تأثره بوالديه وشيخه وظهر أثره في معاصريه.

تلت ذلك مناقشة العرض، فكانت بداية مداخلة الدكتور مأمون، وصف الأستاذ النورسي بالمتصوف وليس بشيخ الطريقة متسائلا هل مارس النورسي التصوف؟ مشيرا إلى أنه لم يحرص أن يكون له مريدون، فكأنه وضع بديلا للتصوف، فأراد تحرير المدرسة من الطرقية، هذه هي حقيقة الإيمان. وكانت مداخلة الدكتور عمار جيدل باقتراح عنوان للباحثة هو: ''التربية الروحية عند النورسي''، بدل العنوان السابق الذي وضعته عنوانا لرسالة الدكتوراه، دون ورود فكرة التصوف.

بعد ذلك بدأت المحاضرة الثالثة وكانت للباحث آماد كاظم محمد صالح من جامعة ملايا من دولة ماليزيا، فكان عرضه المقدّم لنيل شهادة الدكتوراه بعنوان: ''بديع الزمان سعيد النورسي ومنهجه في الرد على الشبهات المثارة حول القرآن الكريم من خلال رسائل النور''، بحث وعرض، فبيّن الباحث دور وأهمية رسائل النور في عرض العقيدة وتثبيتها في نفوس المؤمنين ومنهجه في التحاور مع المستشرقين، فكان له منهج فريد في إثبات عصمة القرآن ورد مطاعن خصوم الإسلام وإبطال الشبهات وتحويلها إلى حجة عليهم.

أراد الأستاذ النورسي في نظر الباحث إثبات حقائق الإسلام من خلال منهج يرتكز على إثبات حقائق القرآن، وبهذا كان الأستاذ النورسي حقيقا برتبة مجدد القرن.

كما ناقش فكرة التجديد في ضوء الدراسات الإسلامية ومنهج النورسي في الرد على الشبهات المتعلقة بالقرآن والعقيدة والغيبيات والفرق الإسلامية والرد على الفلاسفة وأهل الطبيعة.

بعد نهاية المحاضرة والمناقشة، تساءل الدكتور محمد الغزالي هل فكرة التجديد

وتعدد المجتهدين تكون في كل عصر أم في البلد الواحد؟ وهل المسألة لا تزال قيد البحث، وماهو موقف النورسي من الفلاسفة؟.

تلا ذلك مداخلة الباحثة هبة عدنان عبد الخالق عثامنة من جامعة اليرموك بالمملكة الأردنية، وعنوان بحثها للماجستير: ''أثر إدارة النفس في حل الأزمات الاجتماعية من خلال لمعات النورسي'' تطرقت فيه الباحثة إلى التعريف بشخصية الأستاذ النورسي وكتاب اللمعات مبينة اللمعات الإدارية للنفس وأثر إدارة النفس في حل الأزمات الاجتماعية شارحة أبواب الدراسة بداية من اللمعات الإدارية للنفس ومعرفة طبيعة النفس، وأن أول العلاقات معرفة الله سبحانه. وبينت الباحثة أهمية استخدام العقل والقلب موضحة أن طبيعة استعمالهما تمثل المجتمع المتوازن، وإشارة إلى أهمية التنوع في النعم والنقم لتتضح معادلة الحياة في الكون، وقد ركّزت الباحثة على بيان التجانس الذي طبع رسائل النور في المسألة الأخلاقية، شاهدها أنّ التحقق بالأسماء الله الحسنى المبثوثة في مختلف آيات الذكر الحكيم يحقق التخلّق بأكمل صورة.

كما اعتنت رسائل النور بالزمن والبناء الداخلي في تنمية الخلق، فاهتمت بتكوين الداخلي وتوثيق العلاقات الخارجية، وأكّدت الطالبة في سياق عرضها على أنّ الحضارة فكرة تنبثق من داخل الإنسان، منها على سبيل المثال لاالحصر، تأكيد الإسلام على ضرر الحسد، الذي إذ تفشى بين الإخوة، أدى إلى تضييع الأمن الداخلي للنفس. بعد عرضها تقدّم الباحث ياسر محمد مصطفى أحمد من جامعة الأزهر بعرض مشروعه لنيل شهادة الماجستير تحت عنوان: ''الدعوة الإسلامية في تركيا بعد سقوط الخلافة العثمانية''، استهل ورقته بتاريخ الدعوة الإسلامية بعد سقوط الدولة العثمانية، قدّم لها ببيان دور الدولة العثمانية في نشر الدعوة، ثم عرّج على سقوط الخلافة وأثره على الدعوة، توقّف في هذه العجالة عند المؤسسات الرسمية وغير الرسمية العاملة في حقل الدعوة (المؤسسات، الطرق الصوفية، التيارات السياسية، و...)؛ وموقفها من العلمانية بمختلف تشكّلاتها، وبعد هذه البسطة الممتعة عرض الباحث التعريف بدعوة رسائل النور وحياة الأستاذ النورسي والظروف المحيطة بعصره وأسلوبه في الدعوة، ثم توقّف عند محطة جماعة النور بعد رحيل مؤسسها، وقد انتهى الباحث بعد جملة من المسائل الفرعية إلى التأكيد على أن الأستاذ النورسي ظل ثابتا على الأهداف التي سطّرها لدعوته، موضحا أن أسلوبه لم يكن مباشرا مع

طلابه. اعتمد النورسي في رسائله القرآن لما يمثّله من عامل أساسي لإحياء الإيمان، وغرس العقيدة في نفوس المسلمين، ولنزعته العملية ورؤيته الواقعية عمد الأستاذ إلى الكشف الفعّال والمختصر المركّز لأمراض العصر وتأثير الغرب على العالم الإسلامي وطريقة العلماء المسلمين في عرض الإسلام، ولعلّ من أهم ما ركّز عليه الأستاذ في التبليغ وجوب التحلي بالشفقة في طريق الدعوة إلى الله، وبذلك انتهت الجلسة.

أعمال الجلسة السادسة من جلسات الندوة العالمية الرابعة للأكاديميين الشباب

فعاليات اليوم الثاني: (الأحد ٢٤ حزيران) الساعة: من ١١:٣٠ إلى ١٢:٣٠

ترأس الجلسة الدكتور أحمد قاسم كسار افتتحها بالترحيب بالحضور واستهلها بتأكيده على أهمية طلب العلم وضرورته، وأن رسائل النور تفتح للباحثين مجالات متعددة للبحث والاشتغال، ثم بدأ بتقديم الباحثة إسراء أحمد صالح من جامعة الخرطوم كلية الآداب شعبة الدراسات الإسلامية من جمهورية السودان وعنوان مشروع رسالتها المقدّم لنيل درجة الماجستير: ''الإيمان بالغيب وفق منهج رسائل النور''، عرضت في المستهل الأسباب الذاتية والموضوعية التي حملتها على الاهتمام برسائل النور، لعلّ أهمّها تشجيع مشرفتها (الدكتورة فيروز عثمان صالح)، ثم أعقبت ذلك بتقديم التصميم الذي اقترحته لرسالة، يتكون بحثها من مقدمة وأربعة فصول وخاتمة، في المقدمة بيّنت موضوع البحث وأسباب اختياره ومنهجه. وفي الفصل الأول عرفت بالأستاذ سعيد النورسي ورسائل النور. أما الفصل الثاني فقد عرفت فيه بالإيمان بالغيب ومنهج النورسي في إثبات الإيمان بالغيب. وفي الفصل الثالث عرضت أركان الإيمان بالغيب عند الأستاذ النورسي. أما الفصل الرابع والأخير فخصصته لأسلوب الأستاذ النورسي الأدبي والعلمي في إثبات الإيمان بالغيب وقارنته بغيره من الأساليب. وختمت بحثها بخاتمة أوردت فيها ملخصا للبحث وتوصياته. وعقب رئيس الجلسة شاكرا الباحثة، وداعيا الباحثين إلى الغوص في أعماق رسائل النور لمعرفة معاناة الأستاذ في نتاج هذه المعرفة الربانية، لهذا لا يسوغ التوقّف والإكتفاء بالشهادات العلمية باسم هذا الأستاذ ولكن أن تتحقق الاستفادة به وبمنهجه وأسلوبه ومعانيه.

ثم قدمت الأخت الباحثة عِذاب محمد حسين النبهان من جامعة اليرموك بكلية الشريعة من قسم الدراسات الإسلامية بالمملكة الأردنية بحثها وموضوعه: ''أزمة

الأخلاق وحلولها من خلال رسائل النور''، استهلته ببيان مشكلة البحث والتي لخصتها بقولها: ''تكمن مشكلة البحث في ظهور وشيوع مشكلة عظيمة تنهش في جسد الأمة الإسلامية وتكاد تفتك به وهي أزمة الأخلاق والتي تعد مانعا لرقي الأمم وتقدمها نحو الكمال الإنساني''، وأعقبت ذلك ببيان أهداف الدراسة والتي حددتها في هدف رئيسي يتمثل في بيان أسباب ومظاهر أزمة الأخلاق وحلولها من خلال رسائل النور. وعرضت الباحثة موضوعها بتعريف الأخلاق و مفهومها وأزمة الأخلاق في الأمة وأسبابها ونتائجها ومظاهر هذه الأزمة وحلولها في رسائل النور المعنوية والمادية.

وسلكت الباحثة في مقاربة موضوعها المنهج الاستقرائي التحليلي وذلك من خلال استقراء وتحليل نصوص رسائل النور. وحددت الباحثة مخطط دراستها في ثلاثة مباحث: فعرضت في الأول تعريف الأخلاق لغة واصطلاحا، وبينت ما تقصده بمفهوم أزمة الأخلاق. وبينت في المبحث الثاني أسباب أزمة الأخلاق من خلال رسائل النور، وذكرت منها البعد عن الدين الإسلامي وفصله عن الحياة وكذا الغزو الغربي الاستعماري والتدخل الأجنبي. أما المبحث الثالث فسردت فيه حلول أزمة الأخلاق من خلال رسائل النور، وميزت فيه بين الحلول الوقائية والحلول المعنوية، أما الأولى فتقصد بها الباحثة الحلول والوسائل التي وضعت من أجل صيانة وحفظ الأمة الإسلامية من أزمة الأخلاق قبل وقوعها. أما الثانية فتعنى بها الجوانب الروحية الإيمانية والقلبية، في حين أن الحلول المادية تختص بالجانب السلوكي والعمل الظاهر على الجوارح لعلاج هذه الأزمة.

وخلصت الباحثة في نهاية بحثها إلى النتائج والخلاصات الآتية:

- إن مفهوم الأخلاق يتضمن السيئة والحسنة للإنسان.

- حددت مفهوم أزمة الأخلاق في مشكلة تصيب الأخلاق فتنحرف بها عن الإسلام الذي بعث به الأنبياء عليهم السلام.

تعددت أسباب ومظاهر أزمة الأخلاق ومن بينها: البعد عن الدين الإسلامي وفصله عن الحياة الاجتماعية والتدخل الأجنبي وغيره من الأسباب، ومن مظاهر غياب التديّن الصادق تغليب المصلحة الشخصية على المصلحة العامة وتحوّل المجتمع المسلم إلى المادية المحضة.

– تقدم رسائل النور مجموعة من الحلول الوقائية ومنها القدوة والتربية الأخلاقية واستعمال الترغيب والترهيب، وإيجاد حلول معنوية ومادية وسلوكية ومنها التوكّل على الله والدعاء وغرس الإيمان في النفوس.

شكر رئيس الجلسة الباحثة على حسن عرضها وفتح باب الأسئلة والمناقشة وملاحظات الأساتذة، فكان أول المتدخلين الأستاذ الدكتور محمد الغزالي فشكر الباحثة ووجه لها سؤالا عن تعريف الإيمان وعن مباحث الغيب التي لم يتم عرضها، وسأل الباحثة عِذاب عن شرح مفهوم أزمة الأخلاق، هل هو أصيل أم مبتدع؟ وكذا ما العلاقة بين الأخلاق النظرية والأخلاق العملية؟ ثم تدخل الأستاذ الدكتور مأمون جرار بسؤال للباحثة عِذاب حول المصادر التي اعتمدتها لإنجاز بحثها في رسائل النور، وتدخل الدكتور محمد التومي وسأل الطالبة عِذاب عن سياق ربطها بين الأزمة والأخلاق، هل هو ربط مصطنع أم ربط حقيقي؟ ولاحظ على الباحثة في تعريفها للأخلاق، فضلا عن غياب الربط في بحثها بين الإطار النظري والجوانب النظرية والتطبيقية التي نستبين منها مظاهر أزمة الأخلاق. ثم تلاه الدكتور ماهر الهندي بتقديم ملاحظات عامة عن البحثين معا وذلك بدعوة الباحثين إلى تقديم عروضهم بطريقة منهجية؛ يعني توجيههم إلى كيفية عرض البحث وطريقة البيان حتى لا يظلم الباحث نفسه وبحثه بأسلوب العرض القاصر، وكذا الاهتمام بالقضايا الإجرائية في مقاربة البحث، بعده تدخل الدكتور أحمد قاسم كسار فلاحظ على الباحثة عِذاب عدم ربطها في مقاربة موضوعها بين الإيمان والغيب. ثم أجاب السيد رئيس الجلسة على بعض المداخلات ووجه أسئلة، ووفّر للباحثين فرصة الرد على الاشكالات والأسئلة.

أعمال الجلسة السابعة من جلسات الندوة العالمية الرابعة للأكاديميين الشباب

فعاليات اليوم الثاني: (الأحد ٢٤ حزيران) الساعة: من ١٤:٠٠ إلى ١٦:٠٠

ترأّس الجلسة الأستاذ الدكتور محمد الغزالي، واستهلت بمحاضرة الأستاذ الدكتور رعد الكيلاني: ''حقائق معرفية ومشروع إصلاح وتجديد''، أكّد فيه أنّ رسائل النور مشروع حافل بمواضيع تجديدية، ومسالك متنوّعة في الإصلاح، ثم عرف رئيس الجلسة بالباحث الموالي، واقترح مسلكا جديدا في سير الجلسات، فيعرض كل باحث مشروعه، ثم ننتقل إلى المناقشات، بعد ذلك أعطى الكلمة للدكتور رواء محمود

حسين من الجامعة العراقية بجمهورية العراق، فقدم بحثه وهو مشروع رسالته للدكتوراه الموسوم بـ: ''مدخل إلى حكمة الإعجاز القرآني عند الإمام بديع الزمان سعيد النورسي''، أشار فيها إلى ما ورد في كتابه ''إشارات الإعجاز في مظان الإيجاز'' ذلك الكتاب القيم الذي تضمن إشارات رائعة من إعجاز القرآن الكريم وبلاغته العالية وأسلوبه الراقي، يفحم به أعداء الدين ويسكت به فلول الإلحاد. وأخذ الكلمة بعده طالب الدكتوراه مؤيد إبراهيم عبد الرزاق الأعظمي من جامعة العلوم الإسلامية، قسم التفسير وعلوم القرآن بالأردن، فقدم رسالته للدكتوراه وهي بعنوان: ''النورسي وجهوده في التفسير وعلوم القرآن؛ جمع ودراسة ونقد''، وضّح من خلاله جهود الأستاذ في رسائل النور وأنها تفسير معنوي للقرآن الكريم وليست على منوال التفاسير القديمة وتتناول قضايا جديدة ومباحث متنوعة من خلال القرآن الكريم، ثم تلته الباحثة تقوى عبد الرؤوف الخطيب من جامعة اليرموك بكلية الشريعة والدراسات الإسلامية بالمملكة الأردنية، قدمت رسالتها للماجستير: ''الإيمان باليوم الآخر، أدلته وآثاره عند الإمام النورسي''، وبدأت بالحمد والثناء على الله تعالى، وشكر الحضور ومن ثم التعريف ببحثها، فتحدثت عن اليوم الآخر وأهمية الإيمان به وتركيز الأستاذ النورسي عليه في كل رسائله، وكذا استقرأت الأدلة من الرسائل التي استشفت منها آثار الإيمان بالغيب على المؤمن والحياة.

بعد ذلك أخذ الكلمة الباحث محمد التومي من كلية الآداب منوبة، بقسم النقد ومصطلحاته بالجمهورية التونسية، وكان موضوع ورقته بعنوان: ''التناسب أو علم النظام في إشارات الإعجاز في مظان الإيجاز لبديع الزمان سعيد النورسي''، أشار فيه إلى أهمية هذا العلم وأنه مبثوث في كتاب إشارات الإعجاز للأستاذ النورسي، وذكر الأستاذ تومي أنّ النورسي جاء بالجديد في هذا الموضوع من خلال التناول والمعالجة، فكتاب إشارات الإعجاز بما يحتويه من إيضاح للنظم القرآني والتناسب، عالج قضايا نحوية من منظور متقدم ومتطور على منوال عظماء اللغة العربية والنحو مثل السكاكي والجرجاني وغيرهم ممن أضافوا لهذا العلم، بل جاءوا بالجديد فيه.

بعد ذلك بدأت مداخلات بعض الأساتذة والباحثين تناولوا فيها الأسئلة والإيضاحات تمت الإجابة عنها وختمت الجلسة.

أعمال الجلسة الثامنة من جلسات الندوة العالمية الرابعة للأكاديميين الشباب

فعاليات اليوم الثاني: (الأحد ٢٤ حزيران) الساعة: من ١٦:٣٠ إلى ١٧:٣٠

افتتحت الجلسة برئاسة الدكتور آزاد سعيد سمو نيابة عن الدكتور نيازي بكي من جامعة مرمرة بإستانبول الذي كان مقررا أن يكون رئيسا للجلسة الرابعة، لكنه لم يحضر حينها، وتضمنت محاضرة أ.د. نيازي توجيهات أساسية للطلبة الأكاديميين المقبلين على الكتابة في دراسة رسائل النور وعلومها، وهي كالتالي:

- يستلزم منهج العلوم القرآنية في رسائل النور من الطلبة الباحثين التدقيق في المصطلحات، والتمييز بين المعنى العام في العلوم الإسلامية والمعنى الخاص في رسائل النور.

- يتعيّن على الباحث أن يمزج بين العلوم الدينية (ضياء القلب) والعلوم الكونية (ضياء العقل) لأن بامتزاجهما تتجلى همة الباحث، وبافتراقهما يحصل التعصب في الأولى والشبهة في الثانية.

- لفت أنظار الشباب الباحثين إلى أن رسائل النور تفسير شهودي للقرآن وليس تفسيرا لفظيا، وكمثال على ذلك ما ورد في الكلمة العاشرة من كتاب الكلمات بخصوص موضوع الحشر، وبهذا أنهى الدكتور نيازي محاضرته.

بعد ذلك أعطى رئيس الجلسة الكلمة للباحث إبراهيم نجيب إبراهيم من المعهد العالي للدراسات الإسلامية بقيم الدراسات الاجتماعية من جمهورية مصر العربية، ليقدم أهم ما ورد في رسالته لنيل الدكتوراه الموسومة بـ: ''النبوة في فكر الإمام بديع الزمان سعيد النورسي''، واستهل الباحث بحمد الله والثناء عليه ثم شكر القائمين على تنظيم المؤتمر، بعد ذلك استرسل في عرض نبذة عن أطروحته، بيّن في المستهل أنّ أهم مرامي البحث الاقتباس من أنوار رسائل النور في موضوع النبوة، ليثبت أنها منحة إلهية لإصلاح الدنيا والآخرة، ورحمة إلهية بالبشرية لإخراجها من الشك إلى اليقين، مع إيراد البراهين الدالة على الثبوت القطعي لهذه النبوة بالوحي والعقل والقلب، قدّم الباحث رسالته في خمسة فصول:

الفصل الأول: تناول فيه بالعرض والتحليل السمات الشخصية والثقافية التي كونت منهج النور الإيماني في رؤية النبوة. والفصل الثاني عرض فيه خصائص الرسالات

السماوية ودور الأنبياء في نشرها، أما الفصل الثالث فأفرده للنبوة وعلاقتها بالمعجزة بمختلف أنواعها. وفي الفصل الرابع توقف عند النبوة والولاية والعلاقة بينهما عند النورسي. وبيّن في الفصل الخامس البعد المعرفي والأخلاقي للنبوة في فكر الأستاذ النورسي رحمه الله. وخلص في خاتمة الرسالة إلى أهمية النبوة في إنارة الطريق للإنسان من أجل بلوغ الكمال.

ثم انتقل رئيس الجلسة للحديث عن شخصية الأستاذ النورسي التي استوقفت جميع معاصريه، لما تميزت به من صفات أهمها الجرأة التي يحتاجها الدعاة من أجل إيصال دعوتهم للناس. وقد تميز الأستاذ النورسي بالجرأة منذ طفولته، حيث كان يسير وحده في الظلام على الأقدام وبين الجبال، وكذلك في شبابه، أما كهولته فقد قضاها في المحاكم مُتَّهَمًا فيها بتهم باطلة، وبالرغم من كلّ ذلك ظل شامخا لا يحيد عن الحق والاعتدال، فقال مثلا في رده على تهمة استغلال الدين لأغراض سياسية: ''أنا أتهمكم باستغلال السياسة لنشر الإلحاد في تركيا''.

قدّم بعدها الباحث هشام أنور رفاعي إبراهيم من المعهد العالي للدراسات الإسلامية بقسم الشريعة الإسلامية من جمهورية مصر، مشروعه لنيل الماجستير الموسومة بـ: ''دور العقيدة في منهج النورسي الإصلاحي''، مبرزا وظيفة الإسلام عقيدة وأخلاقا في التأسيس لسلوك وأخلاق تؤصل لكيفية التعامل مع المجتمعات.

انتقل الباحث بعدها إلى بيان أسباب اختياره للموضوع، ثم توقّف عند الخلل الذي أصاب عرض درس العقيدة الإسلامية، إذ تلخّصت في مجرد تكرار مسائل إلهيات، في حين أن العقيدة تدعو إلى البناء ولها من الفاعلية والتأثير على الفرد والمجتمع والحياة.

لا يمكن إنكار أهمية العقيدة في التأثير على الجنس البشري منذ ظهوره على وجه البسيطة، كما أنه لم تعرف أمة تقدما إلا بالعقيدة الإسلامية، فهي مصدر فاعلية البناء والحركة لأنها تربط بين الروح والمادة في تواصل تام.

انتقل الباحث بعدها إلى خطة رسالته والتي تضمنت ما يأتي:

- مقدمة أبرز من خلالها أهمية الموضوع والحاجة إليه، ثم تلاها بثلاثة فصول.

- الفصل الأول: مفاهيم العقيدة والمنهج والإصلاح.
- الفصل الثاني: أسس العقيدة الإسلامية وخصائصها.
- الفصل الثالث: أثر العقيدة في منهج النورسي الإصلاحي.

وختم الباحث بهذا مداخلته، ثم قدم له رئيس الجلسة الشكر على عرضه وفتح المجال للمداخلات.

ثم جاء الدور على المداخلات فوجه الدكتور عبد الحكيم الأنيس للباحث إبراهيم سؤالا مفاده بيان عدد الحجج العقلية والنقلية التي أتى بها النورسي لإثبات النبوة، وبما أنك تحدثت عن النورسي وردّه على منكري النبوة، فهل تطرقت لحديث النورسي عن مدعيها؟ فأجاب بعدم تصفحه كل رسائل النور حيث إنه لازال في طور البحث، أما مدعي النبوة فإن أمره واه، لذلك أولى أهمية لمنكري النبوة.

ووجه الدكتور عبد الحكيم الأنيس أيضا سؤالا للباحث هشام كون استعمال مصطلح دور غير مناسب، وهنا تساءل لِمَ لا يكون اختيار مصطلح أنسب؟ ثم إن الموضوع الذي اخترت كبير جدا، فالعقيدة نبوات وسمعيات... فأي جانب ستتطرق له؟ ولماذا تحدثت عن الإسراف؟ فهو جانب سلوكي وليس عقائدي. فأجاب: لقد اخترت في الأول مصطلح أثر، لكن أحد الأساتذة غيره بالدور. العقيدة تدخل في كل المجالات، وصاحب العقيدة متدين، لذلك فهو لا يسرف، لهذا تحدثت عن الإسراف.

ثم تدخل الباحث محمد التومي فوجه سؤالا للباحث هشام لماذا تحدثت في فصل تحرير المفاهيم أيضا عن مصطلحات المنهج والإصلاح؟ وكان جوابه لأنها مصطلحات مساعدة للبحث في مجال العقيدة.

ووجه الباحث عاصم عبد البر ملاحظة لرئيس الجلسة قائلا بأن الجريء لا ينظر إلى العواقب، فحري بنا وصف الأستاذ النورسي بالشجاعة وليس بالجرأة، لأن الشجاع ينظر للعواقب.

وتدخل الدكتور مأمون جرار فدعا إلى إعداد بنك معلومات لرسائل النور وكشاف للرسائل الجامعية والبحوث والمقالات لحماية الباحثين من التكرار في رسائلهم الجامعية.

وبهذا تمت فعاليات الندوة العالمية الرابعة للأكاديميين الشباب في الورشة المخصصة لكاتبين باللسان العربي.

ثانيا: ورشة اللغة الإنجليزية

شارك في الندوة العالمية الرابعة للشباب حول رسائل النور في القسم الإنجليزي مجموعة من الطلاب في طور إنجاز رسائلهم الأكاديمية للنيل شهادتي الماجستير والدكتوراه، وتجاوز عدد الطلاب الأربعين طالبا من أستراليا، وأندونيسيا، ماليزيا، الهند، باكستان، إيران، نيجيريا، سنغافورة، تايلاند، الفلبين، الولايات المتحدة الأمريكية، إنجلترا، وألمانيا، وبلجيكا، والبلاروسيا، وتركيا. و شارك في تأطير الباحثين جملة من خيرة الأساتذة الموجهين يتقدمهم أد فارس قايا، و أ.د. سعيد أوزر وارلي من تركيا، وأ.د.يونس جانكال من تركيا، وأ.د. فريد العطاس من سنغافورة، وأ.د. ألب أرسلان أجق كنج من تركيا، وأ.د. حميد الله مرازي من الهند، وأ.د.علي أكبر من باكستان، والأستاذ المساعد إسماعيل حاجي نبي أوغلو من تركيا، ودة. إسراء يازيجي أوغلو من الولايات المتحدة الأمريكية، ودة. زليخة جولاق من الولايات المتحدة الأمريكية، والأستاذة المساعدة جولسوم جوناي من ألمانيا.

وقد تنوّعت المشاريع من حيث تخصصاتها واهتمامات أصحابها، فشارك، الباحث صالح صايلجان، بمشروعه الموسوم بـ: عناصر التجديد عند طلبة النور: مقاربة فينومولوجية، المقدم لنيل دكتوراه بالجامعة الكاثوليكية (الولايات المتحدة الأمريكية)، وشارك الباحث جياني جيمس إيزو، بمشروعه: ''هيكلة الحلول غير الممكنة: سعيد النورسي و اللالاهوتية''، وهو مقدم لنيل ماجستير، الجامعة الأمريكية ببيروت (لبنان)، كتب نور شهريل سعد، في ''الدولة في المجتمع الروحي: سعيد النورسي، الإسلام والحكم'' لنيل الدكتوراه بالجامعة الوطنية الأسترالية (أستراليا)، كما عرض أويكار أيدمير، ''تجديد الإيمان وبديع الزمان في عصر الديموقراطية ومحو الأمية''، المقدم لتحصيل الدكتوراه بجامعة صابانجي (تركيا)، واستمع الحضور للباحثة شميلا ماجد، في مشروعها عن ''منهجية سعيد النورسي في الخطبة الشامية فيما يخص إحياء المجتمع الإسلامي'' المقدم لنيل الدكتوراه بجامعة بنجاب (باكستان)، وكتبت بتانيا كارتيكا مفلح في موضوع: ''أهمية مفهوم الرحمة وقيمته في حياة الإنسان من منظور بديع الزمان سعيد النورسي'' لنيل الدكتوراه بجامعة مالايا (ماليزيا)، وساهم محشد تورنر، بنبذة عن مشروعه المقدم لنيل الدكتوراه بجامعة دورهام (إنجلترا)ن وقد اختار الكتابة في ''مفهوم الحزن من منظور سعيد النورسي''، واسمتع الحضور للباحث نزار

أك في ''المقارنة بين الشاه ولي الله الدهلوي والأستاذ سعيد النورسي رحمهما الله في مقاربة العقل والوحي'' المقدم لنيل الدكتوراه بجامعة دار الهدى الإسلامية (الهند)، وقدّم الباحث دوسمامات كريموف تعريفا مجملا بمشروعه ''مفهوم العدالة في رسائل النور في ارتباطه بالقدر'' لنيل الدكتوراه بجامعة دورهام (إنجلترا)، استمعنا بعدها لموضوع: ''التجديد الإسلامي والسياسة: مقارنة بين بديع الزمان سعيد النورسي وشيخ الهند مولانا محمود حسن الديوبندي''، وقدّمه عبد الرحمن،المسجل بجامعة جواهر لال نهرو (الهند) لنيل الدكتوراه، ثم عرض بحث ''المثقف باعتباره رائدا في العالم الإسلامي.'' للباحث نور هدايتي محمد ميهارجا، وهو مشروع لنيل الماجستير (سنغافورة)، ثم جاءت ورقة زينب صايلجان عن: ''إعادة تكامل القواعد الأخلاقية في المجتمع الحديث: إحياء المدرسة وتطورها'' وهو مشروع دكتوراه بجامعة جورج تاون (الولايات المتحدة الأمريكية).

ولمزيد تفاصيل يمكن مراجعة البحوث على الرابط أسفله:

http://www.iikv.org/academy/index.php/coonferencee/issue/view/49/showToc

* * *

رسائل النور في العالم

أولا: أنشطة علمية بالمغرب:

١- التقرير النهائي عن مؤتمر الجديدة ٢٠١٢

انعقد بفضل الله تعالى برحاب كلية الآداب بجامعة شعيب الدكالي في الفترة ما بين ١٦ و١٧ جمادى الآخرة ١٤٣٣هجرية، الموافق ٨ و٩ مايو ٢٠١٢ ميلادية، المؤتمر الثالث للتفسير الأدبي في كليات رسائل النور في موضوع: قضايا البلاغة والإعجاز البياني عند الأستاذ بديع الزمان سعيد النورسي.

من هذا المنطلق الأساس قام هذا المؤتمر، شارك فيه عدد من الباحثين من مختلف الجنسيات بأبحاث أكاديمية قيمة. وقد تميزت جلساته منذ افتتاحها الذي استهل بآيات من الذكر الحكيم إلى آخر ساعة متأخرة من ختامها بالحضور المتواصل وبالمناقشات الجادة والمشاركات الهادفة من قبل الجمهور.

وقد افتتح هذا النشاط العلمي بكلمات السادة المسؤولين الأكارم والعلماء الأفاضل، فكلمة السيد مدير البحوث والدراسات في مؤسسة إستانبول للثقافة والعلوم، وتلته كلمة السيد رئيس المجلس العلمي بالجديدة، وأعقبه السيد رئيس المجلس العلمي بسيدي بنور، وتناول بعده الكلمة السيد رئيس شعبة الدراسات الإسلامية.

بدأت الجلسات بمشاركة علماء وأساتذة من دول مختلفة منهم: أ.د. عبد الهادي دحاني من الجديدة بالمغرب بكلمة تحت عنوان: ''التفسير الأدبي في رسائل النور: مقوماته وخصائصه''، ثم تلاه أ. إحسان قاسم الصالحي من تركيا بمداخلة تحت عنوان: ''النورسي مفسر العصر''، وبعده أخذ الكلمة أ.د. سمير حميد من مكة المكرمة بمداخلته: ''المعاني والمباني في النظم القرآني: دراسة في 'إشارات الإعجاز في مظان الإيجاز'،'' وتلاه أ.د. سعيد الغزاوي من المغرب بمداخلته: ''من أسرار النظم في سورة الفاتحة: مقارنة بين رؤية البرزخ عند ابن عجيبة ورؤية المعراج عند النورسي''، تلاه أ.د.خليفة بوجادي من الجزائر بمداخلة بعنوان: ''التفسير البياني بين الدرسين البلاغي واللساني في إشارات الإعجاز للنورسي''، ومن بعده أ.د. خليل جيجك من تركيا بمداخلة بعنوان: ''قراءة بلاغية للنورسي في إعجاز القرآن''، ثم تلاه أ.د. عزيز

محمد عدمان من الجزائر بمداخلة بعنوان: ''مفهوم البلاغة عند النورسي، قراءة في المصطلح وأبعاده القرآنية''، ثم تلاه أ.د. عاشور مزيلخ من الجزائر بمداخلة تحت عنوان: ''قراءة في مفهوم النورسي للنظم في القرآن'' ، تلاه أ.د. أبو بكر العزاوي من المغرب بمداخلة بعنوان: ''أسلوب الحوار والإقناع، نماذج من رسائل النور'' وبعده أخذ الكلمة أ.د. حمدادو بن عمر من الجزائر بكلمة تحت عنوان: ''دلالات الحوار الإقناعي والمحاججة التربوية عند النورسي''، ثم تلاه أ.د. محمد خروبات من المغرب، بمداخلة تحت عنوان: ''المعايير الأخلاقية في أسلوب رسائل النور''، ثم تلاه أ.د. خلاف الغالبي من المغرب، بمداخلة تحت عنوان: ''العلم بين القرآن والإنسان عند الإمام بديع الزمان''، وبعد ذلك أخذ الكلمة أ. د. محمد بن عبد العزيز نصيف من السعودية، بمداخلة تحت عنوان: ''توظيف الدلالات الأصلية لاستخراج النكات البلاغية عند النورسي''، ثم تلاه بعد ذلك ذ. محمد مغنوج من وجدة بكلمة بعنوان: ''الخطاب الوعظي عند النورسي''، ثم تلاه أ.د.عبد الماجد القاضي من الهند، بكلمة تحت عنوان: ''العناصر الفكرية والفنية والنفسية في منهج النورسي في التفسير''، تلاه بعد ذلك أ.د. الحسن قراب من المغرب بمداخلته تحت عنوان: ''المنهج النفسي عند النورسي في تفسير القرآن الكريم''. وتم بذلك اختتام الندوة بعدد من التوصيات.

٢ـ التقرير النهائي لندوة أكادير

أخذت مجلة النور للدراسات الحضارية والفكرية وقفة لمزيد من التأمل في فكر الأستاذ سعيد النورسي من خلال لقاءات علمية بالمغرب أيام ٢٢-٢٣-٢٤ مارس ٢٠١٢ تحت عنوان ''الأستاذ بديع الزمان سعيد النورسي: فكره ودعوته، وأثره في ترسيخ العلاقات المغربية التركية''.

لقد كان للأستاذ بديع الزمان سعيد النورسي الأثر الكبير في توجيه الحياة الفكرية والتربوية بتركيا، وحفظ الهوية الإسلامية للشعب التركي، وامتد أثر دعوته الإصلاحية إلى جهات كثيرة من العالم. وإن مدرسته في الفكر والإصلاح هي محل بحث من قبل كثير من الباحثين في الفكر الإسلامي المعاصر من المسلمين وغير المسلمين. فكثير من أهل الفكر، وعامة القراء يقرون ويؤكدون أن رسائل النور تحرك قلب قارئها وتسدد عقله، وترفع من همته بسبب ما تحمله من المعاني التي تخاطب العقل

والروح، وتداعب الفكر والوجدان، ويحصل بها السمو الروحي والرقي الفكري. وإن حياة مؤلف رسائل النور الأستاذ سعيد النورسي أنموذج للعالم المسلم المربي، الداعية المصلح، في تفانيه وتضحياته، وتوازنه واعتداله، ودقة تفكيره، وثاقب نظره، وسمو أخلاقه.

فهذه كلها جوانب تستحق مزيدا من التدبر والتأمل، والنظر والبحث العلمي. ولهذا انعقدت بمدينة أكادير بالمغرب ثلاث ندوات، شارك فيها الأستاذ إحسان قاسم الصالحي من تركيا، وثلة من الأساتذة من جامعة ابن زهر وجامعة القرويين.

كانت **الندوة الأولى** بقاعة المحاضرات بغرفة التجارة والصناعة والخدمات بمدينة أكادير، بتعاون بين مجلة النور وماستر ''الخطاب الشرعي وقضايا العصر'' بكلية الآداب والعلوم الإنسانية، شارك فيها الأستاذ إحسان قاسم الصالحي بعرضه تحت عنوان: ''معالم من فكر الأستاذ النورسي''، وانطلق في ذلك من بيان هو أن الأفكار التي دعا إليها والدعوة الإصلاحية التي سعى من أجل نشرها، كل ذلك إنما هو قبسات من أنوار القرآن الكريم.

ثم تلته الأستاذة لطيفة شرس من شعبة التاريخ بكلية الآداب بأكادير، قدمت عرضا بعنوان: ''صورة الأتراك عند الرحالة المغاربة''، حاولت من خلاله استنطاق المصادر التاريخية وتقديم نماذج من الصلات والعلاقات بين المغرب وتركيا عبر التاريخ. وتوجهت خاصة إلى كتب الرحالة المغاربة الذين زاروا تركيا ودونوا أخبار رحلاتهم.

وأخذ الكلمة الأستاذ أحمد السيحي المدير التربوي للمركب التربوي القلم قدم عرضا بعنوان: ''بعض مظاهر التجديد عند الأستاذ بديع الزمان النورسي وأثرها في توطيد العلاقات المغربية التركية''، رصد فيه بعض مظاهر التجديد عند الأستاذ النورسي التي كان لها الأثر الإيجابي على العلاقات المغربية التركية، وجمع الأستاذ هذه المظاهر في: ١- تجديد الإيمان لإنقاذه. ٢- التجديد والتغيير الشامل في الحياة الإسلامية يبدأ من الإنسان ومن البنى التحتية، المعنوية والمادية ويدخل في عمق النفس الإنسانية . ٣- وضع الأستاذ النورسي أسس الوحدة الفكرية للمسلمين. ٤- اعتماده على الحوار في رسائله بأسلوب تجديدي مشوق، مع النفس والعقل والروح والقلب، مع المسلمين و مع الآخرين، بل مع الوجود كله من الذرة إلى المجرة. ٤- التجديد في أسلوب الدعوة إلى الله، وذلك بعدم الدخول في صدامات وصراعات

داخلية وتوجيه الجهود إلى مقارعة الجاهلية المعاصرة بالبرهان والدليل العقلي والعلمي . وكانت الجلسة برئاسة الأستاذ عبد الكريم عكيوي من شعبة الدراسات الإسلامية بكلية الآداب، وكان العرض الأخير للدكتور عبد الكريم عكيوي عبارة عن قراءات مختارة من رسائل النور.

وانعقدت **الندوة الثانية** بكلية الشريعة بأكادير التابعة لجامعة القرويين، وافتتحت بكلمة السيد عميد الكلية الدكتور عبد العزيز بلاوي، توجه فيها بالشكر إلى القائمين على مجلة النور، وللأساتذة المشاركين، وأعرب عن ترحيب الكلية بجميع أشكال التعاون العلمي والثقافي مع تركيا..

وقد شارك الأستاذ إحسان قاسم الصالحي، بمداخلته ''بعض معالم فكر الأستاذ النورسي''، وقصد خاصة إلى خاصية متميزة في منهج الأستاذ النورسي الذي اقتبسه من القرآن الكريم وهو منهج التأليف بين الوحي والكون.

ثم تلاه الأستاذ عبد المالك أعويش من كلية الشريعة، ببحث بعنوان: ''مفهوم السعادة والكمالات الإنسانية في رسائل النور''.

وبعد ذلك ألقت الأستاذة حبيبة أبوزيد من كلية الشريعة، بحثا بعنوان: ''الأستاذ النورسي ترجمان القرآن''، استهلته بذكر محطات من حياة الأستاذ النورسي الدالة على علو همته وشفوف نظره وقوة تمسكه بالقرآن الكريم.

وكان مسك الختام الأستاذ عبد الكريم عكيوي من كلية الآداب، وكانت الجلسات برئاسة الأستاذ محمد الوثيق. وانعقدت **الندوة الثالثة** بكلية الآداب بأكادير برئاسة الدكتور عبد الواحد الإدريسي ومشاركة الأساتذة: إحسان قاسم الصالحي ببحثه الموسوم بـ: ''معالم الاستمداد من القرآن الكريم عند النورسي''، خلاصة ورقته تذوق معاني القرآن الكريم والعيش بها والاهتداء بأنوارها.

ثم تلاه أ.د. عبد الله البخاري ببحث بعنوان: ''مكانة السنة النبوية الشريفة في فكر الأستاذ بديع الزمان سعيد النورسي''، استهله بالدعوة إلى قراءة اللمعة الحادية عشرة من رسائل النور حيث تجد قوة النورسي في الحث على اتباع السنة المطهرة، والعمل بها وتمثلها، والعيش عليها فكراً وعملاً وسلوكاً، وتأكيده على ذلك إلى حد يحمل القارئ على التأثر فيجد نفسه منقاداً ومطواعاً ومحباً ومعظماً ومشتاقاً للعمل بالسنة.

ثم قدم أ.د. عبد الكريم عكيوي عرضه بعنوان: ''قبسات من منهج النورسي في

الفكر والدعوة والإصلاح"، وجمعها في القواعد الآتية: ١- التجرد لخدمة الأمة وإنقاذ الإيمان ٢- التأليف بين العقل والقلب، والغيب والشهادة، والوحي والكون. ٣- قوة الاستمداد من القرآن ٤- الرجوع إلى القرآن رجوع المحتاج الفقير إلى معانيه وأنواره. ٥- العمل بفكر الجماعة واتقاء العداوة والنزاع.

واختتمت بذلك أشغال الندوات بأكادير.

ثانيا: رسائل النور في الهند

قام الأستاذان إحسان قاسم الصالحي والدكتور عبد الحكيم الأنيس بزيارة علمية إلى الهند.

ففي يوم السبت ٤/١٤ استُقبل الأستاذان بأقدم جامعة إسلامية في الهند (تأسست سنة ١٨٦٦)، وهي جامعة دار العلوم في مدينة (ديوبند)، فكانت الفرصة مواتية لتبادل أطراف الحديث مع وكيل رئيس الجامعة وقسم من أساتذتها، وقد أهدى الأستاذ إحسان بهذه المناسبة المجموعة الكاملة لكليات رسائل النور إلى مكتبتها، وتجولا في أركان الجامعة وبخاصة في المكتبة الغنية بالمخطوطات التي منها صفحات من القران الكريم بخط الملك الصالح أورنك زيب. وفي المساء أقيم حفل حاشد بالمسجد الكبير لإلقاء الأستاذين إحسان وعبد الحكيم محاضرتين، عن رسائل النور وأهميتها في عرض جديد للإسلام وأهميته في تنمية العلم والإنسان، واستثمرت الفرصة للتواصل مع الوسط الطلابي، فكان للأستاذين لقاء علمي مع طلبة قسم التخصص للغة الانكليزية.

وتمت في يوم الأحد ٤/١٥ زيارة جامعة مظاهر العلوم الإسلامية في مدينة (سهارنفور)، حيث ألقى الضيفان محاضرتين عن رسائل النور على طلاب قسم اللغة العربية في مركز محمد زكريا الكاندهلوي، ثم سافرا إلى (تهانه بهون) وزيارة مدرسة إمداد العلوم، ثم بيت حكيم الأمة أشرف علي التهانوي الذي ألّف ألف كتاب ما بين كبير وصغير في العلوم الإسلامية، ودفن في المقبرة التي وقفها بنفسه لدفن موتى المسلمين.

ثم سافرا إلى (كاندهلة) لزيارة المدرسة الإسلامية السليمانية وزيارة خاصة للشيخ افتخار الحسن.

وفي يوم الاثنين ٤/١٦ حاضر الأستاذان إحسان وعبد الحكيم على طلبة الاختصاص في الدراسات العليا (ماجستير ودكتوراه) بجامعة دلهي، بقسم اللغة العربية، ثم زيارة جمعية علماء الهند المركزية، ورئيسها. ثم زيارة إلى الجامعة الملية الإسلامية

أما يوم الثلاثاء ٤/١٧ صباحا فكانت زيارة القلعة الحمراء التي تعد من الآثار المهمة للدولة المغولية الإسلامية. ثم كلية ذاكر حسين (أول مسلم يتولى رئاسة الهند ١٩٦٧-١٩٦٩) واللقاء مع عميد الكلية الدكتور محمد أسلم برويز، وتقديم عدد من رسائل النور إلى الكلية .

ثم زيارة رئيس قسم اللغة العربية في جامعة نهرو JNU الدكتور محمد أسلم الإصلاحي. فقدم الأستاذان إحسان الصالحي وعبد الحكيم الأنيس محاضرتين بجامعة نهرو، تناولت بالعرض والتعريف رسائل النور، ومما قاله الأستاذ الإصلاحي في تعليقه على المحاضرتين في وصف حبّهم للغة العربية كأنهم مصداق قول الشاعر :

أتاني هواها قبل أن أعرف الهوى فصادف قلبا خاليا فتمكنا

وبعد صلاة العشاء قاما بزيارة المدرسة الأمينية في دلهي القديمة الذي كان الشيخ محمد أنور الكشميري من مؤسسيها، وقدما بعض الرسائل إلى مكتبتها.

أما يوم الأربعاء ٤/١٨ فسافر الأستاذان إلى (لكنهؤ)، وذهبا من المطار مباشرة إلى قرية ''رائي بريلي'' قرية الأستاذ أبي الحسن الندوي التي توفى فيها ودفن في مقبرة العائلة. ودعوا الله له طويلاً وفاءً لما أمدّهما بكتاباته من معاني الإيمان .

وتجولا في البيت الذي كان يسكنه، ووقفا أمام السرير الذي انتقل عليه إلى رحمة ربه. وكان دليلهما الأستاذ بلال عبد الحي بن محمد الثاني بن عبد العلي الحسني (وعبد العلي هذا شقيق الأستاذ الندوي). والذي يترأس المركز الذي أسسه طلاب الشيخ وذووه في القرية باسم ''مركز الإمام أبي الحسن الندوي للبحوث''، وفيه كل ما يتطلبه البحث العلمي من وثائق ومراجع. ومما قاله الأستاذ بلال للضيفين: إن الأستاذ الندوي قد قرأ ''الكليات'' كاملة وأعجب بها كثيرا حتى إنه أوصى أحد تلاميذه بترجمتها إلى اللغة الأردية، وكان يقول: أنا أدعو لهذا الرجل كل يوم بعد تلاوة القرآن. وبعد تناول الفطور ألقى كل من الاستاذين محاضرة حول النور على الطلبة في المركز هناك.

ثم انطلق الوفد إلى جامعة ندوة العلماء ولقاء الشيخ محمد الرابع الحسني رئيس الندوة والدكتور سعيد الأعظمي مدير الجامعة، ورئيس تحرير مجلة البعث الإسلامي التي تصدر منذ أكتوبر سنة ١٩٥٥. وأهديت لهم ''الكليات'' كاملة.

وفي المساء ألقى أعضاء الوفد محاضرة عامة عن حياة الأستاذ النورسي والرسائل وأهمية العلم والدعوة والإفادة من منهج النورسي والندوي، وذلك في الحفل الحاشد في المسجد والذي يقدر بثلاثة آلاف طالب.

وفي العشاء زارا (دار العلوم فرنكي محل) عند الشيخ خالد رشيد نظام الدين، وأُهديا له رسائل بالعربية والإنكليزية.

وفي يوم الخميس ١٩/ ٤ قدَّم الأستاذ إحسان والأستاذ عبد الحكيم محاضرتين في صفين منفصلين للمتخصصين في دار العلوم، فقدم الأستاذ عبد الحكيم قواعد البحث العلمي كما في التراث و ''محاكمات'' الأستاذ النورسي، أما الأستاذ إحسان قد شرح منهج الأستاذ النورسي في تفسير القرآن الكريم في مرحلتيه القديمة والجديدة.

ومن هناك كانا على موعد مع الجامعة الموحدة integral التابعة لندوة العلماء التي تدرّس فيها العلوم الحديثة باللغة الإنكليزية، وقدما الكليات الإنكليزية إلى رئيس الجامعة.

وقبل أن يحين الظهر تابعا السيرَ إلى جامعة الإمام أحمد بن عرفان الشهيد في مليح آباد، وألقى كل منهما محاضرة على الطلاب في المسجد قبل صلاة الظهر.

وكانت رحلة يوم الجمعة ٢٠/ ٤ خاصة بزيارة القسم العربي في جامعة عليكره (التي أسسها سيد أحمد خان سنة ١٩٢٠)، وألقى أعضاء الوفد محاضرتين للمتخصصين من الطلبة وأساتذة القسم، وقدم الوفد ''الكليات'' وكتبا أخرى إلى القسم.

* * *

مؤسسة إستانبول للثقافة والعلوم
المؤتمرات المستقبلية لموسم ٢٠١٢ – ٢٠١٣

ديسمبر ٢٠١٢: مؤتمرات الشرق الأقصى

مؤتمرات في كل من: كوالامبور بماليزيا، وسنغافورة، وبالمبانك في أندونيسيا، حول بديع الزمان سعيد النورسي والحلول التي طرحها لمستقبل أفضل للإنسانية استوحاها من القرآن الكريم.

يناير ٢٠١٣: الهند

مؤتمرات في أفكار بديع الزمان سعيد النورسي والحلول التي طرحها لإسعاد الإنسانية، في كل من جامعات الهند الآتية: دلهي الجديدة، جامعة عليكره، جامعة كشمير، جامعة انتكرال التابعة لندوة العلماء بلكنهو، وجامعة مظفر آباد.

٢٢–٢٤ مارس ٢٠١٣: ، تركيا، ماردين

ندوة الخطبة الشامية لبديع الزمان النورسي، جامعة أرتوكلو بماردين.

٢٠–٢١ أبريل: الأردن، عمان

المركز الثقافي الإسلامي في الجامعة الأردنية يقيم مؤتمرا لمدة يومين في موضوع جهود بديع الزمان سعيد النورسي في خدمة القرآن الكريم من خلال رسائل النور.

٠٣–٠٥ مايو ٢٠١٣: تركيا، أورفا

جامعة حران: ندوة بديع الزمان الوطنية الثالثة، ٠٣–٠٥ مايو، رسائل النور والتجديد.

١١–١٢ حزيران (يونيو) إستانبول

الندوة العالمية الخامسة للأكاديميين الشباب.

اكتوبر، إستانبول

المؤتمر العالمي العاشر: النبوة، ودورها في ايجاد أفضل حياة للإنسانية.

* * *

الاستكتاب للأعداد القادمة

بلغت مجلتكم ''النور للدراسات الحضارية والفكرية'' عامها الثالث على التوالي، وكانت آمالها معقودة على الله، مصدر قوتنا وعزمنا وعزّنا أولا، ثم على الأساتذة والباحثين المجيدين للكتابة باللسان العربي، لعلّنا نظفر منهم بدراسات ملتزمة بالخط المنهجي والمعرفي للمجلة، وتيسيرا للمساهمات الجادة رأت المجلة تخصيص عدد للتفكر والتفكير في الفكر الإسلامي ورسائل النور على الخصوص، إذ تعد الرسائل من مسالك التجديد في التفكر في المسألة الدينية والمدنية والرؤية الإصلاحية الشاملة، خصصنا الملف القادم للتفكّر لأن مبدإ الإصلاح فكرة، قبل أن يكون برنامجا مطبّقا، وبغير إصلاح في التفكر والتفكير، لايمكن الحديث الجدي عن التدبير.

تنتظرالمجلة بحوثكم المنضبطة في منهجها، الملتزمة بشروط النشر المبيّنة في المجلة نفسها، والمجلة لا يمكن أن تستغني عن مقترحات تحسين الأداء واستجلاب الفعالية المنشودة، كلّ ذلك لأجل تحقيق وثبة إيمانية تسعف أمتنا في العودة إلى إيمانها، واستعادة أمنها النفسي والفكري والتربوي والاجتماعي، والمساهمة في استقرار العالم بإسعاف الإنسانية التي تتنظر من المسلمين إسعافها للخروج من ورطة المادية المهلكة، ومسالك التنافس في امتلاك القوة الباطشة، التي كانت سببا مباشرا في شيوع العنف القاتل، والاستكبار الهالك، أيها المسلم الصادق الإنسانية تستغيث، فهل من مجيب؟

والله من وراء القصد وهو يهدي السبيل.

* * *

معلومات عن النشر في المجلة

١. تنشر المجلة البحوث الأصيلة (تنشر أول مرة) المنجزة في الدراسات الحضارية والفكرية بمعناه العام.
٢. تسعى المجلة إلى نشر البحوث والدراسات المتوافقة مع العمل العلمي الجدي المتجلي في وضوح المقاصد والأهداف، ودقة المنهجية.
٣. لا ترى المجلة مانعا من نشر الدراسات التأصيلية في ميادين الدراسات الفكرية والحضارية، وخاصة إن حازت عناصر الجدة والدقة.
٤. ترحب المجلة بالبحوث المقارنة سواء تعلّقت بالدراسات المقارنة في ذات الفضاء الفكري أو من فضاءين مختلفين أو من فضاءات متعددة.
٥. تعمل المجلة على تشجيع الدراسات والبحوث النقدية الواضحة المقاصد الملتزمة بآداب الحوار والنقاش، المتقيّدة بالمنهجية العلمية.
٦. تشجع المجلة على التعريف بأعلام الفكر والدراسات الحضارية، لهذا تتبنى خدمة هذا الهدف بنشر الدراسات المعرّفة برجالات الفكر ولاسيما الشخصيات العلمية التي لم تحظ بالتعريف بالقدر الكافي.
٧. تخدم المجلة الباحثين الناشئين وتشجّع دراساتهم المنجزة، وتقدّم ملخصات مركّزة عن أعمالهم المقدّمة لنيل الدرجات العلمية الأكاديمية.
٨. تنشر المجلة بعنوان المقالات المحكّمة التغطية الجيّدة لأعمال المؤتمرات والورشات أو الأيام الدراسية العلمية الحضارية والفكرية.
٩. تنشر المجلة بعنوان الدراسات الأكاديمية، البحوث المنجزة في التعريف بالكتب النوعية في ميدان الدراسات الحضارية والفكرية، يقدّم فيها الباحث أهم عناصر الكتاب وأهم النتائج التي خلص إليها، مع بيان المآخذ التي سجّلها على الكتاب.
١٠. تعرض الدراسة أو البحث المقدم للنشر على محكّمين من أهل الاختصاص، تختارهم إدارة المجلة، ويُلْزَم صاحب العمل المقدّم بإعادة النظر في بحثه أو دراسته في ضوء الملاحظات المقدّمة له.
١١. يمنح صاحب البحث نسخا (عدة مستلات) من بحثه المنشور، فضلا عن عدد من المجلة التي نشر بها بحثه.
١٢. تحتفظ المجلة بحق نشر العمل المنشور في كتاب أو بشكل مستقل، بلغته الأصلية أو مترجما.
١٣. البحوث والدراسات التي وصلت المجلة لا ترد إلى أصحابها سواء نشرت أو لم تنشر.
١٤. ترسل البحوث والدراسات على العنوان الإلكتروني للمجلة editor@nurmajalla.com بشرط أن لا يزيد حجمها عن ٤٢٠٠٠ حرف (مع الهوامش والفواصل).

الإشتراك السنوي (عددان)

الإشتراك في تركيا: .....٢٠ ليرة تركية
الإشتراك في الأقطار الأخرى للأشخاص: .....١٥ دولار أمريكي
الإشتراك في الأقطار الأخرى للمؤسسات: ....٣٠ دولار أمريكي

العنوان للاشتراك

عبد الكريم بايبارا kerimbaybara@gmail.com
شركة سوزلر للنشر
٣٠ شارع جعفر الصادق – الحي السابع
مدينة نصر– القاهرة – جمهورية مصر العربية
تلفون + فاكس: ٩٣٨ ٦٠٢ ٢٢ (٢٠٢+)

Kalendarhane Mahallesi, Delikanli Sk.
No: 6, VEFA 34134 Fatih
ISTANBUL – TURKEY
Tel: +90 212 527 81 81 (pbx)
Fax: +90 212 527 80 80
info@nurmajalla. com
www. nurmajalla. com

Contents

Editorial

- Prof. Dr. Amar Djidel: Introductory Note....3

Miscellaneous Studies

- Prof. Muhammad Ibrahimi: Islam: The Most Appropriate System for Today's World....7
- Muhammad ibn Nasr: The Evidential Method in Qur'anic and Sufistic Studies....13
- Ümit Şimşek: The Method of Reflective Thought in the Risale-i Nur....29
- Prof. Dr. Usama 'Abd al-Majid al-'Ani: Imam Nursi's View of Usury and Interest...45

Dossier

- Prof. Dr. Ahmed Akgündüz: Da'wa and the Risale-i Nur: Is it a Religious Movement, a Community, or a Civil Association?....61
- Prof. Dr. Bünyamin Duran: 'The 'Awf Work Ethic' and 'Upholding the Word of God' in Nursi's Risale-i Nur....77
- Prof. Dr. Davud Aydüz: Guidance and Tabligh in the Risale-i Nur....101
- Prof. Dr. Alâüddin Başar: Positive Action: A Constant Rule for Longevity....127
- Dr. Su'ad al-Nasir (Umm Salma): The Reformist Woman in Shaykh Nursi's Thought....143

Interviews, Publications and Conferences

- Publications: Concluding Observations of the Book:
  1. The Last Witnesses;
  2. Said Nursi: His Movement and Project for Reform in Turkey....155
- Conferences and Study Circles:
  1. Fourth International Conference for Junior Academics: Risale-i Nur Studies in the Contemporary World;
  2. Risale-i Nur in the world....159
- Forthcoming Symposia, 2012 – 2013....190
- Request for articles for future issues of the Journal, al-Nur....191
- Information about publication of articles and papers in the Journal, al-Nur....192
- Annual subscriptions / Contents....193